# المراقبات

## في أهم الشهور والأوقات

mouraqabat - zakharef.indd 1 6/13/14 2:14 PM

**المراقبات**
في أهم الشهور والأوقات

# المراقبات
## في أهم الشهور والأوقات

يشتمل على المواعظ والتوجيهات
في أهم المحطات
العبادية في السنة

من خطب
سماحة المرجع الديني
**الشيخ محمد اليعقوبي**
(دام ظله الشَّريف)

mouraqabat - zakharef.indd 3 6/13/14 2:14 PM

**اسم الكتاب: المراقبات في أهم الشهور والأوقات**
**من خطب سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)**
**الطبعة : الأولى**
**السنة: ١٤٣٥هـ /٢٠١٤م**

**جميع الحقوق محفوظة للناشر**

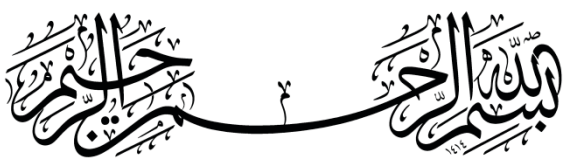

mouraqabat - zakharef.indd 5 6/13/14 2:14 PM

**المراقبات**
في أهم الشهور والأوقات

## الفصل الأول

# شهر محرم الحرام

مواعظ وتوجيهات
سماحة المرجع الديني
الشيخ محمد اليعقوبي
(دام ظله الشريف)

mouraqabat - zakharef.indd 7 6/13/14 2:14 PM

**المراقبات**
في أهم الشهور والأوقات

# المشارطة والمحاسبة في أول السنة وآخرها وإحياء الشعائر الحسينية[١]

## آليات للوصول إلى الاستقامة

ذكر علماء الأخلاق ثلاث آليات للوصول إلى الاستقامة والثبات عليها والتي ندعو الله تبارك وتعالى بالهداية إليها يومياً في صلواتنا، وهي المشارطة والمراقبة والمحاسبة، فالأولى قبل العمل والثانية أثناء العمل والثالثة بعده.

ولنوضّح الفكرة بتطبيقها على مفردةٍ في حياتنا وهو اليوم والليلة، فعندما يقوم الفرد من نومه صباحاً يُشارط نفسه على أن لا يفعل إلّا خيراً وطاعة ويجتنب كلّ ما يسخط الله تبارك وتعالى ويتعهد أمام الله تعالى بأن يبذل ما بوسعه لتحقيق ذلك فهذه هي المشارطة.

ثم يأتي دور المراقبة أثناء الفعاليات اليومية بالالتفات إلى كونها مطابقة للشريعة ولا يغفل عن شيء منها، وهكذا في كلّ مفردات حياته وبرنامجه اليومي وتكون المراقبة أكمل لو لاحظ حتى المستحبات والمكروهات، فيؤدي الأولى ويجتنب الثانية، والمراقبة المستمرة تضمن هذه المطابقة والموافقة.

وبعد انتهاء اليوم يأتي دور المحاسبة ليراجع نفسه وما قدّمت خلال اليوم، فإن وجد عملاً صالحاً شكر الله تعالى وسأله القبول والزيادة، وإن وجد سيئة استغفر الله تعالى وعقد العزم على عدم العودة بالاعتصام بالله تبارك وتعالى.

---

(١) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع حشدٍ من طلبة جامعتي ميسان وواسط يوم ٢٩/ذ.ح/١٤٣٢ الموافق ٢٠١١/١١/٢٦.

## فوائد مراقبة النفس

إذا التزم الإنسان بهذه الآليات الثلاث فإنه سيقلّل الفجوات التي ينفذ منها الشيطان فيوقعه في الخطأ، والمطلوب الالتفات إليها يومياً، ولكن هذه المحطات اليومية تتعرض للغفلة والقصور والتقصير لذا أُضيفت إليها محطات أُخر.

## محطات للتزوّد المعنوي

إذ يظهر من آداب الشريعة أن الأسبوع والشهر والسنة لها أيضاً كيانات وشخصيات غير كيان اليوم، ولكلّ واحد منها التزاماته وتطبيق الآليات الثلاث عليه لتكثيفها وغلق المزيد من فرص الغفلة وغلبة الهوى والشيطان، فتوجد مثلاً للأسبوع محطة تجديد ومراجعة وانطلاق للأسبوع المقبل يوم الجمعة منها صلاة ركعتين بالحمد مرة والتوحيد سبعاً لكلّ منها، ثم دعاء من سطر[١] واحد ليوم الجمعة بين الظهر والعصر وصلاة جعفر الطيار ضحى يوم الجمعة[٢] وللشهر مثل ذلك من خلال صلاة أول الشهر بالحمد مرة والتوحيد ثلاثين في الأولى، والحمد مرة والقدر ثلاثين في الثانية. فإذا أتمّها تصدّق بما تيسّر فإنه يشتري بذلك سلامة الشهر.

وفي ضوء هذا المنهج توجد صلاة [٣] في اليوم الأخير من ذي الحجة باعتباره

---

(١) في مفاتيح الجنان (ص٧٣ أعمال يوم الجمعة): قال الشيخ في المصباح: «روي عن الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أن من صلّى الظهر يوم الجمعة وصلّى بعدها ركعتين، يقرأ في الأولى الحمد والتوحيد سبعاً وفي الثانية مثل ذلك وبعد فراغه يقول: «اللّٰهُمَّ اجعلني من أهل الجنة التي حشوها البركة وعمّارها الملائكة مع نبيّنا محمد صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأبينا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ» لم تضرّه بلية ولم تصبه فتنة إلى الجمعة الأخرى وجمع الله بينه وبين محمد صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ».

(٢) راجع تفاصيل هذه الأعمال في مفاتيح الجنان: أعمال يوم الجمعة.

(٣) في مفاتيح الجنان (أعمال اليوم الأخير من ذي الحجة/ ص٣٢٥) ذكر السيد في الإقبال طبقاً لبعض الروايات، أنه يُصلّى فيه ركعتان بفاتحة الكتاب والتوحيد عشراً وآية الكرسي عشراً ثم يُدعى بعد الصلاة بهذا الدعاء: =

اليوم الأخير من السنة على المشهور يكون بمثابة مراجعة ومحاسبة ووقفة تأمل فيما صدر من العبد خلال العام، ونقطة انطلاق جديدة لعام جديد، فيسأل الله تعالى أن يغفر له ما سلف في عامه المنصرم وأن يعينه على ملء الصحائف البيضاء للعام الجديد بما يُرضي الله تبارك وتعالى، فإن العبد هو الذي يُملي على الملكين ما يكتبان في صحيفة أعماله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[1]. ومن ثمرات هذه الصلاة والدعاء بعدها أن السنة تشهد عند الله تعالى أن هذا الرجل قد ختمها بخير.

## مشاعر المؤمن في رأس السنة

فالمؤمن في مثل هذا اليوم الأخير من سنة مُنقضية سيُغلق ملفها ويحفظ إلى أن يعرض يوم النشور ويشهد بما فيه على صاحبه. وعلى مشارف سنة جديدة لم يسوّد صحائفها شيء، تكون له عينان، عين إلى تلك السنة المنصرمة هي عين المراجعة والمحاسبة فيها ندم على ما صدر منه من ذنوب وتقصيرات وشكر على ما وفّق له من طاعات لكنه لا يصل إلى درجة الفرح للقلق من كونه مقبولاً أو لا. وعين راجية راغبة إلى السنة المقبلة هي عين المشارطة تسأل الله تعالى أن تكون أفضل من سابقتها وثقيلة الميزان بما يرضي الله تبارك وتعالى. والأمر راجع إلى العبد نفسه فهو الذي بيده قلم العمل يملي به صحائف الليالي والأيام بكامل إرادته.

---

= «اللّٰهُمَّ ما عملت في هذه السنة من عمل نهيتني عنه ولم ترضه، ونسيتُه ولم تنسه، ودعوتني إلى التوبة بعد اجترائي عليك، اللّٰهُمَّ فإني أستغفرك منه فاغفر لي وما عملت من عملٍ يُقرّبني إليك فاقبله مني ولا تقطع رجائي منك يا كريم».
فإذا قلت هذا قال الشيطان: يا ويلي ما تعبت فيه هذه السنة هدّمه الجميع بهذه الكلمات، وشهدت له السنة الماضية أنه قد ختمها بخير.

(١) سورة الحشر، الآية: ١٨.

## لطف الله تعالى بنا بأيام الحسين عليه السلام

ومن لطف الله تعالى أن سنتنا تفتتح بذكرى الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وفي أجواء التضحية والفداء والعشق الإلهي حيث نحر الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأهل بيته وأصحابه في محراب الحبّ والفناء في الله تبارك وتعالى، وهذه الأجواء لها أثرها الذي لا يُنكر في تقريب النفوس إلى الطاعة، حتى الفسقة والعصاة يتركون آثامهم في هذه الأيام ببركة الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فتكون هذه الأيام في مفتتح السنة حافزاً لنجاح المشارطة والتعهد أمام الله تبارك وتعالى بأن لا نفعل في سنتنا إلّا خيراً مستمدين العزم وقوة الإرادة والتضحية بشهوات النفس وأهوائها وإدامة ذكر الله تعالى من الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ويندرج في ذلك أن يكون إحياؤنا لشعائر الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ واعياً ملتفتاً إلى الأهداف الإصلاحية التي تحرك الإمام عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لتحقيقها لأن قيمة الأعمال بمضامينها وتحقيق أغراضها وليس بأشكالها، فهذه الصلاة التي هي عمود الدين استشهد الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لإقامتها حق إقامتها: «أشهد أنك قد أقمت الصلاة» لا تكون لها قيمة إذا خلت من مضمونها الذي ذكرته الآية الشريفة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[١]، وقد ورد في رواية صحيحة عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: «والله إنه ليأتي على الرجل خمسون سنة وما قبل الله منه صلاة واحدة، فأي شيء أشدُّ من هذا، والله إنكم لتعرفون من جيرانكم وأصحابكم من لو كان يصلّي لبعضكم ما قبلها منه لاستخفافه بها، إن الله لا يقبل إلّا الحسن، فكيف يقبل ما يستخف به؟»[٢].

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.
(٢) وسائل الشيعة، كتاب الصلاة، أبواب أعداد الفرائض ونوافلها، باب ٢٦ ح٢.

## شروط القبول في العمل

لا بدّ أن نفهم أن المشاركة في الشعائر الحسينية والبكاء على الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لا يكفي وحده ما لم تجتمع فيه شروط القبول كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[١]، ولن تنال شفاعة الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وجده وأبيه وأمه وأخيه والأئمة المعصومين من بنيه (صلوات الله عليهم أجمعين) إلّا بالتقوى، ومن علاماتها الاهتمام بالصلاة في أوقاتها وأن يحسن أداءها، ففي رواية صحيحة عن الإمام الباقر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: «لا تتهاون بصلاتك فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال عند موته: ليس مني من استخف بصلاته لا يرد علي الحوض لا والله»[٢].

وعنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لكلّ شيء وجه ووجه دينكم الصلاة فلا يشينّ أحدكم وجه دينه»[٣].

فما يصوّره بعض الخطباء من أن اللطم على الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والبكاء عليه ولو جناح بعوضة يدخل الجنة بغير حساب وإن ملأ الشخص صحيفة أعماله بالآثام كلام مخالف للقرآن الكريم والروايات الثابتة عن المعصومين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ وانحراف في الفهم وخداع للعامة، وهذا الطرح خطير على الدين لأنه يشوهه ويمحقه ، وخطير على المجتمع لأنه يؤدي إلى التمادي في الانحراف ويعطي مشروعية للعكوف على المعاصي ما داموا قد حصلوا على صكّ الغفران.

فاحذروا أيها الإخوة من هذا الطرح المضلّل.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٧.
(٢) من لا يحضره الفقيه: ج١٧ ص٦٠، وعلل الشرائع: ج٢ ص٣٥٦.
(٣) المصدر السابق، نفس الباب.

## استنكار المنكر

وهنا أُسجّل استغرابي واستنكاري من حصول بعض حالات الفساد في المجتمع كالذي ينقل عما يجري في المقاهي من أعمال منكرة وتعاطٍ للمخدرات، أو ما يجري في محلات المساج والعلاج الطبيعي من اختلاط منكر ودعوة إلى الرذيلة، أو انتشار الفساد المالي وهدر الأموال العامة التي هي ملك الشعب، أو وجود مافيات وميليشيات القتل والاختطاف والابتزاز والسرقة، كلّ ذلك يحصل في مدن وسط وجنوب العراق التي فيها أغلبية ساحقة من الموالين لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فإذا كان المشاركون في شعائر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ثمانية ملايين أو أكثر بحيث نستطيع أن نقول إن كلّ شيعي موالٍ لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في هذه المدن يشارك بشكل أو بآخر في الشعائر كالمشي إلى مرقده الشريف أو خدمة الزوار أو المشاركة في مواكب العزاء أو المجالس الحسينية، إذاً فمن الذي يقوم بتلك الأفعال المنكرة في المجتمع التي ذكرنا نماذج منها؟ وماذا استفاد هؤلاء من مبادئ الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وماذا فهموا من حركته المباركة؟ وهل يتوقعون قبول أعمالهم من الله تبارك وتعالى في ضوء الآيات الكريمة والروايات الشريفة؟

إن هذا الذي نقوله لا يقلّل من أهمية إقامة هذه الشعائر المباركة وفضلها عند الله تبارك وتعالى وعند النبي وآله الكرام (صلى الله عليهم أجمعين) ولا من تأثيرها في هداية الناس إلى ولاية أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بل بلغني أن غير المسلمين تأثروا بها من خلال متابعتها على الفضائيات واعتنقوا عقيدة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ببركة هذه المسيرة الصامتة التي تتوجه إلى زيارة الأربعين التي لا يمكن تأويلها وتفسيرها بغير المبادئ الإنسانية النبيلة التي انطلقت من أجلها تلك الثورة المباركة ولا يمكن التشكيك فيها أو تزييفها.

## هل من ناصر؟

إن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما كان يردّد يوم عاشوراء: «هل من ناصر؟» لم يكن يتوقع من أولئك الطغاة الذين طبع الله على قلوبهم هداية ولا صلاحاً وإنما كان يريد لها أن تبقى صرخة مدويّة لجميع الأجيال على مدى الأزمنة والدهور لينصروه في تحقيق أهدافه، ويبقى النداء ما دام الواقع الفاسد والظلم الذي قام الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لتغييره وإنشاء البديل الصالح عنه ـ فلينصره كلٌّ بحسبه ومن موقعه وبما يناسبه من عمل.

فقد يُقبل من البعض شكلٌ من أشكال إحياء الشعائر الحسينية ولا يُقبل من البعض الآخر لأن المطلوب منه غير ذلك فالتفتوا جيداً.

وبما أنكم من طلبة الجامعات فأذكر لكم شكلاً من أشكال النصرة لله ولرسوله وللإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن تنظموا في الأقسام الداخلية أي محل إقامتكم وسكنكم ثلاث محاضرات أسبوعياً على مدى ثلاثة أيام وسط الأسبوع، كلّ يوم محاضرة بعد صلاة المغرب والعشاء جماعة إحداها في الفقه والأخرى في العقائد والثالثة في السيرة والأخلاق والمعارف القرآنية، ومن يحب يواصل تحصيل العلوم الدينية، وقد أبدى فضلاء الحوزة العلمية استعدادهم للقيام بهذه الخدمة إن شاء الله واعلموا أنكم بذلك تقتربون من معرفة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لينطبق عليكم ما ورد في زيارته عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ عارفاً بحقه ـ وفقنا الله تعالى وإياكم لأن نكون من أنصار الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وممن يدخل السرور على قلبه الشريف بالسعي لتحقيق أهدافه بفضل الله تبارك وتعالى.

## رسالة الأمة من خلال إحيائها لشعائر عاشوراء[١]

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسلُ ربنا بالحق.

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين.

لبّى الملايين من المسلمين في مختلف مدن العالم من شرق الأرض وغربها دعوة الله تبارك وتعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[٢]، ودعوة الأئمة الطاهرين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: «أحيوا أمرنا، رحِمَ الله من أحيا أمرنا» وقولهم: «على مثل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ فليبكِ الباكون» فأحيوا شعائر ذكرى استشهاد الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهل بيته وأصحابه في العاشر من محرم، لا سيّما في معاقل الولاء لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في العراق وإيران ولبنان، واشترك حتى غير الشيعة بل حتى غير المسلمين، فقد رأيت في إحدى الفضائيات تجمّع العوائل المسيحية حول شاشات التلفزيون متابعين باهتمام المراثي الحسينية ومواكب العزاء، وعيونهم محمرّة من الدموع وتحدثوا عن مساهماتهم في بعض تلك الشعائر.

وقد بلغ التفاعل مع الحدث ذروته في موكب النصرة المعروف باسم: «عزاء طويريج» حيث انحدر سيل مئات الآلاف من الملبّين لدعوة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ عبر الأجيال: «هل من ناصر»؟ وكلهم نداء واحد: «لبيك يا

(١) نشر في الصفحة الثالثة من العدد (٣٨) من الصادقين الصادر بتاريخ ٢٤ محرم ١٤٢٧ الموافق ٢٣ شباط ٢٠٠٦.

(٢) سورة الحج، الآية: ٣٢.

حسين» لأن وقفة الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في كربلاء حفظت الخطّ الناصع النظيف للإسلام وصانته من الفساد والانحراف والتمييع والإفراغ من المضمون الحقيقي.

وقد امتزجت في الشعائر مشاعر الحزن واللوعة لهول المأساة التي يستشعرها كلّ مؤمن خصوصاً في يوم عاشوراء وعبّر عنها الإمام عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «إن لجدي الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في قلوب المؤمنين لوعة لا تنطفئ أبداً»، بمشاعر الفخر والسرور بديمومة هذا الولاء وهذا الارتباط الوثيق بالإسلام وقادته العظام.

إن المتتبع لهذه الشعائر وشعاراتها يستطيع أن يلخّص الرسالة التي توجهها الأمة بمحاور أساسية:

**الأول**: تأكيد الانتماء للإسلام المحمدي الأصيل الذي رسّخه أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ واستشهدوا ومعهم المخلصون من أصحابهم في سبيله، وكانت شعاراتهم مملوءة بالإصرار على مواصلة هذه المسيرة والاستعداد للتضحية من أجله، وكانوا واعين جدّاً للمؤامرات والتحديات التي تواجه هذا الخط.

**الثاني**: الردّ على أعداء الأمة بتوجهاتهم المختلفة بلا فرق بين قوى الاحتلال والاستكبار الذين جاؤوا بمشروع واسع لمسخ هوية الأمة وإلحاقها بركبهم، وبين الإرهابيين الذين اتبعوا أساليب شتّى لثني الأمة عن إحياء هذه الشعائر الدينية المقدسة، وأشاعوا خبر تسلل إرهابيين إلى كربلاء للإيغال في الجريمة وبين المضلّلين والحاقدين الذين لم يكلّوا عن تشويه صورة هذه الشعائر وتنفير الأمة منها لصرفها عن إقامتها لأنهم يعلمون أن لهذه الشعائر دوراً في حفظ الدين في حياة الناس فإذا منعوها بأي شكلٍ فإنهم سيقضون على الدين تدريجياً.

هذا كلّه تحقّق بفضل الله تبارك وتعالى لكن الجديد في احتفال هذا العام

نداء: «لبيك يا محمد» الذي جاء ردّاً على الحملة المسعورة التي أشعلتها صحيفة في الدانمارك بنشرها لصورٍ مسيئة لشخصية النبي الكريم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثم تبنّتها صحف ومجلات في دول أوربية أخرى بل إن صحيفة أردنية ومصرية نشرتها جرأةً على الله وعلى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعلى المؤمنين.

**الثالث**: أن الأمة موحّدة وأن القواسم المشتركة بينها كثيرة وعلى رأسها حب الله ورسوله وحب أهل بيته الأطهار فلا يفرق بينها انتماء طائفي أو حزبي أو عرقي أو جغرافي ولا تفرّقها المصالح، وها هي متوحدة على حبّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذي أساؤوا إليه فتوحد المسلمون للدفاع عنه وعلى حبّ الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في ذكراه، فما بال السياسيين والمتصدين للحكم يتصارعون على المناصب ويتزاحمون على الدنيا وينهمكون في هذا التنافس غير الشريف وينشغلون عن قضايا الشعب المهمة والتحديات التي تواجهه فهم بذلك يغرّدون خارج سرب الأمة ولا تلبث حتى تلفظهم.

## الفصل الثاني

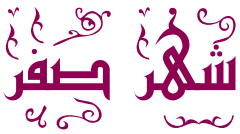


مواعظ وتوجيهات
سماحة المرجع الديني
الشيخ محمد اليعقوبي
(دام ظله الشريف)

# تهنئة زوار الحسين عليه السلام بالألطاف الإلهية[١]

استقبل سماحة الشيخ (دامت تأييداته) يوم الجمعة ٢١ صفر وفوداً ضمت عدداً من المؤمنين الذين أدوا مراسم زيارة الأربعين في كربلاء المقدسة، وتحدث سماحته عن الآثار المعنوية التي يتزوّد بها من يؤدي هذه الشعائر بإخلاص، والألطاف الإلهية التي تغمره سواء أحسّ بها أو لم يحس لكنه ينعم ببركاتها، ويغبطهم على هذه النعمة التي يتحسر على فواتها الملايين في مختلف أصقاع الأرض.

ولو قسنا المعاناة والجهد الذي يبذله الزائر ـ مهما كان عظيماً ـ فإنه يسير بجنب ما أعدّ الله تبارك وتعالى، حيث إن أحد بركات هذه الزيارة أن تكتب لك حسنة وتمحى عنك سيئة بكلّ قدم ترفعها وتضعها، ولك شفاعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وفاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ بمواساتك إياهم، ولك أجر إعزاز الدين وحفظ ملة سيّد المرسلين وإعلاء كلمة الله رب العالمين ومواصلة الرسالة للأجيال.

وقارن سماحته بين الطاعة التي يذهب عناؤها ويثبت أجرها، والمعصية التي تذهب لذتها وتبقى تبعتها، وهي مقارنة كافية للدلالة على الطريق لكلّ ذي بصيرة.

---

(١) نشرت هذه التهنئة في الصفحة الثالثة من العدد (١٩) من صحيفة الصادقين الصادر بتاريخ ٢٥ صفر ١٤٢٦ الموافق ٥ نيسان ٢٠٠٥.

ثم أجاب عن سؤال لماذا موكب طلبة الجامعات؟ فقال: لعدة أمور:

**أولها**: لإثبات انتماء جامعاتنا للإسلام وعدم تخلي شبابنا عن عقيدتهم وأخلاقهم رغم محاولات الإغراء والإفساد، ورداً على ما حاولوا تضخيمه خلال الأيام السابقة من استدراج عددٍ من الطلبة في جامعة البصرة للرقص والغناء، واستدراج فئة معينة لضربهم وإهانتهم، وابتغوا بذلك هدفين: الأول: الإيحاء بأن طلبة الجامعات متحلّلون بعيدون عن الدين لا يراعون الحرمات الأخلاقية والاجتماعية، والثاني: هو إظهار الذين يحملون واجهات إسلامية بصورة التخلف والهمجية ومصادرة الحريات وإكراه الآخرين بالعنف على معتقداتهم.

ولكن الحقيقة غير ذلك فإن من خالفوا الآداب الإسلامية في تلك السفرة لا يتجاوزون (٥٢) طالباً من (٣٨٥) شاركوا في السفرة من أصل (٢٨٥٠) طالباً في كليّة الهندسة من حوالي (٢٣) ألف طالب في جامعة البصرة فهم لا يمثّلون صورة كلية الهندسة ولا جامعة البصرة ولا سائر الجامعات العراقية فجاءت هذه المسيرة لتؤكّد الهوية الإسلامية لطلبة الجامعات العراقية، حيث شارك أكثر من عشرين ألف طالب في مسيرة ضخمة قطعت أكثر من (٤٢) كيلومتراً بين الحلة وكربلاء سيراً على الأقدام.

**ثانيها**: للرد على من يصور شعائر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وكأنها انفعالات عاطفية للعامة، ولا دور فيها للمثقفين والواعين، فتأتي هذه المسيرة لتؤكد أن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ مدرسة ينهل منها كلّ فرد بحسب استحقاقه ولا يستطيع أحد الاستغناء عنها سواء كان من القادة أو المصلحين أو الأحرار أو الرساليين أو العلماء أو المفكرين أو المثقفين وحتى العامة والبسطاء.

**وثالثها**: إبراز ضرورة تنظيم المشاركين في زيارة العتبات المقدسة في مسيرات موحدة منتظمة ذات شعارات ومطالب واعية ومحددة فإنها حينئذٍ

ستكون فاعلة وقادرة على تحقيق مطالبها، ولما كانت شريحة طلبة الجامعات أكثر الشرائح انتظاماً ومركزية كان التفكير بالبدء بها، إذ كان يمكن لهذه العشرات الآلاف أن تذوب ضمن ملايين الزوار من دون صدى ولا تأثير ولكن انتظامهم بهذا الموكب المهيب أحدث دويّاً في الأوساط الاجتماعية ونحن نتطلع إلى اليوم الذي تستطيع كلّ محافظة أن تشكّل لجاناً تنظيمية تمثّل أهل الحل والعقد فيها من مكاتب العلماء والخطباء والأحزاب السياسية والعشائر والوجهاء والنخب لتنظم زائري كلّ محافظة بمواكب موحدة تضم مئة ألف أو مئتي ألف، وتكون شعاراتهم ومطالبهم واضحة ومحدّدة فإنها حينئذٍ ستقلب الموازين وتغيّر المعادلات ولنجعل من مواسم الزيارات الرئيسية ـ الأربعين، الشعبانية، الغدير ـ منطلقاً لهذا العمل المنظم الفعال.

# ١٧
# صفر

## أعطوا أكبر زخم ممكن للشعائر الحسينية شكلاً ومضموناً[١]

### دور الإمام الرضا عليه السلام في إحياء الشعائر الحسينية

تصادف اليوم السابع عشر من صفر ذكرى استشهاد الإمام الرضا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقلّما يحتفل بشهادته لاندماج ذكراه في المشاركة الواسعة في الزيارة الأربعينية والسير على الأقدام إلى كربلاء المقدسة، وصحيحٌ أنَ الأئمة عَلَيْهِم ٱلسَّلَامُ ذوبوا قضاياهم في القضية الحسينية الكبرى التي حفظت الإسلام وخلدت مبادئه كما قال الشاعر:

**أنست رزيتُكم رزايانا التي  سلفت وهونت الرزايا الآتية**

ولكن هذا لا يعفينا من مسؤولية إحياء ذكرى الإمام الرضا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في هذهِ الأجواء الحسينية، ونُشير هنا إلى واحدة من بركات الإمام الرضا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على هذهِ الأمة فقد كان أول من عقد المآتم الحسينية علناً وبمشاركة جماهيرية واسعة حيث استثمر الفرصة التي أُتيحت له حينما حاول المأمون العباسي كسب ودّ العلويين وتقريب الإمام الرضا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وفرض ولاية العهد عليه لأهداف

(١) من حديث سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مع حشد من طلبة جامعتي ميسان وواسط يوم ٢٩/ذ.ح/١٤٣٢ الموافق ٢٠١١/١١/٢٦.

أراد العباسي تحقيقها لم تكن لتخفى على الإمام الرضا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فرفض الولاية، ولما أكرهه عليها اشترط عليه أن لا يمارس شيئاً من صلاحيات السلطة وأفشل بذلك مخططات المأمون، لعلم الإمام عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن القضية شكلية والظروف غير مهيأة للقيام برسالة الإصلاح، لكنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع ذلك استثمر تلك الفرصة في عدة قضايا منها، إحياء الشعائر الحسينية بشكل علني حيث كان يعقد المآتم الجماهيرية ويطلب من دعبل الخزاعي إنشاء تائيته المشهورة وكان دعبل يجوبُ بها الأسواق والساحات العامة وينشر فضائل ومظلومية أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ وغصب حقهم، أما قبل الإمام الرضا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقد كان الأئمة عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ يعقدون المآتم الخاصة في بيوت لهم ولأهل بيتهم وخواص أصحابهم، كما هو واضح في سيرة الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والإمام الرضا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نفسه قبل توفر هذهِ الفرصة.

## دور العلماء في تأصيل تعاليم أهل البيت عليهم السلام

وهكذا كان علماء الشيعة ومراجعهم (قدس الله أرواحهم) يستثمرون كلّ انفراج سياسي وانحسار في بطش السلطة ليوسعوا من مساحة هذه الشعائر وتفعيلها في أوساط الأمة، وخصوصاً في الفترات التي شهدت نشوء حكومات ترفع لواء التشيّع وتدعم الحركة الشيعية لأمور خاصة بتلك السلطات ولا علاقة لها برسالة أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ ونوابهم، وقد شهدت هذه الفترة عصراً ذهبياً للحوزة العلمية وأنجبت أفذاذاً شغلوا ركيزة أساسية في تأصيل تعاليم أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ في العقيدة والفقه والأخلاق والتفسير وسائر العلوم، وقاد هذه الحركة على مدى مئة عام ابن قولويه صاحب كامل الزيارات والشيخ الصدوق ومن ثم الشيخ المفيد وبعده السيد المرتضى ثم الشيخ الطوسي(قدس الله أرواحهم جميعاً)، وفي هذا العصر أصبح يوم عاشوراء عطلة رسمية تعطّل

فيها الأسواق وتنتشر مظاهر الحزن وشَهدَ أول ظهور للمواكب السيارة التي ترثي أبا عبد الله وصحبه الكرام وتبرز مظلوميتهم وأهداف حركته المباركة.

وهكذا كان التقدّم والتوسع يتحقق في كلّ فرصة تحصل سواء في أيام الدولة الفاطمية في مصر أو الدولة الحمدانية في الشام أو غيرها حتى العصر الحديث.

## اعطوا أكبر زخم للشعائر شكلاً ومضموناً

ونحن ـ أيها الأحبة من زوار أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ نعيش اليوم أوسع فرصة لممارسة هذا الدور فلنبذل قصارى جهدنا في إعطاء أكبر زخمٍ ممكن للشعائر الحسينية شكلاً ومضموناً.

أما شكلاً فمن خلال هذهِ المشاركة الواسعة من قبل الملايين سواء ممن شاركوا في مواكب السير على الأقدام من أقصى الأماكن وقطعوا مئات الكيلومترات في هذا البرد القارس والأمطار الغزيرة، ومعهم من قاموا بخدمة هؤلاء الزوار ووفّروا لهم الطعام والمأوى وكلّ أسباب الراحة لمواصلة المسير والذين انشغلوا بتوفير الخدمات الصحية والماء والحماية وكلّ الأمور الضرورية الأخرى، ونشهد في كلّ عام ازدياداً ملحوظاً للمتتبع من خلال عزاء طويريج والمسيرة المليونية لزيارة الأربعين والمآتم الحسينية العامرة بآلاف الحضور والتي تنقلها الفضائيات مباشرة أحياناً.

وأما مضموناً فمن خلال تجسيد مبادئ الثورة الحسينية وتحقيق أهدافها، فإن نداء الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هل من ناصر؟» لا زالَ يتردد في أرجاء الأرض، وهو لا يطلب أنصاراً بالسيف ونحوه لأن القضاء الإلهي جرى باستشهاده وأهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وإنما يطلب أنصاراً يعينونه على إنجاز مشروعه وإكمال رسالته في

إصلاح الأمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوقوف في وجه أئمة الضلال وسلاطين الجور وتحرير الناس من أسر الطواغيت وشياطين الإنس والجن.

وها هي الشعوب المسلمة تتحرّك في تونس وغيرها متأثرين بالإنجازات التي حققها الشعب العراقي بفضل الله تبارك وتعالى واستنقذَ جزءاً كبيراً من حريته وكرامته، وهذا هو الواقع وإن لم تصرّح تلك الشعوب بذلك لكن التأثر واضح وسيعم كلّ الشعوب الحرة الأبيّة.

## الالتفات إلى المضامين الرسالية في الشعائر

أيها الأحبة نريدكم أن تُدخلوا السرورَ على قلب نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ والزهراء والحسن والحسين وإمامكم المهدي الموعود (صلوات الله عليهم أجمعين) بالالتفات إلى المضامين الرسالية لهذه الشعائر وأولها المحافظة على الصلوات المفروضة في أوقاتها فإذا حان وقت الصلاة وقال المؤذن: (حي على الصلاة) قولوا: «لبيك ربنا» وأوقفوا كلّ حركةٍ واصطفوا للصلاة في أي موضع كنتم فيه وادعوا ربكم لكلّ خير ولكلّ حاجة وستحظون بالإجابة إن شاء الله فإن فعلتم ذلك فإن الإخوة الآخرين سيتأسونَ بكم، ولا تُؤخّروا الصلاة لأي مبرّر كالوصول إلى موضع الاستراحة ونحوها، فإن الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أقامَ الصلاة جماعة في وقتها ظهر يوم عاشوراء والأعداء قد أحاطوها به وأمطروه بنبالهم.

والتزموا أيها الأحبة بكلّ فضيلة أخلاقية والتزموا بأداء الواجبات واجتنبوا المحرمات.

فعليكم ـ أيها الشباب ـ ببرّ الوالدين والإحسان إلى الآخرين، والتزمي ـ أيتها الأخت الفاضلة ـ بحجابكِ وعفافكِ وحيائكِ ولا تعطي فرصة لمن في قلبه مرض، وإذا استلزم الذهاب إلى الزيارة شيئاً من المحرمات فلا يجوز لكِ الذهاب.

## كونوا بمستوى المسؤولية

لقد اختاركم الله تعالى أيها الأعـزاء من أهل العراق لتكونوا دعامة الانطلاقة المباركة لمدرسة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، والطليعة في حركة التمهيد للظهور الميمون التي نلمس تأثيرها المبارك على العالم كلّه فصونوا الأمانة وكونوا بمستوى المسؤولية المُلقاة على عاتقكم وكلّ بحسب الموقع الذي أنتم فيه، فليواظب الطالب على دراسته ويجتهد لتحصيل أرقى الدرجات، وليكن الموظف دؤوباً في عمله نزيهاً أميناً على ما كُلفَ به، وليقم طلبة الحوزة العلمية بدورهم في اكتساب العلوم والفضائل ونشرها في أوساط الأمة، وهكذا الجميع. أعاننا الله تعالى وإياكم على طاعته وبلّغنا رضاه وجمعَ بيننا وبين أحبّ خلقه إليه أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين (صلى الله عليهم أجمعين).

# إلى المشكّكين بجدوى الزيارات المليونية[١]

يشكّك البعض بجدوى حضور الملايين في الزيارات، كعاشوراء والأربعينية ويناقش في صرف الأموال الطائلة لخدمة الزّوار وتوفير احتياجاتهم، وينطلق بعض هؤلاء من التأثر بالأجندات الغربية التي لا تفقه الآثار المعنوية لهذه الحركة المباركة على الفرد والمجتمع.

فيجب أن نكون نحن على ثقة عالية بشريعتنا وشعائرنا التي باركها الشارع المقدّس، فنجيب على هؤلاء بمستويين من الجواب، يُسمى الأول في مصطلح الحوزة العلمية بالجواب النقضي، أي الرّد على الإشكال بإشكال مثله من واقعهم وممارساتهم، ويُسمّى الثاني الجواب الحلّي بتقديم الدليل على جدوى هذه الشعائر وبيان الآثار المباركة التي تثمرها.

والجواب على المستوى الأول هو بما يصدر منهم هذه الأيام بمناسبة الاحتفالات برأس السنة، حيث تسود العالم الغربي وغيره احتفالات صاخبة ومهرجانات وألعاب نارية وسفرات من غرب الأرض إلى شرقها وشراء هدايا عمانوئيل وأمثالها[٢] من الممارسات التي تصرف فيها مليارات الدولارات

(١) من حديث سماحة المرجع الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع حشود الزائرين الذين وفدوا مشياً على الأقدام من المحافظات الجنوبية متوجهين إلى كربلاء المقدسة يومي ١٦ ـ ١٧/ صفر/١٤٣٤ الموافق ٣٠ ـ ٣١/ ١٢/ ٢٠١٢.

(٢) من تلك المراسم في فرنسا إحراق السيارات حيث أحرقت ١١٩٣ سيارة ليلة ٢٠١٣/١/١ بحسب وزير الداخلية الفرنسي مانويل فالز وقال: إن العدد قريب من عدد السيارات التي أحرقت في سنوات =

بلا معنى عقلائي يمكن الاقتناع به إلّا تسويلات الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء من المُتع واللذات الوقتية الكاذبة، وكان الأجدر بهم صرف هذه المليارات على جياع أفريقيا وتنمية اقتصاديات الدول الفقيرة وإنشاء المشاريع المفيدة في الدول التي يتباكون على فقرها وابتلائها بالأمراض الفتّاكة والحروب والمشاكل الاجتماعية.

هذا غير ما يصرف من مليارات أخرى على غيرها من الفعاليات غير العقلائية كالدورات الأولمبية وبطولات كأس العالم مما يثقل ميزانيات الدول بمبالغ طائلة، وبين أيدينا اليونان التي اشترطت عليها الولايات المتحدة أموراً عند تنظيمها الدورة الأولمبية عام ٢٠٠٤ ولم تستطع واردات السياحة سدّها فغرقت في ديون باهظة شارفت بسببها على الإفلاس.

فالأولى بهؤلاء المنتقدين أن يعترضوا على هذه الممارسات والفعاليات التي لا فائدة فيها إلّا متعة ولذة ـ كما يزعمون ـ وهي وقتية بمقدار لحظتها ووهمية ويبقى الفرد يعاني بعدها من مشاكل نفسية واقتصادية أيضاً لأن أغلب أفرادهم يقترض ليقوم بتلك السفرات أو شراء الهدايا ونحوها. فهؤلاء المعترضون ينطبق عليهم المثل المعروف بأنه يرى القذّة في عين الغير ولا يرى الجمل في عينه.

أما على صعيد المستوى الثاني من الجواب فقد تضمّنت خطاباتنا السابقة ذكر العديد من تلك الآثار المباركة، نُشير إليها باختصار، وتُراجَع التفاصيل في مواضعها[1].

١ـ إن التوجّه سيراً على الأقدام من مسافات بعيدة مع ما يرافقه من العناء

= سابقة حيث تحوّل إحراق السيارات ليلة رأس السنة إلى عادة لدى الفرنسيين منذ بضع سنوات وأُحرقت ليلة ٢٠١٠/١/١ (١١٤٧) سيارة ولم تُعلن إحصائيات ٢٠١١، ٢٠١٢ حيث تحفظ وزراء اليمين في حينها عن إعلان الأرقام.

(١) راجع خطاب المرحلة: ١٤/٤، ٢٢٧ ـ ٢٣٨ وفي مواضع أخرى من الكتاب.

والمشقّة فيه تعبير عن عميق المودّة والولاء للإمام عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ التزاماً بقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾(١).

إنّ فيها إظهاراً لعظمة الإمام المقصود بما عظّمه الله تعالى، كما سار الإمامان الحسن والحسين عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ ماشيين إلى مكة المكرمة تعظيماً لبيت الله الحرام.

إنّ فيها إدخالاً للسرور على قلب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأهل بيته المعصومين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ ومواساة لهم على عظيم مصابهم، وفيها إحياء لأمرهم والتزام بما وجهوا إليه: «أحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا».

وفيها الثواب العظيم الذي رصد لمن يقصد زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ماشياً وقد وردت في ذلك روايات عديدة منها عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: «من أتى قبر الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ماشياً كتب الله له بكلّ خطوة ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة ورفع له ألف درجة»(٢).

إنها وسيلة هداية للآخرين، فقد اهتدى بشعائر الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى الحق كثيرون وعادوا إلى الصلاح والرشد في حين عجزت كلّ الوسائل عن إصلاحهم، وهذه من بركات الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فإنه: «مصباح هدى وسفينة نجاة».

إنها توحّد الأمة بكلّ طوائفها وقومياتها وتوجهاتها الاجتماعية والسياسية ومختلف انتماءاتها الجغرافية والعشائرية، وهذا واضح حيث يذوب الجميع في حبِّ الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وبعضهم لبعض مما يستحيل تحقيقه في غير هذا الهدف قال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ ﴾(٣).

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.
(٢) راجع الروايات في وسائل الشيعة: كتاب الحج، أبواب المزار وما يناسبه، باب ٤١.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٣.

إنّ المسيرات السلمية وسيلة حضارية تتبعها كلّ الأمم المتحضرة لإلفات النظر إلى قضاياها والمطالبة بحقوقها ودفع الآخرين للسؤال والفحص عن المشروع المحرِّك لها، وهذا ما تحقق إذ صار العالم كلّه يتساءل اليوم عن الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ والشيعة، والسؤال مفتاح الوصول إلى الحقيقة.

إنها تحبط محاولات الأعداء المتنوعين التي تستهدف الشعب العراقي الأبي وهذا البلد الكريم، لإفساده وإخضاعه وإرعابه وتدجينه وسلخه من هويته الإسلامية الأصيلة، فقد حاول الإرهابيون بكلّ وسائل القتل والتدمير والجريمة إخافته، وحاول الاحتلال تدجينه وتحويله إلى جزء من مشروع الشرق الأوسط الكبير بل رأس الحربة فيه، وحاولت تقنيات الإغراء والغواية والتضليل إفساده وإبعاده عن إسلامه الأصيل ففشل الجميع، ببركة هذه المسيرات المليونية.

إنها ممارسة تعبوية تحافظ على جاهزية الأمة وحضورها في الميدان على الدوام وبدونها يُصاب الشعب بالخمول والكسل والاسترخاء فيكون مكشوفاً وهدفاً سهلاً لكلّ استهداف.

إنها تقوّي الإرادة والتحمّل وتوطين النفس على الصعاب مما تعجز عن تحقيقه أية ممارسة أخرى وتشكّل بذلك فقرة مهمة من عملية الاستعداد لنصرة الإمام الموعود (عجّل الله تعالى فرجه) والمشاركة الفاعلة في التمهيد لدولته المباركة ونصرته.

إن أجواء الزيارة والمشاعر الروحية فيها تُعطي للنفس زاداً معنوياً وحصانة وغذاءً روحياً يبقى تأثيره ولذته إلى أمد بحسب استحقاق كلّ شخص واستعداده، وكما يقال بحسب سعة إنائه ووعائه فإنه يغترف من هذه الألطاف الإلهية: ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾[1].

(١) سورة الرعد، الآية: ١٧.

بهذه الحركة المليونية يبرز الشعب العراقي انتماءه للإسلام ولمذهب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ويبرز هويته في عملية إحصاء سكّاني صادق ودقيق لا يقبل الخطأ والتزوير وليردّ بذلك على بعض الجهات التي تحاول القفز على الواقع وتدّعي خلافه.

وقد وردت الإشارة إلى جملة من هذه الآثار المباركة في دعاء الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ لزوار أبي عبد الله الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في الرواية المعتبرة عن معاوية بن وهب البجلي وفيها: «اغفر لي ولإخواني ولزوّار قبر أبي الحسين بن علي صلوات الله عليهما الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبة في برِّنا ورجاءً لما عندك في وصلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيك محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وإجابةً منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدوِّنا، أرادوا بذلك رضوانك، فكافئهم عنّا بالرضوان»[1] إلى آخر الدعاء.

(١) مفاتيح الجنان: ٤٨٤ فضل زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

# ٢٨
# صفر

## الدعوة إلى توسيع الاحتفالات بذكرى وفاة رسول الله[١] صلى الله عليه وآله

تحدث سماحة الشيخ اليعقوبي (حفظه الله) إلى قناة الأنوار الفضائية ضمن تغطيتها لشعائر الاحتفال بذكرى وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وشرح وجهاً للمعنى الوارد في حديث الكساء وغيره أن الكون خُلِقَ من أجل محمد وآل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: إن الآية الشريفة تقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٢]، ولما لم يبلغ درجة العبودية الحقيقية لله تبارك وتعالى إلّا محمد وآله (صلوات الله عليهم) فتكون النتيجة أن خلق الجن والإنس كان لأجل هذه الأنوار المباركة كمن يدعو ضيفاً شريفاً ويستضاف على شرفه كلّ مرافقيه، فكلنا نعيش ببركة النبي وآله الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين)، ولتقريب الفكرة نذكر أمثلة أخرى، مثلاً: إن الدولة قد تحتاج في حساباتها إلى عدد من المهندسين والأطباء فتقبل أضعاف هذا العدد في المدارس الابتدائية ولا يصل منهم إلى تلك الدرجات المطلوبة إلّا عددٌ قليل منهم فيصحّ أن يُقال إن كلّ تلك المبالغ التي صرفتها الدولة كانت لأجل هذا العدد القليل الذي بلغ الهدف، وكذا

(١) نشرت في الصفحة الأولى من صحيفة الصادقين بعددها الـ(٤٠) الصادر بتاريخ ٧ ربيع الأول ١٤٢٧ الموافق ٦ نيسان ٢٠٠٦.
(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

الأموال الطائلة التي تصرفها الحوزة العلمية من أجل وصول عدد الأصابع إلى الاجتهاد فتكون تلك الجهود العلمية والمالية التي بُذلت هي من أجل هذا العدد القليل الذي حقّق الهدف مع عدم إهمالنا للأدوار الأخرى لعلماء ومفكري وخطباء الحوزة العلمية.

ثم تحدّث عن المعاناة والآلام والإساءات التي ألحقها به أتباعه والمنتسبون إليه فضلاً عن أعدائه، وما هذه الإساءات التي تعرض لها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الصحف الغربية إلّا بسبب سوء سلوك المحسوبين عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ورداً على هذه الإساءة دعا سماحة الشيخ المسلمين إلى تجسيد سيرته الحسنة في حياتهم، وإلى استغلال الأيام الواقعة بين ذكرى استشهاده في الثامن والعشرين من صفر وولادته في السابع عشر من ربيع الأول للإشادة بسيرته الشريفة كالذي فعلناه في محاضرات وكتاب (الأسوة الحسنة للقادة والمصلحين) خصوصاً وأن هذه الفترة تضم مناسبات جليلة كذكرى الهجوم على دار فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ وذكرى استشهاد الإمام الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ.

## الفصل الثالث

# شهر رجب

مواعظ وتوجيهات
سماحة المرجع الديني
الشيخ محمد اليعقوبي
(دام ظله الشريف)

mouraqabat - zakharef.indd 37 6/13/14 2:14 PM

# مباركة المرجعية بحلول شهر رجب[١]

إن المتوقع من المؤمنين أن لا يُفَوِّتُوا فرصة التعرّض إلى النفحات الإلهية الخاصة في هذا الشهر، فليراجعوا كتب السُّنن والمستحبات لمفاتيح الجنان ليطلعوا على برامج العمل التي تناسبهم في عموم الشهر أو في أيامه الفضلى خاصة وأنه لمن نعم الله تعالى على العبد أن يواصل عليه هذه الفرص انطلاقاً من الدعاء الشريف: «واجعل الحياة زيادة لي في كلّ خير» وحينما يقوم أحد ممن وفقه الله تعالى لطاعته بمراجعة متأملة في أعمال هذا الشهر في كتاب (مفاتيح الجنان) فإنه سيجد العجب العجاب من كرم الخالق مما لا ينبغي لعاقل التفريط فيها.

وما أحوجنا نحن العراقيين لمثل هذه العودة إلى الله تبارك وتعالى عسى أن يرفع عنا البلاء ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٢].

إن مجرّد الالتفات إلى أنك في شهر رجب الذي تصبّ فيه الرحمة صبّاً واستذكار هذا الشيء فيه خيرٌ كثير فكيف إذا أديت بعض أعماله من صوم أو دعاء أو استغفار أو صلاة؟ حينئذٍ يحسُّ المؤمن أنه في نعيم مهما حفّت به من مكاره وصعوبات ومحن، ولذا ورد في الحديث الشريف ما مضمونه : «عجبت للمؤمن إن أمرضه الله كان خيراً له وإن عافاه كان خيراً له وإن أفقره كان خيراً له وإن أغناه كان خيراً» وهكذا فهو في خيرٍ دائم ما دام في رعاية الله ويعيش في ظل رحمة الله والعاقبة للمتقين.

---

(١) نُشر في العدد (٤٥) من صحيفة الصادقين الصادر بتاريخ ٢٩/ج١٤٢٧/٢ الموافق ٢٠٠٦/٧/٢٦.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

# أول رجب بداية السنة المعنوية[١]

المعروف أن بداية السنة الهجرية هو الأول من المحرم، وعند بعض المؤرخين أنه الأول من ربيع الأول باعتباره مبدأ هجرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وعند البعض الأول من شهر رمضان بحسب ما يستفاد من بعض الأدعية، هذا ولكن السنة المعنوية عند طالبي الكمال والمشتاقين إلى رضا الله تبارك وتعالى تبدأ في الأول من رجب، البداية التي تعني الانطلاقة الجديدة، وتعبئة الهمّة، وزيادة النشاط، ومراجعة صحائف الأعمال الماضية والأمل بفتح صحائف جديدة بيضاء.

ولعلّ من الشواهد على ذلك أن أصحاب كتب السنن والمستحبات كمفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي ومصابيح الجنان للسيد عباس الكاشاني رَحِمَهُ اللَّهُ يبدأون أعمال أيام وشهور السنة بأعمال شهر رجب، ويذكرون صلاة لشهر جمادى الآخرة باعتباره آخر شهر في السنة.

إن عظمة شهر رجب تأتي من جهتين (الأولى) شرفه الذاتي، والقيمة الكبرى التي أُعطيت لمن أدى عملاً فيه بما لا ترقى إليه الأعمال نفسها في شهور السنة الأخرى بحسب ما ورد في الروايات الشريفة حتى سُمّي (رجب الأصبّ) لأن الرحمة تُصبّ فيه صبّاً، و(الثانية) أن الاستعداد لضيافة الرحمن في شهر

(١) كلمة افتتح بها سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) درسه الخارج في الفقه يوم الأحد ٢/رجب/١٤٣٢ المصادف ٢٠١١/٦/٥.

رمضان تبدأ منه، حيث يتنعم أولياء الله تعالى بعيدهم في الشهر الكريم، فمن أراد أن يحظى بتلك الضيافة، ويفرح بعطاء الله تعالى في ذلك العيد، فلا بدّ أن يبدأ بالعمل وتقديم الطلبات ـ كما يقال ـ من شهر رجب، لينظر فيها في شهر شعبان، ويمضي القرار الإلهي بها في شهر رمضان، وهذا هو المدخل الطبيعي لنيل الألطاف الإلهية الخاصة، وإن كانت رحمة الله تعالى أوسع من ذلك.

وهذا وجه آخر غير ما ذكرناه في بعض المناسبات السابقة لمعنى ما ورد أن شهر رجب شهر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وشهر شعبان شهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وشهر رمضان شهر الله تبارك وتعالى، فيكون معناه أن السعي لنيل رضا الله تبارك وتعالى وألطافه الخاصة تبدأ من شهر رجب عن طريق أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنه باب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وولايته ميزان قبول الأعمال، ثم ينظر فيها في شهر شعبان بواسطة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ باب الرحمة الإلهية والوسيلة إلى رضوان الله تبارك وتعالى، ويشهد له ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[1] أنها ليلة النصف من شعبان، ثم يجري القضاء الإلهي بالفوز والفلاح وحسن الخاتمة في شهر رمضان بعد أن تكون مقدماته قد تحققت.

هذا هو شهر رجب في شرفه وفضله، وقد منّ الله تبارك وتعالى علينا بإدراكه، ولا شكّ أن الكثير من المؤمنين ملتفتون إلى ما فيه من أعمال مستحبة كالصوم في بعض أيامه المخصوصة وكلما زاد كان أفضل، وكالصلاة والذكر والدعاء والتسبيح وزيارة المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كزيارتي الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في الأول والنصف منه، وزيارة المبعث النبوي الشريف، كما تستحب فيه زيارة الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ والعمرة، وإحياء ذكرى المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

(١) سورة الدخان، الآية: ٤.

ولكن ما لا يُلتفت إليه إلّا نادراً أعمال الجوانح لا الجوارح أي ما يهذّب النفس ويطهّر القلب، مع أنها المقياس الحقيقي للكمال والقرب من الله تبارك وتعالى، وأنتم تعلمون أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لما انتهى من خطبته في استقبال شهر رمضان في آخر جمعة من شعبان، سأله أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أفضل الأعمال في هذا الشهر العظيم؟ فأجاب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إنه الورع عن محارم الله، والورع ملكة جوانحية ليست من أعمال الجوارح وإن كانت تظهر آثارها عليها فتمتنع عمّا حرّم الله تبارك وتعالى.

ولنذكر شاهداً على هذه التربية المعنوية التي قام بها المعصومون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ففي الخصال للشيخ الصدوق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسنده عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لم يعبد الله عز وجل بشيء أفضل من العقل ولا يكون المؤمن عاقلاً حتى يجتمع فيه عشر خصال: الخير منه مأمول، والشرُّ منه مأمون، يستكثر قليل الخير من غيره، ويستقل كثير الخير من نفسه ولا يسأم من طلب العلم طول عمره، ولا يتبرّم بطلّاب الحوائج قبله، الذلّ أحبّ إليه من العز، والفقرُ أحبّ إليهِ من الغنى، نصيبهُ من الدنيا القوت، والعاشرة وما العاشرة لا يرى أحداً إلاّ قال هو خير مني وأتقى، إنما الناس رجلان فرجل هو خيرٌ منه وأتقى وآخر هو شرٌّ منه وأدنى فإذا رأى من هو خيرٌ منه وأتقى تواضع لهُ ليلحق به، وإذا لقي الذي هو شرٌّ منهُ وأدنى قال: عسى خير هذا باطن وشرُّه ظاهر، وعسى أن يختم له بخير، فإذا فعل ذلك فقد علا مجده، وسادَ أهل زمانه»[1].

هذه هي الصفات التي يكمل بها عقل المؤمن وتكون أفضل وسيلة لنيل رضا الله تعالى: أن يكون الخير منه متوقعاً في قوله وفعله وسائر حركاته

(١) الخصال للشيخ الصدوق رَحِمَهُ اللَّهُ: ٤٣٣.

ومعاملاته مع الآخرين، والشرُّ منه مأموناً فلا يسيء إلى أحد ولا يعتدي على أحد ولا يجرح مشاعر الآخرين ولا يظلمهم ولا يبخسهم حقوقهم ولا يبغي عليهم، ولا يشهّر ولا يسقّط ولا يفتري، حتى لو أسيء إليه فلا يتوقع منه ردّاً عدوانياً.

يصنع المعروف إلى الناس من دون أن يصحبه مَنٌّ أو أذى، بل لا يجد في نفسه أنه قدّم شيئاً يُذكر وإن كان عملاً عظيماً كإنقاذ إنسان من موت أو تفريج كربة نكّدت حياته، لكنه إذا صُنِع إليه المعروف فإنه يجد نفسه مديناً لمن فعله ولا ينساه طول حياته حتى لو كان شيئاً بسيطاً لا يستحق أن يذكر كتقديم شربة ماءٍ له.

وهكذا يستمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في ذكر هذه الخصال الكريمة حتى يصل إلى العاشرة وما أدراك ما العاشرة! إنها التواضع للناس والذل الباطني والشعور بأنه أحقر هذا الخلق وأتفههم وأن كلّ الناس أفضل منه وأكرم عند الله تعالى، ويذكر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لذلك وجهين:

إن الآخر حتى لو كان سيئاً في جملة من أفعاله فلعلّ له خصلة كريمة عرفها الله تبارك وتعالى منه ولا نعلمها كالبرِّ الشديد بالوالدين أو حب الناس وإنصافهم أو الغضب لله تعالى قد نالت رضا الله تبارك وتعالى فعفا وصفح عن ذنوبه في حين أن المتظاهر بالصلاح، لعل له خصلة سيئة أوجبت المقت الإلهي فحبطت بها الأعمال والعياذ بالله.

إن الأمور بخواتيمها، فهذا الإنسان الذي تعتقد أنه سيئ الآن ولكنك لا تعلم كيف يُختم عمله، وكذا الإنسان الذي يظهر منه الصلاح، ولكن قد تنقلب الأمور إلى العكس، والعاقبة للمتقين والأمثلة كثيرة كالخاتمة الحسنة

للحرّ الرياحي، والخاتمة السيئة لمن انقلبوا على الأعقاب من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كما وصفتهم الآية الشريفة.

إنّ من يتأمل في هذا الحديث الشريف وفي الدعاء الوارد في شهر رجب: «يا من أرجوه لكلّ خير، وآمن سخطه عند كلّ شرّ يا من يعطي الكثير بالقليل، يا من يعطي من سأله، يا من يعطي من لم يسأله ولم يعرفه تحنناً منه ورحمة»، يجد مطابقة وانسجاماً بين جملة من فقراتهما، لأننا أمرنا بالتخلق بأخلاق الله وهذه المذكورة في الدعاء من أخلاقه تبارك وتعالى هي نفسها التي يكمل بها عقل المؤمن، وكأنه إيحاء بأن شهر رجب باعتباره بداية انطلاقة جديدة للعمل ومراجعة للماضي لإصلاح ما فسد، وتكميل ما صلح، كأنّ هذا الشهر هو فرصة التأمل في هذه الخصال العشر والسعي الحثيث لتحقيقها بفضل الله تبارك وتعالى.

# بمناسبة حلول أيام الله تبارك وتعالى في شهر رجب[١]

قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ﴾[٢] ولا شكَّ أن شهر رجب من أيام الله تعالى لما ورد من أن الرحمة تُصَبُّ فيه صبّاً حتى سُمِّي رجب الأصبّ.

فهو شهر مبارك من حين إطلالة هلاله ومن أول ليلة منه، فقد روى الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن آبائه عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليهم أجمعين) قال: «كان يعجبه أن يفرِّغ نفسه أربع ليالٍ في السنة، وهي أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، وليلة النحر»[٣].

وليس هذا وحده، فبحلوله تبدأ أشهر ضيافة الله تعالى التي تبلغ ذروتها في شهر رمضان المبارك، فمن أراد أن يحظى بكرامة الله تبارك وتعالى وشرف دعوته فليهيّئ نفسه من شهر رجب؛ لأن بطاقة الدعوة إلى ضيافة الرحمن في شهر رمضان تُقدّم من شهر شعبان من قبل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والدخول إلى حضرة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يكون من خلال أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في شهر رجب، وهذا واحد من معاني الحديث أن شهر رجب شهر أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وشعبان شهر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وشهر رمضان شهر الله تعالى، فالنظر في مستحقي ضيافة الرحمن في شهر رمضان تكون من شهر رجب بواسطة أمير

(١) كلمة ألقاها سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) على الفضلاء الذين يحضرون بحثه الخارج يوم الأحد ٢٨/ج٢/١٤٣٣ الموافق ٢٠١٢/٥/٢٠.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٥.

(٣) مفاتيح الجنان: ٢٢٢ أعمال اللّيلة الأولى من رجب.

المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وتُقدّم إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لينظر فيها في شهر شعبان ويقدّمها إلى الله تبارك وتعالى وهو الذي وسعت رحمته كلّ شيء.

وهذا الترابط بين الأزمنة بحيث يكون القضاء في وقت والتقدير في وقت آخر يحلُّ لنا بعض الإشكالات، فمثلاً من المعلوم الذي وردت فيه الروايات الشريفة أن ليلة القدر تقدّر فيها الأرزاق والآجال والعواقب، وورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[1] أنها ليلة النصف من شعبان، وهذا تعارض بحسب الظاهر بينهما، إلّا أنه يندفع التعارض بين التفسيرين: بأن في ليلة النصف من شعبان يُنظر في قضاء الأمور وتوزيع الاستحقاقات والأرزاق في الدنيا والآخرة، أي يجري فيها القضاء من دون قدر أي حسم، وتقدّم بما يسمى (مطالعة) في العرف المتداول، ثم تُحسم ويتحتم فيها القضاء والقدر في ليلة القدر، وفي بعض أدعية شهر رمضان إشارة إلى هذا الترابط: «اللّٰهُمَّ إني أسألك أن تجعل فيما تقضي وتقدِّر من الأمر المحتوم في الأمر الحكيم من القضاء الذي لا يردُّ ولا يُبدّل أن تكتبني من حجّاج بيتك الحرام إلى آخره...».

وبهذا أيضاً يجاب على دخول ليلة التاسع عشر من شهر رمضان في ليالي القدر مع أن الروايات الصحيحة دلّت على كونها في العشر الأواخر من شهر رمضان، وتفسير ذلك أن في ليلة التاسع عشر من شهر رمضان تُقدّم الطلبات وتُرفع الدعوات، وفي الليلة الحادية والعشرين يُنظر في الاستحقاقات وتقدَّر القواعد العامة لها من دون تطبيق تلك القرارات على الأفراد، حتى تُحسم في ليلة القدر، فمن أراد أن يكون من أهل ليلة القدر فلا يفوِّت العمل منذ ليلة التاسع عشر ولا يتوهم أنها ليست من ليالي القدر فيتهاون في العمل فيها، فإن تلك الليالي تبدأ بها فعلاً وتُقدَّم فيها الطلبات.

(١) سورة الدخان، الآية: ٤.

وإذا أردنا أن نمثل لمورد من الفقه للقضاء بقدر وللقضاء بدون قدر فهي الحدود والتعزيرات، فإن موجباتهما تشترك بأنها جنايات وجرائم وجنح تستحق العقوبات، فهي جميعاً مما قضى الله تعالى فيها بالعقوبات، إلّا أنها تفترق بأن في موارد الحدود قُدّرت العقوبة، أما في التعزيرات فلم تقدَّر وتُرك تقديرها إلى ولي الأمر، فاجتمع في الحدود القضاء والقدر، أما في التعزيرات فقضاء بلا قدر.

ومن هذه المقدمة نتعرف على أهمية شهر رجب بأنها ليست فقط ناشئة من شرف نفس الشهر وكرامته والألطاف الإلهية العظيمة المتاحة للعباد فيه، بل لأنه بداية أشهر ضيافة الرحمن التي تكتمل في شهر رمضان.

فعلينا أن نؤهل أنفسنا لتلقي هذه الألطاف الإلهية، بمزيد من الالتفات والذكر والمراجعة لعلاقتنا مع الله تبارك وتعالى، وتكون هذه المراجعة والمحاسبة على عدة محاور وبعدّة اتجاهات، فالأعمال الصالحة التي كنّا نؤدّيها نداوم عليها ونحسِّن أداءها، والتي كنّا لا نؤديها نبادر إلى الإتيان بها، والتي كنا نؤدي جزءاً منها نكملها، وإذا وُجد في برامج حياتنا تضييع وتفريط بالوقت الثمين من أعمارنا فيما لا ينفعنا في الآخرة فعلينا أن نتجنبه ونحوّله إلى وقتٍ مثمرٍ ومنتجٍ بالأعمال الصالحة.

فمن كان يؤدي الصلاة في أوقاتها وفي المساجد ويؤدّيها جماعة فليحافظ عليها وليواظب فإنّها كالدواء الذي له وقت معيّن لتناوله وإذا لم يلتزم بالوقت المحدّد فإنه يفقد جزءاً كبيراً من منفعته.

ومن كان لا يؤدي صلاة الليل أو يكتفي بركعتي الشفع والوتر منها ليضاعف همّته ويواظب عليها فإن المقامات المحمودة عند الله تبارك وتعالى لا تُنال بغير التهجّد بالليل قال تعالى مخاطباً نبيّه العظيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾[1].

(١) سورة الإسراء: الآية: ٧٩.

ومن كان لا يؤدي النوافل اليومية ليقم ولو ببعضها كركعتي نافلة العشاء والصبح والغفيلة بعد صلاة المغرب وركعتين من نافلة الظهر والعصر حتى لا يُعدُّ من التاركين لها على الأقل.

وليتذكر أداء صلاة أول الشهر في أول يوم منه وهي ركعتان بالحمد وثلاثون مرة سورة التوحيد في الركعة الأولى، والحمد وثلاثون مرة سورة القدر في الركعة الثانية ثم يقرأ دعاءً قصيراً موجوداً في الكتب المخصّصة ثم يتصدق بما يتيسّر فإنه يشتري بذلك سلامة هذا الشهر.

وإذا لم يكن ممن يتصدق فليكن من أهل الآية الشريفة ﴿ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾[1]. فيعزل مقداراً ولو يسيراً في أول الليل ـ أي بعد صلاة المغرب ـ ومقداراً في أول النهار ـ أي بعد صلاة الصبح ـ حباً لله تعالى ما دام هذا الفعل محبوباً لله تعالى وليدفع عنه وعن أهله السوء.

ولا يغفل عن صلاة جعفر الطيار ضحى يوم الجمعة فإنها تسمى الإكسير الأعظم لما فيها من أثرٍ في الارتقاء والتكامل.

ومن الأعمال المميّزة في هذا الشهر الصوم، وكلما أكثر منه فهو خير بحسب ما تسمح قوته الجسمية وظروفه المحيطة به كطبيعة عمله، والمعدّل المناسب هو ثمانية أيام في مجموع الشهر لقول الإمام الباقر عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: «ومن صام ثمانية أيام من رجب فتحت له أبواب الجنة الثمانية فيدخلها من أيّها شاء»[2].

وليحرص على توقيتها في الأيام الشريفة وهي:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٤.

(٢) وسائل الشيعة، أبواب الصوم المندوب، باب٢٦ ح٥.

١ ـ اليوم الأول فيه فضل عظيم[١].

٢ ـ ثلاثة أيام في الشهر التي أوصى بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ودعاه إلى الالتزام بسنّته فيها، وهي أول خميس من الشهر والأربعاء في العشرة الوسطى وآخر خميس من الشهر فمن صامها فكأنما صام الشهر كله، ومن واظب عليها في جميع الشهور فكأنما صام الدهر كلّه كما ورد في بعض الروايات.

٣ ـ الأيام البيض الثلاثة (١٣، ١٤، ١٥).

٤ ـ يوم السابع والعشرين وهو يوم المبعث النبوي الشريف.

٥ ـ آخر ثلاثة أيام من الشهر.

٦ ـ ثلاثة أيام (الخميس والجمعة والسبت) من الأسبوع لما ورد من استحباب صوم مثل هذه الثلاثة في الأشهر الحرم ورجب منها.

فتحقق بذلك الثمانية مضافاً إلى الثواب المخصوص لبعض الأيام.

روى الشيخ الصدوق رضوان الله عليه بسنده عن سالم قال: (دخلت على الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في رجب وقد بقيت منه أيام، فلما نظر إليَّ قال لي: يا سالم: هل صمت في هذا الشهر شيئاً؟ قلت: لا والله يا بن رسول الله، فقال لي: فقد فاتك من الثواب ما لم يعلم مبلغه إلّا (الله عز وجل) إن هذا شهر قد فضّله الله وعظّم حرمته وأوجب للصائمين فيه كرامته، قال: فقلت له: يا بن رسول الله، فإن صمت مما بقي منه شيئاً، هل أنال فوزاً ببعض ثواب الصائمين فيه؟ فقال: يا سالم من صام يوماً من آخر هذا الشهر، كان ذلك أماناً له من شدة سكرات الموت،

(١) مفاتيح الجنان أعمال اليوم الأول من شهر رجب.

وأماناً له من هول المطلّع وعذاب القبر، ومن صام يومين من آخر هذا الشهر كان له بذلك جوازٌ على الصراط، ومن صام ثلاثة أيام من آخر هذا الشهر أمن يوم الفزع الأكبر من أهواله وشدائده وأُعطي براءة من النار)[١].

وروايات كثيرة في (وسائل الشيعة) وغيرها محفزة على هذا العمل الصالح.

ولا يغفل عن ليلة الرغائب وهي أول ليلة جمعة من شهر رجب ولها أعمال مذكورة بعد أن يصوم أول يوم الخميس من الشهر.

ومما ينبغي المواظبة عليه في هذا الشهر الشريف إقامة الشعائر الدينية وزيارة الأئمة المعصومين عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ لوجود عدة مناسبات فيه لأهل البيت عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ ففي الأول منه ولادة الإمام الباقر عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وفي الثالث منه شهادة الإمام الهادي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وفي العاشر ولادة الإمام الجواد عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وفي الثالث عشر ولادة أمير المؤمنين عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وفي النصف منه وفاة العقيلة زينب عَلَيۡهَا ٱلسَّلَامُ وفي الخامس والعشرين شهادة الإمام الكاظم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وفي السابع والعشرين ذكرى المبعث النبوي الشريف.

وفيه زيارتان مخصوصتان مهمتان للإمام الحسين عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في الأول والنصف منه وسُميت بالغفيلة لغفلة عامة الناس عن فضلها، وفيه الزيارة المخصوصة لأمير المؤمنين عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في المبعث النبوي الشريف.

وأكثروا من تلاوة القرآن الكريم كلما تيسّر لكم ذلك والأدعية الشريفة واذكروا الله تعالى في أوقات الغفلة.

واغتنموا هذه الأشهر لمراجعة النفس والعلاقة مع الأهل ومنهجهم في الحياة ومدى مطابقة سلوكهم لما يريده الله تبارك وتعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ

(١) راجع (مفاتيح الجنان) للشيخ عباس القمي في (أعمال شهر رجب)، ورواها في وسائل الشيعة، أبواب الصوم المندوب.

أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[1]. برّوا بوالديكم وأظهروا لهم المودة والشفقة والرحمة، وصلوا أرحامكم وأصلحوا ذات بينكم وما فسد من أمور مجتمعكم، وأكثروا من الدعاء لصاحب الأمر الحجة الخلف الهادي المهدي (أرواح العالمين له الفداء)، وحسّنوا أخلاقكم، وادعوا الناس إلى كلّ خيرٍ وساعدوهم على اجتناب كلّ سوء أعاذنا الله وإيّاكم.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل رضاه ومن أهل طاعته في هذه الأشهر الكريمة وفي كلّ آنٍ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.

# ٢٧
# رجب

## الألطاف الإلهية
## في البعثة النبوية الشريفة[١]

### من الأسماء الحسنى (اللطيف) ومنشؤه أكثر من وجه

**الأول**: إن اللطيف هو كلّ ما دقّ وصغر وشفّ بحيث تعجز العين عن إدراكه، والله تبارك وتعالى لطيف بهذا المعنى فهو لا تدركه الأبصار وبعُد حتى عن خطرات الظنون، وهو لطيف لعلمه بالأشياء اللطيفة فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وفي الحديث: «الله لطيف لعلمه بالشيء اللطيف».

**الثاني**: من اللطف وهو الرفق، والله لطيف بعباده ومخلوقاته أي رفيق بهم.

ويمكن إرجاع أحد المعنيين إلى الآخر، فالألطاف الإلهية بالعباد خفيّة لا يدركونها وهم يتنعمون فيها ولذا قيل: «وكم لله من لطف خفي».

واللطف في المصطلح هو كلّ ما يقرّب من الطاعة ويبعّد عن المعصية من دون أن يصل إلى درجة الإلجاء وسلب الاختيار ولذا ورد في الرواية: «لا جبر ولا تفويض، قلت: فماذا؟ قال: لطف من ربك بين ذلك».

وألطاف الله تبارك وتعالى على العبد لا تُعد ولا تُحصى، فوجوده لطف

---

(١) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع طلبة الجامعات الذين انتظموا في دورات سريعة خلال العطلة الصيفية لتحصيل العلوم الدينية في الحوزة العلمية في النجف يوم الأحد ٢٨ رجب ١٤٣١ المصادف٢٠١٠/٧/١١.

إذ لو كان معدوماً لما استطاع أن يعمل ويتكامل، والهداية إلى الإيمان بالله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لطف، فلو لم يهدنا الله تبارك وتعالى لما عرفنا الطريق الموصل إلى الكمال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[1]، وأعضاء البدن لطف إذ لو لم يكن له بدن لما استطاع أن يقوم بالعبادات المقرّبة لله تبارك وتعالى، والمال لطف فبدونه لا يستطيع الإتيان بالكثير من القربات كالحج والزيارة والإنفاق في سبيل الله تعالى والتوسعة على العيال إلى ما لا يُحصى من الألطاف المقربة من الطاعة والمعينة عليها.

والأدعية والمناجاة وسائر الأذكار لطف، إذ بدونها لا نعرف ماذا نقول بين يدي الله تبارك وتعالى وما هو مقتضى آداب العبودية، بل لا نعلم هل يحق لنا أن نقف بين يديه تبارك وتعالى ونخاطبه، ونحن نرى أن إنساناً وضيعاً يتبوأ موقعاً لا قيمة له كوزير أو ملك، توضع (أتيكيت) لزيارته ومحادثته والآداب الواجب اتباعها بحضرته، بينما نخاطب رب العالمين متى شئنا وبما شئنا وبأي لغة نشاء وهو جلّ جلاله يقبل علينا ويسمع منا ويبادلنا من الحب والرحمة أكثر مما نعطي، لذا ورد في مناجاة الذاكرين: «ومن أعظم النِّعم علينا جريان ذكرك على ألسنتنا، وإذنك لنا بدعائك وتنزيهك وتسبيحك».

ومن أعظم الألطاف الإلهية البعثة النبوية الشريفة التي نعيش عبق ذكراها، فقد شكّلت أعظم نقلة في تاريخ البشرية لأمة كانت متهرئة متخلفة يقتل بعضها بعضاً وتتفاخر بالموبقات والجرائم كوأد البنات والزنا وشرب الخمر وهي مشتتة متفرقة أحاطت بها دول قوية تنهشها، حوت جميع المنكرات والمفاسد، فأصبحت ببركة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أمّة متحضرة مدنية تقود العالم وتهدي البشرية وتقدم لبني الإنسان أعظم قانون يكفل السعادة والصلاح.

ولو لم يبعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وتُركت الجاهلية على حالها فإنه لا يعلم

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

إلّا الله تعالى ما صرنا إليه اليوم، إذا كان حال أولئك وهم أقرب عهداً للرسالات والديانات السماوية ولهم فرص أقل من الفساد هو ما ذكرناه فكيف إذا طال بهم الأمد إلى اليوم من تنوع أدوات الضلال والفساد والجريمة وتقنينه بالشكل الذي نعاصره.

فكلُّ خيرٍ يصل إلينا وكلّ مكرمة يمكن أن توجد فينا، بل كلّ وجودنا فنحن مدينون بفضله لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبركات بعثته الشريفة، التي هي من الألطاف الإلهية الخاصة لهذه الأجيال، فاعرفوا حق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأكثروا من الصلاة عليه والدعاء له.

وهنا نُشير إلى نكتة وهي أن اسم (اللطيف) يستعمل في موارد اللطف، وهذا من بلاغة القرآن الكريم حيث تنتهي الآية بما يناسب مضمونها، فإذا كان المضمون حكماً صارماً وموقفاً حازماً ـ كآية القطع في السرقة ـ فإنها تنتهي بالعزيز الحكيم، وإذا كان مورد رحمة ورفق انتهت بالرؤوف الرحيم، وعلى هذا جرت السُّنة الشريفة، فدقّقوا في الموارد التي ذكر فيها اسم (اللطيف) لتعرفوا موارد اللطف، وأوضحها في أذهانكم حديث الثقلين المشهور الذي ألزم الأمة بالتمسك بالثقلين وفيه: (وقد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض).

وأي لطف أعظم على الأمة بعد البعثة النبوية الشريفة من لطف حبلي القرآن والإمامة؟

ونريد هنا أن نأخذ درسين من هذا الاسم المبارك (اللطيف):

١ ـ إننا أمرنا بالتخلق بأخلاق الله تبارك وتعالى وأن نتصف بأسمائه الحسنى، ومنها هذا الاسم المبارك (اللطيف) فإن الله تعالى لطيف بعباده يقربهم من الطاعة ويبعدهم عن المعصية، قال تعالى: ﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى

قُلُوبِكُمُ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾[١]. وخصوصاً أنتم أتباع أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فإنكم تحظون بألطاف خاصة دون غيركم لذا تجدون هذا الحماس والاندفاع والتضحية في سبيل الله تعالى مما لا يوجد عند غيركم وهذا يكشف عن هذه الألطاف الخاصة.

وقد مرّت علينا في الأسبوع الماضي ذكرى وفاة الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ ورأيتم الملايين وقد زحفت رغم الحرّ الشديد الذي تجاوزت فيه درجة الحرارة نصف درجة الغليان ـ كما وصفت بعض القنوات ـ في الظلّ أما في الشمس فتتجاوز ٧٠ درجة مئوية، ورغم عمليات القتل التي نفذها المجرمون طيلة ثلاثة أيام المناسبة الثلاثة، ومع ذلك لم يتوقف هذا الزحف المبارك، فهذا كلّه ناشئ من هذا التزيين الذي لطف به الله تبارك وتعالى.

فليكن كلّ منا لطيفاً بهذا المعنى أي يكون مقرباً للناس من الطاعة ويزينها لهم ويحثّهم عليها، ويبعدهم عن المعصية ببيان مساوئها وأضرارها وأخطارها في الدنيا والآخرة ويوجد البدائل الصالحة عنها، وليعرف من يعمل على عكس ذلك أنه بعيد عن الله تعالى وغير متصف بأسمائه، كما نرى من بعض المتدينين صدور بعض التصرفات المنفرة عن الدين بحيث إن البعض ممن يُراد هدايتهم ودعوتهم إلى الالتزام بالدين يجيب: لا حاجة لي بالدين وانظر إلى المتدينين كيف يفعلون كذا وكذا؟

وهو مخطئ طبعاً بهذا التصور، ولكن هذه النتيجة قد حصلت على أي حال.

وقد يحصل التنفير من الطاعة بأن نحمّل الناس ما لا يطيقون ولا نُراعي الدرجات المتفاوتة لإيمانهم، فنثقل مثلاً على الشباب المهتدي حديثاً للإيمان

(١) سورة الحجرات، الآية: ٧.

بقائمة طويلة من المستحبات والمكروهات ونحاسبه على بعض تصرفاته التي يمكن غضّ النظر عنها فينفر منها ومن الواجبات أيضاً.

إن كلاً منكم يستطيع أن يحقّق صفة (اللطيف) بحسب عنوانه وموقعه ومساحة تأثيره ولا أقل من نفسه أولاً ثم أسرته وأصدقائه وزملائه في العمل، ولعل الحوزة العلمية تتمتع بأوسع الفرص من هذه الناحية، وأنتم كذلك يا طلبة الجامعات الذين قضيتم دورة سريعة في العلوم الدينية في رحاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف خلال العطلة الصيفية فتزوّدتم بما يُعينكم على هداية الناس وتقريبهم للطاعة.

٢ ـ إن اللطف واجب على الله تعالى كما يقولون في كتب العقائد. بمعنى أنه نفسه كتب على نفسه اللطف بعباده وقد ظهر هذا ـ فيما بعد ـ في بعث الأنبياء وإرسال الرسل وإنزال الكتب، ثم واصلها بنصب الأئمة الطاهرين (سلام الله عليهم).

ولا ينقطع اللطف بانقطاع الوجود الظاهري للأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لأن أسماء الله الحسنى ثابتة له تبارك وتعالى، فاللطف يقتضي وجود امتداد لهذه السلسلة المباركة من الأنبياء والأئمة متمثلاً بالعلماء السائرين على نهجهم والمقتفين لآثارهم ولا تخلو الأرض منهم، ومرور أربعة عشر قرناً حافلة بالأساطين منهم شاهد على ذلك وسيبقى حتى ظهور القائم (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) وحينئذٍ فمن يقول: إننا لا نحتاج إلى المرجعية، أو أنه لا توجد مرجعية نقلدها، أو أن لدينا فقهاً يكفينا لكذا من السنين فلا نحتاج للرجوع إلى أحد، فمثل هذا بعيد عن الصواب ولو حللنا كلامه فإنه ينكر هذا الاسم من الأسماء الحسنى والعياذ بالله.

## رجب وشعبان إعداد وتأهيل لشهر رمضان[١]

ورد في دعاء الإمام السجاد لتوديع شهر رمضان قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا مَنْ تَحَمَّدَ إلى عِبَادِهِ بِالإحْسَانِ وَالْفَضْلِ، وَغَمَرَهُمْ بِالْمَنِّ وَالطَّوْلِ، مَا أَفْشَى فِينَا نِعْمَتَكَ، وَأَسْبَغَ عَلَيْنَا مِنَّتَكَ، وَأَخَصَّنَا بِبِرِّكَ هَدَيْتَنَا لِدِينِكَ الَّذِي اصْطَفَيْتَ، وَمِلَّتِكَ الَّتِي ارْتَضَيْتَ، وَسَبِيلِكَ الَّذِي سَهَّلْتَ، وَبَصَّرْتَنَا الزُّلْفَةَ لَدَيْكَ، وَالْوُصُولَ إلى كَرَامَتِكَ». ثم يخص بالذكر منته تبارك وتعالى علينا بشهر رمضان التي هي من أعظم النعم فيقول: «اللهُمَّ وَ أَنْتَ جَعَلْتَ مِنْ صَفَايَا تِلْكَ الْوَظَائِفِ، وَخَصَائِصِ تِلْكَ الْفُرُوضِ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي اخْتَصَصْتَهُ مِنْ سَائِرِ الشُّهُورِ، وَتَخَيَّرْتَهُ مِنْ جَمِيعِ الأَزْمِنَةِ وَالدُّهُورِ»، إلى أن يقول: «ثُمَّ آثَرْتَنَا بِهِ عَلَى سَائِرِ الأُمَمِ، وَاصْطَفَيْتَنَا بِفَضْلِهِ دُونَ أهل الْمِلَلِ».

(١) كلمة ألقاها سماحة الشيخ (دام ظله الشريف) بمناسبة حلول شهر رجب ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠٠٢/٩/٨ م.

# رجب وشعبان
# إعداد وتأهيل لشهر رمضان

ونعمة عظيمة كهذه تتطلب إعداداً لتحملها واستثمارها كأفضل ما ينبغي، لذا كان شهرا رجب وشعبان محطتي تدريب وتأهيل للدخول في شهر رمضان يتسامى فيهما المؤمن ويتكامل ويقترب من الله تبارك وتعالى ليدخل في ضيافة الله وهو على أتم الاستعداد، أما الذي يدخل شهر رمضان من دون إعداد فسيجده ثقيلاً خاوياً من السموّ الروحي، ويحتاج إلى مرور أيام منه ليتفاعل معه، فيخسر بركة هذه الأيام وعطاياها وهي خسارة لا تعوّض فإن لكلّ يوم من شهر رمضان مِنَحاً إلهية خاصة به.

## المماثلة بين أعمال الأشهر الثلاثة

من هنا تجد المماثلة بين أعمال الأشهر الثلاثة، فيستحب فيها الغسل، وتشترك بالصوم حتى استحب صوم شهري رجب وشعبان جميعاً ووصلهما بشهر رمضان، وبالدعاء والصدقة ووجود صلوات وأدعية مخصوصة لليالي والأيام، وتتوزع فيها أيام مباركة لمضاعفة الأجر ولتعجيل التكامل وتسريعه كالأول والنصف من رجب وليلة الرغائب وهي أول ليلة جمعة من رجب وليلة المبعث ويومه والنصف من شعبان، كما أن الليالي البيض (١٣ و١٤ و١٥) لها جميعاً أعمال مشتركة بعضها يكمل بعضاً، كما أنها تشترك جميعاً في أعمال خاصة لليوم الأخير منها وهذه المماثلة في الأعمال لها أثر بليغ في تعويد الإنسان على هذه الأعمال الشاقة (هي النفس ما عودتها تتعود) وجعل العمل عادة يقرب الإنسان من الالتزام به ويخفِّف من مشقته، كاستحباب تمرين الأطفال على التكاليف الشرعية قبل البلوغ بمدة.

## علامات الإعداد والتأهيل

الإعداد والتأهيل للمؤمن تجده واضحاً في هذين الشهرين لو التفتنا إلى عدة أمور:

١ـ التدرج في الأعمال كمّاً وكيفاً فتكون أعمال شعبان أكثر وأهم أعمالاً من رجب، وكذلك شهر رمضان أعماله أشدّ وأهم من شعبان، ومعها تتصاعد الهمة لأداء هذه الأعمال، فقبل شهر رجب قد يجد الإنسان صعوبة وضيقاً نفسياً من الصوم ولو يوماً واحداً، فإذا حلّ رجب تولدت الرغبة لديه لصوم عدد من الأيام وربما كلّه وتكون الهمّة أكبر في شعبان وهكذا.

٢ـ ازدياد تركيز المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على فضل الأشهر كلّما تقدم المؤمن فيها، فشعبان أفضل من رجب، وشهر رمضان أفضل من شعبان، ليزداد اهتمام المؤمن وتوجهه إلى الطاعة كلما يشعر بأن الفضل والثواب يزداد، حيث نسب شهر رجب في بعض الروايات إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وشهر شعبان لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وشهر رمضان لله تبارك وتعالى، وتشهد لهذا المعنى ما ورد في دعاء الإمام السجاد في شعبان: (وهذا شهرُ نبيِّك سيّدِ رُسُلِك شعبان الذي حفَفتَه مِنكَ بالرحمةِ والرضوانِ).

٣ـ جعل أهم عمل فيهما هو الاستغفار والصدقة بل إن شهر رجب خصّ باسم شهر الاستغفار فعن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: رجب شهر الاستغفار لأمتي فأكثروا فيه الاستغفار فإنه غفور رحيم ويسمى رجب الأصبّ لأن الرحمة على أمتي تصبّ صبّاً فيه فاستكثروا من قول: أستغفر الله وأسأله التوبة»، وفي حديث عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما أفضل ما يفعله فيه (أي شعبان)؟ قال: الصدقة والاستغفار ومن تصدق بصدقة في شعبان رباها الله تعالى كما يربي أحدكم فصيله حتى يوافي يوم القيامة وقد

صار مثل أُحد»[١].

## أثر الصدقة والاستغفار في تنقية القلب

ونحن نعلم أثر هذين العملين في تنقية قلب المؤمن وتهذيب نفسه لتتأهل للكمال، كالأرض إذا أريد لها أن تنتج ثماراً طيبة فلا بدّ أولاً من تنقية الأرض وتنظيفها من الشوائب، وهكذا النفس والقلب فإنهما قد تكدرا خلال السنة باتّباع الهوى والخوض في أمور الدنيا مما يجعلهما غير مؤهلين لاستقبال النفحات الإلهية في شهر رمضان، فلا بدّ من تطهيرهما وتهذيبهما بالصدقة خصوصاً صدقة السرّ التي تطفئ غضب الرب كما في بعض الأحاديث، والاستغفار خصوصاً مع الالتفات إلى المعنى الحقيقي للاستغفار الذي شرحه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لرجل قال بحضرته: «أستغفر الله»، فقال له عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن الاستغفار يقع على ستة معانٍ، الأول: الندم على ما مضى، والثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً، والثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم «المادية والمعنوية»[٢].. والرابع: أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها فتؤدي حقها، والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان..، والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: أستغفر الله»[٣].

إنك تجد في أعمال هذين الشهرين الإكثار من الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وآله بل قد كرست أدعية لذلك ومنها الصلوات المروية في الأعمال العامة لشهر شعبان: (اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ شَجَرَةِ النُّبُوَّةِ

(١) مفاتيح الجنان.
(٢) المادية: من أموال وأغراض ونحوها، والمعنوية: كرد اعتبار من أسأت إليه أمام الآخرين بأن تعتذر له وتعترف بخطئك أمامهم.
(٣) نهج البلاغة: الجزء الرابع، صفحة ٩٧.

وَمَوْضِعِ الرِّسَالَةِ... إلخ)، ومن الواضح أن محمداً وآل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هم واسطة الفيض الإلهي[١] وأبواب رحمته ولا يصل الإنسان إلى الكمال إلّا بولايتهم، فيكون من الضروري الإكثار من الدعاء لهم والتوسل بهم لرفع مستوى التأهيل والاستعداد لتقبّل الإفاضات الإلهية، وفي الحديث المروي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «صلاتكم عليَّ مجوزة لدعائكم ومرضاة لربكم وزكاة لأبدانكم»[٢].

الانتباه من الغفلة والتحذير منها من خلال تركيز الدعاء بالوقاية منها والاستعاذة بالله من الابتعاد عنه كقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ولا تجعلني من الغافلين المبعدين»[٣] وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ولا تكلنا إلى غيرك»، «اللّٰهُمَّ إني أسألك أن تجعل لي إلى كلّ خير سبيلاً ومن كلّ ما لا تحب مانعاً يا أرحم الراحمين». وتستمر هذه الصحوة من الغفلة ليدخل شهر رمضان وهو في التفات كامل وذكر دائم لله تبارك وتعالى.

استثارة أسباب الرحمة والعطف عند الله تعالى ليقبلنا الله تبارك وتعالى عبيداً تائبين عائدين إليه، وتجد هذا المعنى واضحاً من خلال الأدعية وبأشكال متعددة كالتسليم بغنى الله وفقر الإنسان كقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اللّٰهُمَّ أنت العلي العظيم وأنا عبدك البائس الفقير أنت الغني الحميد وأنا العبد الذليل، اللّٰهُمَّ صلِّ على محمد وآل محمد وامنُن بغناك على فقري وبحلمك على جهلي وبقوتك على ضعفي يا قوي يا عزيز»، وكالاعتراف بأن لا ملجأ منه تبارك وتعالى إلّا إليه:

---

(١) فكلّ ما يصل إلينا من علم ورحمة ورزق وعافية وقوة و..فهو عن طريقهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كما جاء في الزيارة الجامعة (بكم فتح الله وبكم يختم، وبكم يُنزِّل الغيث، وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، وبكم ينفّس الهم ويكشف الضر) فينبغي علينا أن لا نغفل عن هذا المعنى المهم لكي تكون علاقتنا بهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أوثق وأمتن ولكي نؤدي حقوقهم المفروضة علينا بالمستوى المطلوب.

(٢) بحار الأنوار: ٦٨/٩١.

(٣) مفاتيح الجنان، الفصل الأول: في فضل شهر رجب وأعماله، القسم الأول: الأعمال العامة، الدعاء الثاني.

«خَابَ الْوَافِدُونَ عَلَى غَيْرِكَ، وَخَسِرَ الْمُتَعَرِّضُونَ إِلّا لَكَ، وَضَاعَ الْمُلِمُّونَ إِلاّ بِكَ، وَأَجْدَبَ الْمُنْتَجِعُونَ إِلاّ مَنِ انْتَجَعَ فَضْلَكَ»، وكالتوسل إليه بأحب أسمائه إليه: «اللّٰهُمَّ يا ذا المنن السابغة والآلاء الوازعة والرحمة الواسعة والقدرة الجامعة والنعم الجسيمة والمواهب العظيمة والأيادي الجميلة والعطايا الجزيلة يا من لا ينعت بتمثيل ولا يمثّل بنظير ولا يغلب بظهير» إلى أن يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا من سما في العزّ ففاق نواظر الأبصار ودنا في اللطف فجاز هواجس الأفكار، يا من توحد بالملك فلا ندَّ له في ملكوت سلطانه، وتفرد بالآلاء والكبرياء فلا ضدّ له في جبروت شأنه، يا من حارت في كبرياء هيبته دقائق لطائف الأوهام وانحسرت دون إدراك عظمته خطائف أبصار الأنام» إلى أن يقول: «أسألك بهذه المدحة التي لا تنبغي إلّا لك..» إلخ.

## المعصومون يهيئون شيعتهم في هذين الشهرين

وقد كان المعصومون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يهيئون شيعتهم في هذين الشهرين لاستقبال شهر رمضان وهم على أحسن حال، فعن أبي الصلت الهروي قال: «دخلت على الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخر جمعة من شعبان فقال لي: يا أبا الصلت إن شعبان قد مضى أكثره وهذه آخر جمعة فيه فتدارك فيما بقي تقصيرك فيما مضى منه وعليك بالإقبال على ما يعنيك[1] وأكثر من الدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن وتُب إلى الله من ذنوبك ليُقبل شهر رمضان إليك وأنت مخلص له عز وجل ولا تدعن أمانة[2] في عنقك إلّا أديتها ولا في قلبك حقداً على مؤمن إلّا نزعته ولا ذنباً أنت مرتكبه إلّا أقلعت عنه واتق الله وتوكل عليه في سرِّ أمرك وعلانيتك. ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ

(١) فإن أكثر أعمارنا تضيع في أمور تافهة وفارغة وفضولية لا تعنينا.
(٢) الأمانة تفهم على عدة مستويات فالمسؤولية المناطة بنا كحوزويين هي أمانة يجب أن نؤديها بتمامها.

قَدْرًا ﴾[١] وأكثِرْ في ما بقي من هذا الشهر قول: «اللّٰهُمَّ إن لم تكن غفرت لنا فيما مضى من شعبان فاغفر لنا فيما بقي منه، فإن الله تبارك وتعالى يعتق في هذا الشهر رقاباً من النار لحرمة هذا الشهر»[٢]، وهي وصية جليلة ينبغي مراعاتها على الدوام وتصلح أن تكون نبراساً لسلوك المؤمن.

## فضل شهر رجب

وللتنبيه إلى فضل هذا الشهر (رجب) والأعمال الواردة فيه أنقل بعض الأحاديث عن المعصومين فعن أبي الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: «رجب شهرٌ عظيم يضاعف الله فيه الحسنات ويمحو فيه السيئات من صام يوماً من رجب تباعدت عنه النار مسيرة مائة سنة ومن صام يوماً من ثلاثة أيام وجبت له الجنة»[٣] وروي عن النبي صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قوله: «من صام يوماً من رجب إيماناً واحتساباً جعل الله تبارك وتعالى بينه وبين النار سبعين خندقاً عرض كلّ خندق ما بين السماء والأرض»[٤]. وعن أبي الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: «رجب نهرٌ في الجنة أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل من صام يوماً من رجب سقاه الله من ذلك النهر»[٥]. وروي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: «ومن أحيا ليلة من ليالي رجب أعتقه الله من النار وقبل شفاعته في سبعين ألف رجل من المذنبين ومن تصدّق بصدقةٍ في ابتغاء وجه الله أكرمه الله يوم القيامة في الجنة من الثواب ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[٦].

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.
(٢) بحار الأنوار: ٧٢/٩٤.
(٣) من لا يحضره الفقيه: الجزء الثاني، باب: ثواب صوم رجب، ص٩٢، ح ١٨٢٢.
(٤) بحار الأنوار: ٣٢/٩٤.
(٥) المصدر السابق: صفحة ٣٧.
(٦) المصدر السابق: صفحة ٣٣.

وعن سالم بسندٍ معتبر قال: دخلت على الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في رجب وقد بقيت منه أيام فلما نظر قال لي: «يا سالم هل صمت في هذا الشهر شيئاً؟ قلت: لا والله يا بن رسول الله فقال لي: فقد فاتك من الثواب ما لم يعلم مبلغه إلّا الله عز وجل، إن هذا الشهر قد فضّله الله وعظّم حرمته وأوجب للصائمين فيه كرامته، قال فقلت له: يا بن رسول الله فإن صمتُ مما بقي منه شيئاً هل أنال فوزاً ببعض ثواب الصائمين فيه؟ فقال: يا سالم من صام يوماً من آخر هذا الشهر كان ذلك أماناً من شدّة سكرات الموت وأماناً له من هول المطلع وعذاب القبر، ومن صام يومين من آخر هذا الشهر كان له بذلك جوازاً على الصراط، ومن صام ثلاثة أيام من آخر هذا الشهر أمن يوم الفزع الأكبر من أهواله وشدائده وأعطي براءة من النار»[١].

## فضل شهر شعبان

ومن أحاديث فضل شهر شعبان: ما ورد عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «من صام يوماً من شعبان إيماناً واحتساباً غفر له»[٢] وما روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وما من عبدٍ يكثر الصيام في شعبان إلّا أصلح الله أمر معيشته وكفاه شرّ عدوّه، إن أدنى ما يكون لمن يصوم يوماً من شعبان أن تجب له الجنة»[٣]. وروي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «كان السجّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا دخل شعبان جمع أصحابه وقال: يا أصحابي أتدرون ما هذا الشهر؟ هذا شهر شعبان، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: شعبان شهري فصوموا هذا الشهر حبّاً لنبيّكم وتقرباً إلى ربكم، أقِسمُ بمن نفسي بيده لقد سمعت أبي الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: سمعت أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: من صام شعبان

(١) بحار الأنوار: صفحة ٣٢.
(٢) المصدر السابق: صفحة ٣٤.
(٣) المصدر السابق: صفحة ٦٨.

حباً لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وتقرباً إلى الله أحبّه الله وقربّه إلى كرامته يوم القيامة وأوجب له الجنة»[١].

## اهتمام السلف الصالح بهذين الشهرين

ولأهمية هذين الشهرين كان السلف الصالح يستعدون لهما قبل حلولهما، ويستعدون لليالي والأيام الخاصة الشريفة قبل حلولها أيضاً لكي لا يفوتهم شيء من الثواب، فيسجلون في صحيفة خاصة أعمال الشهر، ويقسمونها إلى قسمين عامة وخاصة، فالعامة ما تكون مشتركة لجميع أيام الشهر ولياليه، والخاصة ما تختص ببعض هذه الأيام. وقد كفانا الشيخ صاحب مفاتيح الجنان (قدس سره) مؤونة البحث فجمعها وبوّبها وصنّفها، لكن هذا لا يعفينا من الاستعداد لاستقبال هذه الأشهر المباركة بأن نسجّل نحن أيضاً عناوين هذه الأعمال في ورقة خاصة لتكون لنا دليلاً خلال الشهر، ولنذكّر أنفسنا بهذه الأعمال فإن إضاعة الفرصة غصة، وما يدرينا أننا باقون أحياء حتى رجب المقبل وكم شخص كان معنا في رجب الماضي وهو ليس معنا اليوم؟.

فعلينا أن لا نقصّر قبل أن يأتينا الأجل ونقول: ﴿قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ * لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾، ويأتيهم الجواب: ﴿كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾[٢][٣].

---

(١) بحار الأنوار: صفحة ٨٢.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩-١٠٠.

(٣) جاء في إرشاد القلوب ص٤٩: (يعني فيما تركته ورائي لورّاثي فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِيَن فيقول له ملك الموت: كَلا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها، أي كلا لا رجوع لك إلى دار الدنيا، وقوله: إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها: أي قال هذه الكلمة لِما شاهده من شدة سكرات الموت وأهوال ما عاينه من عذاب القبر وهول المطلع ومن هول سؤال منكر ونكير قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾).

أما أنتم فكأنه قيل لكم نعم ارجعوا إلى الدنيا وها أنتم فيها لننظر كيف تعملون؟

## أهم أعمال رجب وفضلها

والأعمال في هذا الشهر كثيرة منها الغسل: والصدقة والاستغفار والدعاء بأدعية مأثورة، ومنها: زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خصوصاً في الأول والنصف منه، ففيهما زيارتان عظيمتان يغفل أكثر الناس عن ثوابهما ولأجل هذه الغفلة سُميت زيارة النصف من رجب بالغفيلة، أما زيارة أول رجب فقد ورد فيها عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «من زار الحسين صلوات الله عليه في أول يوم من رجب غفر الله له البتة»[١] وعن ابن أبي نصر أنه قال: سألت الرضا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «أي الأوقات أفضل أن نزور فيه الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟ قال: النصف من رجب والنصف من شعبان»[٢].

وقد تمت المناقشة في صحة بعض الأحاديث المتقدمة إلّا أن ضعف سندها مجبور بما يعرف عند الفقهاء بـ(أحاديث من بلغ) وهي معتبرة السند مضمونها: «أنه من بلغه شيء من الثواب على عمل فعمله طلباً لذلك الثواب كتب له وإن لم نقله». وهذا طبعاً من حسن الظن بالله تعالى والله عند حسن ظن عبده.

ومن أهم أعمال هذا الشهر الصوم فقد وردت في فضله أحاديث كثيرة، وأيامه على درجات متفاوتة في الفضل والأيام التي لها فضلٌ خاص أكثر من غيرها، اليوم الأول والأيام البيض(١٣، ١٤، ١٥) ويوم المبعث (٢٧) والأيام الثلاثة الأخيرة من الشهر، فهذه أيام ثمانية لنعقد العزم على أن لا نفرّط في صومها

(١) بحار الأنوار: ٨٩/٩٨.
(٢) المصدر السابق: صفحة ٩٦.

إلّا لعذر فمن أراد الزيادة فالخميس والجمعة من كلّ أسبوع، وإذا أراد الزيادة فليضف الاثنين، ومنتهى الفضل أن يصوم الشهر كله.

ومن الأعمال التي يمكن الالتزام بها في شهر رجب صلاة ركعتين في كلّ ليلة بالحمد والكافرون ثلاث مرات والتوحيد، فإذا سلّم رفع يديه إلى السماء وقال: «لا إلٰه إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يُحيي ويميت وهو حيٌّ لا يموت بيده الخير وهو على كلّ شيءٍ قدير وإليه المصير ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم،اللّٰهُمَّ صلِّ على محمد النبي الأُمي وعلى آله» ويمرّر يديه على وجهه.

## ضرورة عدم تحميل النفس فوق طاقتها

لكن يجب الالتفات إلى نقطة مهمة يؤكد عليها علماء الأخلاق وهي ضرورة عدم تحميل النفس فوق طاقتها[١] فتعصي وتتمرد ويصعب حينئذٍ تحميلها حتى القليل، فلا بدّ من أخذها برفقٍ وتدريجٍ فإن النفوس متفاوتة في الاستعدادات لتحمّل الطاعات فلا يأخذكم الحماس والاندفاع فتحمّلوها ما لا تطيق، وقد روي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «مرَّ بي أبي وأنا بالطواف وأنا حَدَثٌ وقد اجتهدت في العبادة، فرآني وأنا أتصابُّ عرقاً، فقال لي: يا جعفر يا بني إن الله إذا أحبّ عبداً أدخله الجنة ورضي عنه باليسير»[٢]، وهذه وصية كلّ المربين وأساتذة الأخلاق والعمدة الإخلاص والتقوى.

اللّٰهُمَّ بارك لنا في رجب وشعبان وبلّغنا شهر رمضان وأعنا على الصيام والقيام وحفظ اللسان وغضّ البصر ولا تجعل حظنا منه الجوع والعطش يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

---

(١) عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالًا وَإِدْبَاراً فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْمِلُوهَا عَلَى النَّوَافِلِ وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الْفَرَائِضِ»، بحار الأنوار: ٣٠/٨٤.

(٢) الكافي: ٨٦/٢.

# رجب وشعبان ورمضان
# تعجّل حصول نور الفرقان[١]

من السنن الجارية في الأُمم مرورها بحالة التيه والضلال عند غياب أنبيائها، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[٢]، ولكن كم هم الشاكرون الذين يثبتون على المسار الصحيح؟ قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾[٣]، أما الأكثر فهم المنقلبون والمنحرفون عن طريق الحق والهدى، ومثل هؤلاء لا يضرّون إلّا أنفسهم فإن الله تعالى غنيٌّ عنهم.

وإنما تحصل هذه الحالة لأن غياب النبي والقائد يمثّل مفترق طرق يجلس عنده شياطين الجن والإنس وأئمة الضلال وطلاّب الدنيا ويضيّعون العلامات الصحيحة التي تدل على الطريق وسط علامات مزيفة ينصبونها ويحيطونها بهالات قدسية فيتيه أكثر الناس كما فعل السامري ببني إسرائيل وما حصل بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وما دام الشاكرون قليلين فلا نأسف على قلّتهم ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ

---

(١) من حديث سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلّه) مع وفد مؤسسة الرحمن الإسلامية في حي المنصور ببغداد يوم الثلاثاء ٩/ رجب/ ١٤٢٨هـ المصادف ٢٠٠٧/٧/٢٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٣) سورة سبإ، الآية: ١٣.

أَحْبَبْتَ ﴾[١]، ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٢]، ولكننا يجب أن نسعى ونعمل بجدٍّ لنكون من هؤلاء القلّة، وتقع الكارثة علينا حينما نفشل في ذلك والعياذ بالله، فإن هذه سنّة جارية في كلّ الأجيال من الأمة كلّما غاب عنها قادتها الكبار الذين تلتف حولهم وتذوب فيهم، والنجاة في مثل هذه المفترقات من الطرق إنما تكون بنور الفرقان الذي يضيء في قلب المؤمن وينير له الدرب ويفرّق له بين الاتجاه الصحيح والمنحرف.

وفي ضوء هذا كانت الحاجة ملحة لكلّ من يرجو الفلاح والنجاة أن يعمر قلبه بهذا النور لئلا يتخبّط ويتيه ويضيع، وقد بيّن لنا ربنا كيف ينبلج هذا النور في القلب؟ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾[٣]، فالتقوى هي منشأ هذا الفرقان والمنتج له، قال تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٤].

وقد نحتاج إلى مزيد من البيان والتفسير لهذه الآيات الكريمة نستقيها من السنة الشريفة التي وظيفتها شرح آيات القرآن وتفسيرها، وحينئذٍ سنجد فيها حديثاً شريفاً يجعل قوام هداية المؤمن وسيره على بصيرة وحصول نور الفرقان في قلبه بعناصر ثلاثة[٥]:

**(أولها)**: لطف من الله تبارك وتعالى واللطف هو كلّ ما يقرّب إلى الطاعة ويحببها ويزيّنها ويبعّد عن المعصية وينفّر منها.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٥٦.
(٢) سورة النحل، الآية: ٩.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.
(٥) لم نجد نص الحديث ولكن وجدنا حديثاً قريباً منه عن الإمام الجواد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: (المؤمن يحتاج إلى ثلاث خصال: توفيق من الله، وواعظ من نفسه، وقبول ممن ينصحه) وسائل الشيعة، ج١٢، ص٢٥، حديث ١٥٥٤٨.

**(ثانيها)**: ورع وتقوى يحركّه نحو ما يحب الله تبارك وتعالى ويبعده عمّا يسخطه عز وجل.

**(ثالثها)**: أخ ناصح شفيق يدلّه على عيوبه ويعينه على الطاعة ويشير عليه بالخير.

فالعملية تحتاج إلى عناصر تنبع من داخل الإنسان وأخرى تُفاض عليه من الخارج، وعلى الإنسان أن يسعى لتحصيلها بلطف الله تبارك وتعالى وتوفيقه.

ومن لطفه تعالى أنه جعل لنا محطات لتسريع عملية نيل هذه الألطاف ومنها هذه الأشهر الشريفة: (رجب، شعبان، رمضان) حيث إن هذه الأشهر الثلاثة تساهم أكثر من غيرها في إيجاد وتحقيق هذه العناصر الثلاثة.

فلطف الله تعالى بعباده يزداد، حيث تحسّ في هذه الأشهر إقبالًا على الطاعة أكثر من غيرها، فمثلاً لا يؤدي أكثر المؤمنين السنة الشريفة التي تعدل صوم الدهر وهي صوم ثلاثة أيام في الشهر أول خميس وآخر خميس وأربعاء في الوسط رغم أنها سهلة الأداء في الشتاء، لكن كثيرين من المؤمنين يصومون أكثر من ثلاثة أيام من شهر رجب رغم أنه حلّ علينا هذه السنة في تموز حيث الحرّ الشديد والحاجة البالغة للماء، ومثال آخر هو زيارة المعصومين أو تلاوة القرآن أو إطعام الطعام فإن الهمّة تزداد في هذه الأشهر للإتيان بها وهذه كلّها شواهد على زيادة اللطف الإلهي بعباده.

وأما العنصر الثاني فتحقيقه أسرع في هذه الأشهر من عدة جهات نشير إلى أحدها وهو حصول الصوم في هذه الأشهر بشكل مكثف، وهدف تشريع الصوم هو حصول التقوى كما ورد في الآية الشريفة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[1].

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

وقد ورد في فضل الصوم في هذه الأشهر أحاديث كثيرة راجعها في كتاب مفاتيح الجنان، ومنها هذه الرواية عن ابن بابويه بسند معتبر عن سالم قال : دخلت على الصّادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في رجب وقد بقيت منه أيّام، فلمّا نظر إليّ قال لي: يا سالم هل صمت في هذا الشّهر شيئاً؟ قلت: لا والله يا بن رسول الله، فقال لي: فقد فاتك من الثّواب ما لم يعلم مبلغه إلّا الله عز وجل، إن هذا شهر قد فضّله الله وعظّم حرمته وأوجب الصّائمين فيه كرامته ، قال : فقلت له : يا بن رسول الله فإن صمت ممّا بقي منه شيئاً هل أنال فوزاً ببعض ثواب الصّائمين فيه؟ فقال: يا سالم من صام يوماً من آخر هذا الشهر كان ذلك أماناً من شدّة سكرات الموت وأماناً له من هول المطّلع وعذاب القبر، ومن صام يومين من آخر هذا الشّهر كان له بذلك جوازاً على الصّراط، ومن صام ثلاثة أيّام من آخر هذا الشّهر أمن يوم الفزع الأكبر من أهواله وشدائده وأُعطي براءة من النّار.

وأما العنصر الثالث فإن هذه الأشهر تشهد أكثر من غيرها فرصاً للاستفادة مثل هؤلاء الإخوة الناصحين لما تشهده من عبادات جماعية في المساجد وزيارات وإقامة للشعائر ومجالس لإحياء ذكر أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ومناسباتهم.

وأُلفت نظر أحبتي المؤمنين إلى عبادة جامعة لكلّ خصال الخير هذه عزف عنها الناس رغم ما ورد فيها من حثٍّ أكيد عن المعصومين سلام الله عليهم في هذه الأشهر الشريفة وخصوصاً في العشر الأواخر من شهر رمضان وهي الاعتكاف في المساجد الجامعة فلا يغفل عنها من تتيسر ظروفه لأدائها، ولها أحكام وآداب مذكورة في كتب الفقه والرسائل العملية.

## الفصل الرابع:

# شهر شعبان

مواعظ وتوجيهات
سماحة المرجع الديني
الشيخ محمد اليعقوبي
(دام ظله الشريف)

# مائدة شعبان[١]

سُمي هذا الشهر (شعبان) لتشعّب الخيرات فيه من لدن الله تبارك وتعالى ـ كما ورد في الرواية الشريفة ـ وتشعب الخيرات يمكن أن يكون له أكثر من معنى.

**منها**: إيجاد أسباب للخير خاصة بهذا الشهر الشريف وهذا معنى صحيح ويكفيه شرفاً أن فيه ليلة تضاهي ليلة القدر وهي النصف منه، مع تضمنه لمناسبات جليلة تتجدد فيها أفراح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعترته ومواليه وتكون سبباً لإفاضة الخيرات، وفيه أيضاً أعمال مخصوصة من أدعية ومناجاة وزيارات، فهذه كلّها أسباب لتشعب الخيرات خاصة بهذا الشهر.

**ومنها**: أن الإنسان يوفق فيه إلى الطاعات أزيد مما يوفق إليها في غيره من الشهور وهذا معنى صحيح أيضاً، فالصلاة والصوم والصدقة والبرّ بالوالدين وصلة الرحم وقضاء حوائج المؤمنين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها كثير كلّها طاعات ومستحبة في جميع الأزمنة لكن اندفاع الإنسان للقيام بها يكون في هذا الشهر أزيد بما لا يقاس به غيره، مما يعني أن هذا الشهر كان سبباً للتعرض لتلك الخيرات الموجودة أصلاً.

---

(١) من حديث سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع وفد شبابي من ناحية الفهود في محافظة الناصرية ضم مؤسسة العلم نور الطلابية ومؤسسة الرحمة الإنسانية وموكب الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، يوم الأربعاء ١ شعبان ١٤٣١ المصادف ٢٠١٠/٧/١٤.

**ومنها**: إن الأجر الذي يُعطى للعاملين في هذا الشهر يكون أزيد مما يعطى لهم في غيره من الشهور على نفس الأعمال، فالصوم حسن في كلّ زمان إلّا أنه في شعبان أحسن، والصلاة حسنة في كلّ زمان إلّا أنها في شعبان أحسن، وهكذا كلّ الأعمال الصالحة الأخرى وتفاوت الدرجات يوم القيامة إنما يكون بحسب حسن العمل قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1].

وهذه المعاني كلّها متحققة في شعبان، فالإنسان الساعي نحو الكمال يعمل لتحصيلها جميعاً، ومن أتى بأي شعبة من شعب الخير هذه يكون قد تعلق بغصن من أغصان شجرة طوبى كما ورد في الرواية[2] الشريفة.

فهذه هي مائدة شعبان التي أعدّها الله تبارك وتعالى ولو نظرت حولك وفي داخلك لوجدت ما لا يُعد ولا يُحصى من الخيرات وسُبُل الطاعة الموصلة إلى رضا الله تبارك وتعالى بعكس ما يصوّر البعض من امتلاء الدنيا والناس بالفساد والمعصية، وهذا موجود فعلاً لكنك إلى العالم الأول لا الثاني. كمن ينظر من خلال عدسة بيضاء شفافة فإنه يرى الدنيا منيرة مشرقة، وآخر ينظر إليها من خلال عدسة سوداء قاتمة فيراها مظلمة، بل يستطيع الإنسان أن يجعل من نفس دنيا الفساد والمعصية والانحراف ساحة للطاعة من خلال ممارسة الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والهداية إلى الحق وغلق منافذ الفساد وأدواته.

إن نفس وجود هذا العدد من الشباب الرساليين العاملين في ناحية من نواحي محافظة الناصرية لهو دليل على سعة مساحة الخير وأهله، في حين مرّ على

(١) سورة الملك، الآية: ٢.
(٢) راجع أعمال الليلة الأولى من شعبان في مفاتيح الجنان.

الأئمة (سلام الله عليهم) وأصحابهم دور لم يستطيعوا فيه كسب واحدٍ إلى ولاية أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كما يظهر من بعض الروايات.

فعلى الإنسان العاقل أن يغتنم وجود هذه الشعب من الخيرات والأغصان المتدلية من شجرة طوبى ليجتني من ثمارها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا يزهد في شيء منها فإنه لا يعلم أيها أكثر سبباً للقرب من الله تبارك وتعالى.

فهذه هي مائدة شعبان التي أعدّها الله تبارك وتعالى لعباده في هذا الشهر الشريف فأين منها المائدة التي طلبها الحواريون من النبي الكريم عيسى روح الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۞ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾؟[1].

فقارنوا بين الموقفين وبين المائدتين، تلك مائدة طلبها الحواريون اختباراً لصدق نبيّهم ومائدتكم أنزلها الله اختياراً، وتلك مائدة مادية تنفد ولا تبقى ومائدتكم معنوية باقية خالدة، وهذا كلّه تشريف من الله تعالى لنبيّنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وتكريم وتبيان لشرفه وفضله، ولذلك كان من الطبيعي أن يكون من أعظم المستحبات في هذا الشهر الإكثار من الصلوات على النبي وآله (صلى الله عليهم أجمعين) ووردت في ذلك صلوات شعبانية عن الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ وهي التي أولها: «اللّٰهُمَّ صلّ على محمد وآل محمد شجرة النبوة...» إلى آخر الدعاء لأنه الواسطة في هذا الفيض الإلهي المبارك.

(١) سورة المائدة، الآيات: ١١٢-١١٤.

ودع عنك إشكال بعض المهرّجين في الفضائيات على الشيعة بأنهم يتوسلون إلى الله تعالى بالنبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم) والله لا يحتاج إلى واسطة ولماذا لا يسألون ـ أي الشيعة ـ الله تبارك وتعالى مباشرة؟ ونحوها من الإشكالات التي لا قيمة لها لأنهم لو رجعوا إلى مصادرهم فضلاً عن مصادرنا لوجدوا مشروعية هذا التوسل بل استحبابه فإن الله تعالى يحبُّ أن يسأل ويحبّ أن يتوسّل إليه بمن اصطفاهم من عباده ليفيض من خلالهم على عباده بالعطاء لا لأنه يحتاج إلى واسطة فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ولكن ليظهر شرف وفضل وكرامة هؤلاء المصطفين الأخيار الأطهار.

ولنسأل هؤلاء المهرّجين: أليس الله بقادر على أن ينزل شرائعه وأحكامه إلى صدور عباده وقلوبهم وعقولهم بأي وسيلة من دون حاجة إلى توسيط الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فلماذا يتخذ هؤلاء الوسائط؟

فكما أن الحكمة الإلهية اقتضت توسيط الأنبياء في الفيض التشريعي كذلك فإنها اقتضت التوسيط في الفيض التكويني بلا فرق بينهما، لو كان يعقل هؤلاء المتحجرون.

وهنا نشير إلى وجه من معاني الحديث الوارد بأن شهر رجب شهر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وشهر شعبان شهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وشهر رمضان شهر الله تبارك وتعالى، أي أن جملة من الخيرات والألطاف الإلهية التي يفيضها الله تعالى على عباده في رجب هي من بركات الإمامة، وجملة منها في شعبان هي من بركات النبوة الخاتمة، أما شهر رمضان ففيه ألطاف إلهية أوسع من ذلك كله.

ولذلك ورد عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان إذا رأى هلال شعبان أمر منادياً ينادي في المدينة: يا أهل يثرب: إني رسول رسول

الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إليكم، ألا إن شعبان شهري، فرحم الله من أعانني على شهري»[١].

وإعانته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تكون باتباعه والسير على هداه ليتعرضوا بذلك لتلك النفحات الإلهية الخاصة التي تفاض بسبب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فينالها من تعرّض لها ويزداد بذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سروراً ورفعة لأنه السبب فيها ولا تتحقق هذه الإعانة إلّا بإعانة الله تعالى وتوفيقه، قال الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ في الصلوات الشعبانية: «اللّٰهُمَّ فأعنّا على الاستنان بسنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيه ونيل الشفاعة لديه، اللّٰهُمَّ واجعله لي شفيعاً مشفّعاً وطريقاً إليك مَهْيَعاً ـ أي واسعاً بيّناً ـ واجعلني له متبعاً...» إلى آخر الدعاء، فلا تُنال تلك البركات المحمدية إلّا باتباعه والأخذ بسنته بتوفيق الله تبارك وتعالى.

وقد بيّن الدعاء جملة من تلك السنن والأسباب إلى الخير ومنها قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وارزقني مواساة من قتّرت عليه من رزقك بما وسّعت عليّ من فضلك». والفضل مطلق لا يختص بالمال فقد يكون للبعض فضل من جاه أو فضل من قوة بدنية أو فضل من موقع متنفذ أو فضل من علم ومعرفة أو فضل من أخلاق أو غيرها مما وسّع الله تعالى بها على عباده فليواسِ بها الآخرين المحرومين من ذلك الفضل، فمن كان له فضل من مال فليوسّع على الفقراء المحتاجين، ومن كان له فضل من علم فليبذله لمن يجهلونه، ومن كان عنده فضل من أخلاق فليسع الآخرين بأخلاقه ويأخذ بأيديهم لإصلاح ما بهم، ومن كان له فضل من قوة فليُعنِ الآخرين وهكذا.

وأنتم بفضل الله تبارك وتعالى من السائرين على هذا الطريق المبارك فمنكم من انضمّ إلى مؤسسة قرآنية لنشر هذه المعارف الجليلة، ومنكم من انضم إلى

(١) راجع مفاتيح الجنان ـ أعمال شهر شعبان ورواها عن الشيخ الطوسي (قدس الله سره).

مؤسسة إنسانية لمساعدة المحتاجين والمحرومين، وبعضكم انضمّ إلى مؤسسة علمية ثقافية لتوعية المجتمع وتثقيفه، وهذه كلّها من شعب الخير والاستنان بسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فطوبى لكم.

# ١٥
# شعبان

## في ذكرى ولادة الإمام المنتظر[١]
## (عجل الله تعالى فرجه الشريف)

استقبل سماحة الشيخ (دام ظله) في الأيام من ١٣ ولغاية ١٥ من شعبان حشوداً من المؤمنين المشاركين في زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليلة النصف من شعبان وهنّأهم على هذه المنقبة العظيمة التي وُفّقوا لها، والألطاف الإلهية التي فازوا بها، ودعاهم إلى الاحتفاظ بالآثار المعنوية والتكامل الذي حصلوا عليه ليمدّهم بالطاقة الإيمانية لما يأتي من الأيام، وليس صحيحاً أن تزول هذه الآثار بمجرد العودة فهذه استفادة ناقصة وإنما تكون تامة إذا استمر هذا التأثير كما ورد عمّن سأل الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: كيف أعرف أن صلاتي مقبولة؟ قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: إذا نهتك عن الفحشاء والمنكر فمقدار قبولها بمقدار نجاحها في إيجاد هذا التغيير.

على أنه مما يؤسف له أن كثيراً من الزائرين لم يعرف حقّ الزيارة ولا أهدافها فتجد كلّ واحدٍ همّه أن يظهر ولاءه لزعيمٍ سياسيٍّ أو دينيٍّ ويقدس صورته

(١) نشر في الصفحة الثانية من صحيفة الصادقين في عددها الـ(٣٢) الصادر بتاريخ ٢٥ شعبان ١٤٢٦ الموافق ٢٩ أيلول ٢٠٠٥.

ويرفعها في كلّ مكان، وآخرون أمضوا وقتهم في بعض المظاهر الاحتفالية الخارجة عن الحدِّ الشرعي فأضاعوا على أنفسهم هذه الفرصة العظيمة للطاعة.

وقال سماحته تعليقاً على فعالية فرح أقامها المحتشدون لزيارة سماحته بذكرى ميلاد الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ وأعقبها مشاركة حزنٍ لما تتعرض له الأمة من قتلٍ وانتهاكٍ وظلمٍ وهضم حقوق، أنه من حقكم أن تفرحوا بهذه المناسبة ليس أنتم فقط معاشر شيعة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بل كلّ البشرية التي تُنشد العدالة والسعادة والرفاه والحرية بعد أن سئمت حياة النكد والظلم والاضطهاد والاستكبار في ظل الأيديولوجيات والنظم الأرضية، وكلّما تصوّرت أن هذا النظام سينقذها وإذا به أسوأ من سابقه ففقدت الأمل في اليوم السعيد وهو ما عبّر عنه الله تبارك وتعالى عن خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٰٔفِلِينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[1].

وهكذا الإنسان على مرّ التاريخ كلّما علق أمله بشيء دون الله تعالى ظهر فشله وعجزه وبقيت الآمال اليوم متعلقة بالله تعالى أن ينقذ البشرية بالمصلح الأعظم.

وتمتزج هذه الفرحة التي نحياها بالحزن الذي نعيشه بسبب ما نفقده من أحبة وأعزاء وأبرياء بفعل الإرهاب الأعمى، والطائفية المقيتة والإجرام الصدّامي، وبسبب الظلم الذي نتعرض له من الإخوة والأعداء على حدٍّ سواء ولا نقوم من فجيعة حتى تأتينا أخرى: ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٧٦-٧٩.

ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾[١]. كما وصفهم الله تعالى، يذبحون الناس على هوية التشيع لآل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، ويقتلون صاحب محل لبيع اللحوم لأن عنوانه (محل الزهراء)، ويقتلون آخر لأنه يعلّق صورة رمزية لأمير المؤمنين أو الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كما اعترفوا وأقرّوا بجرائمهم الفظيعة.

فهذا الامتزاج بين الفرح المشوب بالحزن هي شيمة هذه الحياة الدنيا على الدوام، فلا يجوز للعاقل أن يغترّ بها ويركن إليها وعليه أن يبقى متوجهاً إلى هدفه الحقيقي وهو رضا الله تبارك وتعالى، قال الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناءٍ وزوال متقبّلة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرّته والشقيّ من فتنته».

ولنتعظ بمصير السابقين فقد كانوا أكثر أموالاً وجنداً وطغياناً كصدّام ومن شابهه حيث كانت تحيط به عساكر تعدّ بالملايين ويتحكم بمليارات الدولارات من ثروة العراق كيف صار مصيره إلى حفرة كالجرذان أُخرج منها ذليلاً؟

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠.

## الفصل الخامس

# شهر رمضان

مواعظ وتوجيهات
سماحة المرجع الديني
الشيخ محمد اليعقوبي
(دام ظله الشريف)

mouraqabat - zakharef.indd 85 6/13/14 2:14 PM

# مشاعرنا في استقبال شهر رمضان[١]

حينما يحلّ شهر رمضان ويتطلع المسلم إلى هلاله ينتابه شعورين:

**الأول**: الفرح لكونه ممن حظي فشهد هذا الشهر المبارك ولم يكن من الذين اخترمهم الأجل خلال العام الماضي فحُرِم من هذه الفرصة الثمينة للتكامل والقرب من الله تعالى،فكم من شخص كان بيننا في رمضان السابق وهو اليوم ليس فينا، أما نحن فقد شملنا الله بلطفه وفتح لنا الباب على مصراعيه للاستزادة من الفضائل والحسنات والتقرب أكثر إلى الله تبارك وتعالى، كالطالب الذي تُعطى له فرصة أخرى للامتحان في الدور الثاني ونحوه من أجل أن ينجح أو يحسّن درجته فحاله أفضل ممن يمنح فرصة واحدة.

وإن لله تبارك وتعالى ألطافاً ونفحات خاصة في شهر رمضان لا ينالها العبد في غيره وقد ورد في الحديث الشريف: «إن لله تبارك وتعالى نفحات ألا فتعرضوا لها»، هذه الألطاف والإمدادات الروحية يحسها حتى البعيدون عن الله تعالى فالمرأة السافرة تتحجب في شهر رمضان والذي يعاقر الخمرة يجتنبها احتراماً لهذا الشهر وتارك الصلاة يلتزم بها كلّ ذلك من بركات هذا الشهر الكريم.

ومن هذه الألطاف ما ذكرها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في خطبته التي ألقاها على المسلمين في آخر جمعة من شعبان ورواها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) من بيان صدر بمناسبة حلول شهر رمضان ١٤٢٤ وصادف الأول من رمضان يوم ٢٠٠٣/١٠/٢٧.

فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أيها الناس إنه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأيامه أفضل الأيام، ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، أيها الناس: إن أبواب الجنان في هذا الشهر مفتحة فسلوا ربكم أن لا يغلقها عليكم، وأبواب النيران مغلقة فسلوا ربكم أن لا يفتحها عليكم، والشياطين مغلولة فسلوا ربكم أن لا يسلّطها عليكم.... الخ».

**الثاني**: الرهبة والهيبة لهذا الشهر الكريم لأنه شهر الله وله حرمة عظيمة فلذا أوجب الله تبارك وتعالى صومه من دون الشهور، وجعل فيه ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر وأنزل فيه القرآن ودعا عباده إلى ضيافته يرتعون في موائده ويغدق عليهم من كرمه وماذا تجد على تلك الموائد؟

يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «هو شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب، فسلوا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفقكم لصيامه وقيامه وتلاوة كتابه، فإن الشقي من حُرِم غفران الله في هذا الشهر العظيم».

فيشعر المؤمن بهيبة لهذا الشهر خشية أن يقصّر فيه، ولا يكون أهلاً لضيافة الله تعالى فيحرم من بعض كرمه ويكون من الأشقياء، وعن هذه الحالة عبر الإمام علي بن الحسين زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعائه، مخاطباً شهر رمضان: «السلام عليك يا شهر الله الأكبر ويا عيد أوليائه، السلام عليك يا أكرم مصحوب من الأوقات ويا خير شهر في الأيام والساعات، السلام عليك من مجاور رقّت فيه القلوب وقلّت فيه الذنوب، السلام عليك من ناصرٍ أعان على الشيطان وصاحب سهّل سبل الإحسان، السلام عليك ما كان أمحاك للذنوب وأسترك لأنواع العيوب».

ويمكن أن نقرّب الصورة بمثال من الواقع: فلو أن ملكاً أو رئيساً دعا أحداً لضيافته فكم سيكون هذا المدعو حريصاً على آداب الضيافة وعدم الإخلال بها ليكون أهلاً لهذه الدعوة ويكون سعيداً وفخوراً بتوجيهها إليه، فكيف إذا صدرت بطاقة الدعوة من الله تبارك وتعالى خالق الخلق وجبار السماوات والأرض وأوصلها إليك أشرف المخلوقات محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فكم هي ثمينة وقيّمة هذه الدعوى وكيف سيكون حرصك على أن تكون أهلاً لها؟

ومن اقتران هذين الشعورين: الفرح والرهبة في القلب يندفع المسلم للعمل الصالح ويكون الحافز فيه مضاعفاً لطاعة الله تبارك وتعالى وأعمال البرّ والإحسان وصفاء القلوب والمودة والألفة ونزع ما فيها من غلّ وحقد وحسد وبغضاء ليكون من الفائزين يوم القيامة قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1]. أي خالٍ من الغش للآخرين خصوصاً إذا التفت إلى عظمة العطاء الإلهي على أعمال الخير، يقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَن حسّن منكم في هذا الشهر خُلُقه كان له جواز على الصراط يوم تزل فيه الأقدام، ومن كفّ فيه شرّه كف الله غضبه يوم يلقاه، ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه، ومن تطوع فيه بصلاة كتب الله له براءة من النار، ومن أدّى فيه فرضاً كان له ثواب من أدّى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور، ومن أكثر فيه من الصلاة عليّ ثقل الله ميزانه يوم تخف الموازين، ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور».

(١) سورة الشعراء، الآية: ٨٩.

# تهنئة بالدخول
# في ضيافة الله تبارك وتعالى[١]

بحلول شهر رمضان المبارك الذي يحمل دعوة من الله تبارك وتعالى لعباده لينزلوا ضيوفاً على موائد رحمته ومغفرته وفضله وكرمه وخزائنه التي لا تنفد ولا يزيدها كثرة العطاء إلّا جوداً وكرماً، وقد بلّغ هذه الدعوة رسول الله الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في خطبته الجليلة التي استقبل بها شهر رمضان: «شهرٌ دُعيتم فيه إلى ضيافة الله» وأي ضيافة! «أنفاسكم فيه تسبيح ونومكم فيه عبادة ودعاؤكم فيه مستجاب». فما أعظمها من دعوة وما أحرانا أن نستجيب لها بتطهير القلوب وتهذيب النفوس لنكون أهلاً لها: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[٢]. وينبغي للمؤمنين أن يعرفوا حرمة هذا الشهر وما يجب أن يكونوا عليه وليقرأوا خطبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في آخر جمعة من شعبان في (مفاتيح الجنان) ودعاء الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ في استقبال هذا الشهر ووداعه في (الصحيفة السجادية) لينالوا الحظوة عند ربهم وعند إمامهم المهدي الموعود (عجّل الله تعالى فرجه الشريف).

وليضاعفوا الهمّة في العشر الأواخر من شهر رمضان فإن لها نفحات خاصة وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يشدّد على نفسه فيها، واجتهدوا في أن يدعو بعضكم لبعض وأن تتراحموا وتتواصلوا ليظلكم الله برحمته فلا تخرجوا من هذا الشهر إلّا وقد أخرجكم الله من ذنوبكم وأدخلكم في رضاه.

---

(١) نُشر في العدد (٤٨) من صحيفة الصادقين الصادر بتاريخ ٤/رمضان/١٤٢٧ المصادف ٢٠٠٦/٩/٢٨.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

# دور طلبة الحوزة العلمية في تعطيل شهر رمضان[١]

يتضمن العنوان جهتين من الكلام الأولى عن التعطيل والثانية عن شهر رمضان :

**معاني التعطيل:**

ففي الجهة الأولى نقول: إن للتعطيل معنيين:

أ ـ التعطيل المطلق بمعنى أن طالب العلم يخلد إلى الراحة والنوم والكسل في العطلة ـ أية عطلة ـ ، وهو معنى غير صحيح بالتأكيد فإن الإنسان في هذه الحياة الدنيا في عمل دؤوب نحو الهدف وهو رضا الله سبحانه، وبلوغ المزيد من درجات التكامل ورأس ماله في هذا العمل وهذه التجارة ساعات عمره التي هي في انقضاء ومرور سريع، وأية ساعة يضيعها الإنسان من دون أن يوظفها في خدمة الهدف فإنها سوف تكون حسرةً عليه يوم القيامة، ويشعر بالغبن حينما يرى غيره قد استثمرها فنال مرتبة أعلى منه، وفي الخبر أن ساعات عمر الإنسان تعرض أمامه على شكل خزائن تُفتح له فإن قضاها في خيرٍ وجد في تلك الخزينة خيراً أو في شرّ ـ والعياذ بالله ـ فيجد فيها شرّاً، وإذا قضاها في عمل غير هادف ولا مثمر فيجدها فارغة فيتحسر على فواتها عليه دون أن يملأها بما ينفعه (ولات حين مندم).

ويشبّه بعضهم حال الإنسان بأنه كما لو كان مدلى بحبلٍ في بئر عميق، وفي

(١) محاضرة أُلقيت على فضلاء وطلبة الحوزة العلمية بمناسبة عطلة شهر رمضان المبارك وتوجّه الكثير منهم للتبليغ والوعظ والإرشاد، وكان ذلك إبان حكم الطاغية صدام.

قعره تنين عظيم فاتح فاه ينتظر اللحظة التي يسقط فيها هذا الإنسان المسكين ليلتهمه، وهناك جرذان في رأس الحبل تقرض به، وهو مع هذا الحال المرعب أقبل على عسل مخلوط بالتراب على جدران البئر يلعق به وينافس الزنابير والحشرات بدلاً من أن يفكر بنجاة نفسه.

هذه الصورة الرهيبة تمثّل حالنا، فنحن متعلقون بحبل العمر ويقرض فيه الليل والنهار وتنين الموت ينتظرنا، فما يلبث عمرنا أن يتصرم حتى يلتهمنا الموت ونلاقي الدواهي العظمى، وبدلاً من أن نفكّر في الاستعداد له والنجاة من عقبته الكؤود نضيّع وقتنا الثمين في الراحة والكسل والصراع على الدنيا الزائفة التي شبهها أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالجيفة التي تزدحم عليها الكلاب.

وليس هذا من شأن المؤمن الذي يعيش بكلّ كيانه لهدف سامٍ، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ﴾[1]. والكدح في اللغة العناء والتعب، وفي نهج البلاغة (ليكدح المؤمن حتى يلاقي ربه).

ب ـ التعطيل المقيّد بمعنى أنه تعطيل عن الدروس الحوزوية المتعارفة فقط، وليس تعطيلاً عن كلّ عمل، وهذا المعنى هو الصحيح واللائق بالمؤمن الهادف الواعي.

## كيف يريح الطالب عقله؟

فإن الطالب قد يتعب من الدرس والتحصيل وهذا شيء طبيعي فكيف يريح عقله ؟! يريحه بالقيام بأعمال ومسؤوليات أخرى لا تقل وجوباً عن تحصيله الدراسي، وهي في الوقت نفسه راحة له عن الجهد العقلي الذي بذله، فراحة طالب العلم في هذا التنويع في المسؤوليات، وهذا التنقل بين المسؤوليات ضروري على

(١) سورة الانشقاق، الآية: ٦.

الدوام لكي لا تجزع النفس وتتمرد، فإن لها حدوداً وقابليات فإذا كلفها فوق طاقتها نخشى عليها أن تُعصي صاحبها فيخسر كلّ شيء، وإلى هذا التنوع أشار عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن العقول لتملّ أو لتكلّ كما تكل الأبدان، فروّضوها بطرائف الحكم»، فمن حقها أن ترتاح بعد أن تبذل جهوداً مضنية، لكن راحتها ليس بالخمول والكسل وكثرة النوم وإنما بممارسة مسؤوليات وأداء واجبات مغايرة.

## ما هي المسؤوليات التي يمارسها طالب العلم في التعطيل؟

هناك عدّة مسؤوليّات:

**أولها وأهمّها** :نشر أحكام الله سبحانه وتوجيه المجتمع وإرشاده وتوعيته بالموعظة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال المنبر الحسيني، أو إلقاء المحاضرات، أو عقد الندوات، أو إجراء الحوارات، وهذا واجب الجميع والحوزة تكون مقصّرة لو وجدت نقطة في أقصى البلاد لم تبعث إليها من يهدي أهلها ويرشدهم إلى سواء السبيل.

وقد أكّد القرآن كثيراً على هذا الدور المهم، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[1]، وأنتم يا رجال الحوزة القدر المتيقن من هذه الأمة، وقال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[2].

وقد تفقهتم خلال سنة كاملة واستوعبتم كثيراً من المعلومات فبقي عليكم دور إيصالها إلى المجتمع، فإذا قمتم بهذا الدور فاستمعوا لما يعدكم الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الأجر الجزيل والثواب الجميل، قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من قوى مسكيناً في دينه ضعيفاً في معرفته على ناصبٍ فأفحمه لقنه

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

الله يوم يدلى في قبره أن يقول : الله ربي، ومحمد نبي وعلي ولي والكعبة قبلتي والقرآن لهجتي».

وعن معاوية بن عمار قال: «قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: رجل راوية لحديثكم يبثّ ذلك بين الناس ويشدّده في قلوبهم وقلوب شيعتكم، ولعل عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية أيهما أفضل؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: الراوية لحديثنا يشدّ به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابد».

وروي عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «من كان من شيعتنا عالماً بشريعتنا فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي حبوناه به جاء يوم القيامة على رأسه تاج من نور يضيء لأهل جميع تلك العرصات، وعليه حلة لا يقوم لأقل سلك منها الدنيا بحذافيرها، ثم ينادي منادٍ من عند الله تعالى: يا عباد الله هذا عالِم من بعض تلاميذ آل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ألا فمن أخرجه في الدنيا من حيرة جهله فليتشبث بنوره ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العرصات إلى نزهة الجنان، فيخرج من كان علمه في الدنيا خيراً و فتح عن قلبه من الجهل قفلاً أو أوضح له شبهة».

**ثانياً**: الالتفات إلى تنقية القلب وتطهير النفس، فإننا قد أعطينا السنة كلّها لغذاء العقل وهو على أهميته إلّا أنه لا يكفي وحده بل لا بدّ من الاهتمام بغذاء القلب من الموعظة والازدياد من المعرفة بالله سبحانه بالتدبر بالقرآن الكريم والأدعية الشريفة وقراءة كتب الأخلاق والوعظ والتهذيب، فمن وصية أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لولده الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا بني أحي قلبك بالموعظة وأمته بالزهادة». وذات مرة قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، قيل: وما جلاؤها يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ قال : قراءة القرآن وذكر الموت»[1].

(١) عوالي اللآلي: ٢٧٩/١.

فإذا تأمل الإنسان في مبدئه ومنتهاه وما يؤول إليه أمره من الموت وما بعد الموت فسيحصل على ثمار مهمة: الاستهانة بالدنيا وتحقير زخارفها، والسمو عن الأعمال الدنيئة، والانشداد إلى الله سبحانه والتعلق به.

## شهر رمضان خير فرصة لتطهير القلب

وهذا العمل يعني إعمار القلب وتطهيره وإن كان ضرورياً على مدى السنة كلها، إلّا أن شهر رمضان خير فرصة له لما فيه من أجواء سموّ روحي، حيث تغل فيه الشياطين وتخمد شهوات النفس الأمّارة بالسوء ويعيش الجميع أجواء الطاعة لله سبحانه.

وقد حشد الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عدداً وافراً من الأدعية والمناجاة لإعطاء هذا الشهر الشريف دفعة إلهية ضخمة، وليكرس الإنسان نفسه لله سبحانه، ويزداد هذا التكريس في العشر الأواخر من شهر رمضان حيث كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يطوي فراشه ـ كناية عن اجتناب النساء ـ ويشد مئزره للعبادة، وكان بعض المراجع ممن له مقام في العرفان يقفل مكتبه في هذه الأيام ويمتنع عن لقاء الناس،والبعض الآخر كان يغادر أهله ولا يعرف أحد أين يولي وجهه حتى نهاية الشهر.

إن غار حراء الذي دخله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومكث فيه متفرغاً للتأمل والعبادة والمناجاة والذكر الدائم مطلوب منا أن ندخله باستمرار، ولا أقل من هذه العشرة أيام بالسنة كما كان يفعل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لنجلو قلوبنا ونطهرها من الرين والصدأ المتراكم عليها من الذنوب والغفلة والاشتغال بفضول الدنيا من أكل أو نوم أو كلام، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

(١) سورة المطففين، الآية: ١٤.

**ثالثها**: مراجعة الدروس وتدارك ما فات منها، وسدّ الثغرات التي حصلت خلال المسيرة الدراسية.

**رابعها**: الاهتمام بالاتجاه الفكري أو ما نسميه بالوعي الاجتماعي فإنه من مقومات شخصية العالم الديني ومع ذلك فإن منهاج الدراسة الحوزوية المتعارفة خالية منه،فعليك أن تسعى لتحصيله بجهدك وتوفيق الله سبحانه، ومن أهم الكتب في هذا المجال كتاب (في ظلال القرآن) وغيره لكبار مُفكرينا المخلصين[١].

**خامسها**: تحصيل العلوم المكملة للدراسات الحوزوية مما لا يدخل في منهجها المألوف، كالتفسير والعقائد والتاريخ والرجال، مضافاً إلى الثقافة العامة والعلوم العصرية.

**سادسها**: تبادل الزيارات واللقاءات خصوصاً مع الأرحام، وتحسين العلاقات مع من تدخل الشيطان بينك وبينه فحصل سوء تفاهم فتسعى لإصلاح ذات البين فإنه أفضل من عامة الصلاة والصوم كما عبّر أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

**سابعها**: كتابة البحوث والدراسات وصقل هذه الموهبة، فإنه من المؤسف حقاً أن تعيش النجف حاضرة الفكر ومصنع العلماء والمفكرين عقدين من الزمان خالية ممن يشخص قضايا المجتمع وسلبياتها ويعالجها، فلم تصنع الحوزة خلال هذه المدة مفكراً واحداً وهذا مما لا يمكن قبوله.

فعلى الإخوة الفضلاء والطلبة شحذ الهِمَم والتصدي لدراسة ما يعصف بالمجتمع من مشاكل وانحرافات وشُبهات، وكتابة البحوث وعلاجها ومواجهتها،

(١) لم نكن نستطيع التصريح بأسمائهم كالشهيدين الصدرين والسيد الخميني والشيخ المطهري (قدس الله أرواحهم جميعاً).

ويفضل أن تكون البحوث بحجم كراسات وكتيبات يسهل قراءتها ولا يتعذر بذل الثمن بإزائها، ويكفي في هذه الكتابات تلخيص أفكار علمائنا أو مفكرينا الكبار وتجميعها وصياغتها بما يناسب واقعنا المعاش.

## الجهة الثانية في استقبال شهر رمضان
## لماذا جعل الله تعالى الأعمال في هذه الأيام مضاعفة؟

قد يسأل سائل لماذا عيّن الله سبحانه أياماً مباركة وليالٍ شريفة اهتم بها وجعل الأعمال بها مضاعفة، هل لعظمتها في نفسها ؟ أم لارتباطها بحوادث معينة؟ أم لا هذا ولا ذاك ؟ قد تصح بعض الأجوبة أو كلّها وقد يوجد غيرها، إلّا أن أحد الأجوبة الصحيحة أنها فرصة منحها الله سبحانه بلطفه وكرمه وتوفيقه لعباده ليضاعف لهم العطاء نظير ما يفعله البعض بتوفير فرصة (الجوكر) للمتسابقين فيأخذ بها المتسابق لتضاعف له النقاط التي يحرزها.

وقد وفر الله سبحانه لعباده عدة فرص خلال السنة لكن أهمها وأوفرها حظّاً شهر رمضان، ففي دعاء الإمام السجاد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في وداع شهر رمضان، وإني أنصح بقراءته في استقبال شهر رمضان ليعرف الإنسان قيمته قبل الدخول فيه ويزداد معرفة بعظمته وجلالة قدره وعظمة نعمة الله سبحانه بتوفير هذه الفرصة لعباده وبإبقائهم أحياء حتى يدركوا هذه الفرصة مجدداً، وإلا فإن أشخاصاً عديدين كانوا معنا في شهر رمضان السابق ليسوا معنا الآن لكن الله بفضله ورحمته ولطفه أدرك بنا هذا الشهر العظيم وجدّد لنا هذه الفرصة لينظر كيف نصنع؟

## دعاء الإمام السجاد عليه السلام في وداع شهر رمضان

قال الإمام السجاد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : «وأنت الذي زدتَ في السوم على نفسك لعبادك، تريد ربحهم في متاجرتهم لك، وفوزهم بالوفادة عليك، والزيادة منك، فقلت تبارك اسمك وتعاليت: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ

بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا ﴾، وقلت: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾، وقلت: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ ﴾ إلى أن يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اللَّهُمَّ وأنت جعلت من صفايا تلك الوظائف، وخصائص تلك الفروض شهر رمضان الذي اختصصته من سائر الشهور، وتخيّرته من جميع الأزمنة والدهور، وآثرته على كلّ أوقات السنة بما أنزلت فيه من القرآن والنور، وضاعفت فيه من الإيمان، وفرضت فيه من الصيام، ورغّبت فيه من القيام، وأجللت فيه من ليلة القدر التي هي خيرٌ من ألف شهر. ثم آثرتنا به على سائر الأمم، واصطفيتنا بفضله دون أهل الملل».

إلى أن يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: «السلام عليك يا شهر الله الأكبر ويا عيدَ أوليائه، السلام عليك يا أكرم مصحوب من الأوقات، ويا خير شهر في الأيام والساعات، السلام عليك من شهر قرُبت فيه الآمال، ونُشرت فيه الأعمال، السلام عليك من قرين جلّ قدره موجوداً، وأفجع فقده مفقوداً، ومرجوٍّ آلم فراقه، السلام عليك من أليف آنس مقبلاً فسرّ، وأوحش منقضياً فمضّ، السلام عليك من مجاور رقّت فيه القلوب، وقلّت فيه الذنوب، السلام عليك من ناصرٍ أعان على الشيطان، وصاحبٍ سهّل سُبل الإحسان، السلام عليك ما أكثر عُتقاء الله فيك، وما أسعد من رعى حُرمتك بك، السلام عليك ما كان أمحاكَ للذنوب، وأسترك لأنواع العيوب، السلام عليك ما كان أطولك على المجرمين، وأهيَبك في صدور المؤمنين، السلام عليك من شهر لا تُنافسه الأيام، السلام عليك من شهر هو من كلّ أمرٍ سلامٌ، السلام عليك غير كريه المُصاحبة، ولا ذميم الملابسة، السلام عليك كما وفدت علينا بالبركات، وغسلت عنّا دنس الخطيئات، السلام عليك غير مودّع برماً ولا متروك صيامه سأماً، السلام عليك من مطلوب قبل وقته،

ومحزونٍ عليه قبل فوته، السلام عليكَ كم من سوءٍ صرف بك عنّا، وكم من خيرٍ أُفيض بك علينا»، إلى آخر الدعاء المليء بهذه المعارف الإلهية الجليلة.

ومما يستقبل به شهر رمضان أيضاً خطبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في آخر جمعة من شعبان التي رواها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ والتي تمثّل دستور عمل في هذا الشهر المبارك. أعاننا الله سبحانه على طاعته وجنّبنا معصيته، وجعلنا ممن ينال غاية رضاه، وختم لنا بالحسنى، إنه وليّ النِّعم وهو حسبنا ونعم الوكيل. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

# ليلة القدر
# خير من ألف شهر[١]

## كيف تكون ليلة القدر خيراً من ألف شهر؟

قال الله تبارك وتعالى في فضل وشرف ليلة القدر التي هي أفضل ليالي السنة: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٢]، والمشهور في فهمها أن العمل فيها يتضاعف برحمة الله تعالى وفضله ليكون خيراً من عمل ألف شهر، وهو معنى صحيح مَنَّ الله تعالى به على عباده ليزيدهم من عطائه كرماً منه، وقد دلت عليه الروايات، ففي الكافي عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «قال له بعض أصحابنا: كيف تكون ليلة القدر خيراً من ألف شهر؟ قال: العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر»، ويدلّ عليه وصفها بالمباركة في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[٣]، ومن بركاتها زيادة الأجر على الأعمال عن غيرها من الليالي والأيام.

## من معاني ليلة القدر

وهذا المعنى مأخوذ من اسمها؛ لأن القدر ـ الذي هو بمعنى الشأن العظيم فيقال عالي القدر ـ متحقّق فيها فلها قدر عظيم، كما أنه متحقّق في غيرها

---

(١) أصل الكلمة تقرير لحديث سماحة المرجع الديني الشيخ اليعقوبي (دام ظله) مع جمع من زوار أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مساء يوم ٢١/رمضان/١٤٣١ ثم أضاف إليها سماحته ليتحدث بها من خلال قناة النعيم الفضائية في رمضان /١٤٣٢ الموافق آب/٢٠١١.

(٢) سورة القدر، الآية: ٣.

(٣) سورة الدخان، الآية: ٣.

بدرجات متفاوتة من الفضل في أمكنة وأزمنة متعددة كالصلاة في المساجد الأربعة وعند أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنها بآلاف الصلوات، وفي ليلة الجمعة ويومها ولياليٍ شريفة متعددة تتضاعف الأعمال أيضاً.

وهناك معنى آخر لهذه الليلة مأخوذ من اسمها بالمعنى الآخر وهو القدر بمعنى التقدير أي اتخاذ القرار والبتّ في الأمر، وقد ورد هذا التفسير في الكافي بإسناده عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ في رواية جاء فيها: «يقدّر في ليلة القدر كلّ شيء يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل: خير وشرّ وطاعة ومعصية ومولود وأجل أو رزق فما قدّر في تلك الليلة وقضي فهو المحتوم ولله عز وجل فيه المشيئة».

ويكون معنى الآية حينئذٍ، أن الله تعالى يقدّر في ليلة القدر مصائر العباد وأرزاقهم وأمورهم المستقبلية قال تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾، ومعنى كونها خيراً من ألف شهر أن العبد قد يحظى بالتفاتة من ربّه وينالـه لطف خاص فيقدّر الله تبارك وتعالى له في هذه الليلة أمراً يساوي حياته كلّها التي تمتد في المعدل ألف شهر وهي حوالي ٨٣ سنة.

ولذا ورد في أدعية هذه الليلة: «وإن كنت من الأشقياء فامحني من الأشقياء واكتبني من السعداء فإنك قلت في كتابك المنزل على نبيك المرسل صلواتك عليه وآله: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[1]»، فمثل هذا التغيير في القضاء إذا حصل في هذه الليلة فإنه يعادل العمر كله؛ لأن غاية سعي الإنسان في حياته هو بلوغ السعادة الحقيقية بفضل الله تبارك وتعالى.

## إحياء ليالي القدر

وكان الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يعطون لهذه الليلة أهمية خاصة ويوجّهون شيعتهم

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٩.

لإحيائها بما يقرّبهم إلى الله تبارك وتعالى. روى الشيخ الطوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في التهذيب بسند معتبر عن زرارة عن أبي جعفر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: «سألته عن ليلة القدر، قال: هي ليلة إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين، قلت: أليس إنما هي ليلة؟ قال: بلى، قلت: فأخبرني بها، قال: وما عليك أن تفعل خيراً في ليلتين»(١).

وعن الفضيل بن يسار قال: «كان أبو جعفر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إذا كانت ليلة إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين أخذ في الدعاء حتى يزول الليل، فإذا زال الليل صلّى»(٢).

وروي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال: «أتى رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رجلٌ من جهينة فقال: يا رسول الله إن لي إبلاً وغنماً وغُلمة وعمَلةً فأحب أن تأمرني بليلة أدخل فيها فأشهد الصلاة، وذلك في شهر رمضان، فدعاه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فسارّه في أذنه، فكان الجهني إذا كانت ليلة ثلاثاً وعشرين دخل بإبله وغنمه وأهله فبات تلك الليلة بالمدينة فإذا أصبح خرج بمن دخل به فرجع إلى مكانه»(٣).

وعن أبي عبد الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: «إن ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان هي ليلة الجهني ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾(٤) وفيها تثبت البلايا والمنايا والآجال والأرزاق والقضايا، وجميع ما يُحدث الله عز وجل فيها إلى مثلها من الحول، فطوبى لعبد أحياها راكعاً وساجداً ومثّل خطاياه بين عينيه ويبكي عليها فإذا فعل ذلك رجوت أن لا يخيب إن شاء الله تعالى»(٥).

---

(١) التهذيب: ٥٨/٣.
(٢) الكافي: ١٥٥/٤، الخصال: ٥١٩.
(٣) التهذيب: ٣٣٠/٤، الدعائم: ٢٨٢/١، بحار الأنوار: ١٢٨/٨٣.
(٤) سورة الدخان، الآية: ٤.
(٥) دعوات الراوندي: ٢٠٧.

## حول أعمال ليلة القدر

ولذلك ينبغي للمؤمن أن يلح في مثل هذا الطلب في ليلة القدر لعله يحظى بالقبول، فإن رحمة الله واسعة وفضله مبذول لمن سأله وأن يكون دعاؤه بالحال الذي وصفه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «فاسألوا الله ربكم بنيّات صادقة وقلوب طاهرة». وينبغي أن يقوم بالأعمال التي تحقّق له أهلية الاستجابة والقبول في ليلة القدر ـ كالإكثار من الصلوات المستحبة كصلاة مئة ركعة والدعاء والرحمة بالآخرين وسماع الموعظة وذكر فضائل أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ومصائبهم ـ مما يحيي القلب وينقيه ويخلص النية، ومن أعمالها المؤكدة زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ولو من بُعد لمن يتعذر عليه زيارة تربته المقدّسة فقد وردت فيها روايات عديدة منها ما في التهذيب عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ وفيها: «نادى منادٍ تلك الليلة من بطنان العرش إن الله قد غفر لمن أتى قبر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذه الليلة».

وإذا وجد في عمل رتابة ومللاً فلينوِّع ولينتقل إلى عمل آخر، فإن الأعمال المذكورة لهذه الليالي كثيرة ومتنوعة، وأحد أهداف تنوعها هو منع الكسل والملل والرتابة، ولإحداث الحيوية، ولإعطاء الفرصة لكلّ شخص أن يأخذ ما يناسبه ويتفاعل معه من أعمال الجوارح والجوانح.

## بماذا نستعد لليلة القدر؟

وينبغي الاستعداد لليلة القدر من قبلها بالورع عن معاصي الله تبارك وتعالى والإقبال على طاعته، ومن أشكال الاستعداد أن يأتي بأعمالها منذ ليلة التاسع عشر كما هو مقرَّر مع أنها لا يحتمل أن تكون ليلة القدر لأنها تقع في العشر الأواخر من شهر رمضان لكنها جعلت منها وشملت بأعمالها ليوفّق

المؤمن لليلة القدر، ومن يتهاون بها فلعله يحرم من شيء من فضل ليلة القدر إلّا أن يتداركه الله تعالى بفضله وكرمه.

ولتوضيح مسألة دخول ليلة التاسع عشر في أعمال ليالي القدر ـ مع أن الليلة متعينة في العشر الأواخر من شهر رمضان ـ نقول: إن أي طلب يمر بعدة مراحل من النظر فيه ثم دراسة كيفية تلبية وتهيئة ظروف استجابته، ثم اتخاذ القرار بالاستجابة له، ثم تنفيذ هذا القرار وتحقيق المراد، ففي الليلة التاسعة عشرة يبدأ المؤمنون بتقديم طلباتهم ويُنظر في تلبيتها لهم، وفي الليلة الحادية والعشرين: تتخذ القرارات بالاستجابة لمن يشمله اللطف الإلهي الواسع، لكن يبقى قلم المحو والإثبات لم يجفّ، وفي الليلة الثالثة والعشرين: تُمضى تلك الأوامر نفياً أو إثباتاً، ولذا تكرّر وصف القضاء الإلهي في ليلة القدر بأنه لا يرد ولا يبدَّل كما في دعاء الإمامين الصادق والكاظم عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ بعد كلّ فريضة، وفيه: «اللّٰهُمَّ إني أسألك في ما تقضي وتقدّر من القضاء الذي لا يرد ولا يبدل» إلى آخر الدعاء.

وهذا المعنى ورد في رواية ذكرها الشيخ الكليني في الكافي بإسناده عن زرارة قال: «قال أبو عبد الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: التقدير في تسع عشرة، والإبرام في إحدى وعشرين، والإمضاء في ليلة ثلاث وعشرين».

ويكفي دليلاً على عظمة التغييرات التي تحصل للفرد وللبشرية جميعاً في ليلة القدر أن نزول القرآن كان فيها، القرآن الذي قلَبَ حياة البشرية وسما بها من حيوانية الجاهلية إلى قمّة التوحيد وفتح آفاقاً واسعة للعلوم والمعارف والحضارات وأرسى أُسس الحياة السعيدة، فكانت تلك الليلة خيراً من آلاف الشهور والسنين ـ لأن الألف لم تذكر للتحديد وإنما للتعبير عن الكثرة ـ التي قضتها البشرية في ظلمات الجاهلية.

وتبقى الأمة سعيدة ما دامت ملتفتة إلى عظمة ليلة القدر والقرآن الذي نزل فيها وملتزمة به ومستفيدة منه، وإلّا فإنه لا يغنيها ما أصابته من عرض الدنيا وحطامها.

## علاقة الزهراء عليها السلام بليلة القدر

وبهذا المعنى كان من ألقاب الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ أنها ليلة القدر؛ لأن موقفها صحّح مسيرة الأمة إلى قيام يوم الساعة، فهذا الانقلاب الإيجابي المضاد الذي أحدثته الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ بموقفها يعدل عمل الأمة آلاف السنين إلى آخر عمرها فيما لو لم تهتدِ إليه.

وكان لليلة القدر مكانة في قلب الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ، فقد روي: «إن فاطمة عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ كانت لا تدعْ أحداً من أهلها ينام تلك الليلة (ليلة القدر) وتداويهم بقلة الطعام وتتأهب لها من النهار، وتقول: محروم من حُرِمَ خيرها»[1].

وعلى أي حال فإن الاهتمام بليلة القدر والتركيز على إحيائها لا يعني أن الإنسان يتكاسل في أيامه كلّها ويتهاون ويفرّغ نفسه في الليالي المحتملة لليلة القدر، فهذا لا يناسب العاملين الراغبين فيما عند الله تبارك وتعالى، ولا أن ييأس إذا لم يشعر أنه قد وفق لإحياء ليلة القدر؛ لأن هذه الليلة وشهر رمضان وغيرها من أبواب اللطف الإلهي فإذا انقضت فإن رب شهر رمضان ورب ليلة القدر باقٍ ورحمته واسعة.

## تفكّر ساعة خير من عبادة ستين سنة

إنَّ نفس هذا المعنى الذي شرحنا به الآية ورد في موضوع آخر ففي الرواية:

(١) بحار الأنوار: ١٠/٩٧.

«تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة» وهو مضاف إلى معناه المنسبق إلى الذهن وهو أن التفكير والتأمل والفهم هو حقيقة العمل والغاية المنشودة منه لا الحركات الخارجية التي إنما تكتسب قيمتها من محتواها وهو التفكّر والتأمل المنتج للخشوع والحب والرغبة والرهبة.

فإن للحديث معنى آخر كالذي ذكرناه عن ليلة القدر وهو أن الإنسان قد يقف ساعة للتفكّر والمراجعة والتحقيق في مسيرة حياته وهدفه الذي يريد أن يصل إليه، ونيته في أعماله، والقيادة التي يرجع إليها في أموره، وإذا به يتخذ قراراً يقلب كلّ مسيرة حياته ويغيّر وجهتها إلى الهدف الصحيح، فتكون هذه الساعة من المراجعة والتأمل خيراً من كلّ ما يؤديه خلال حياته عن غير بصيرة وهدى وكان يظن أنه يحسن صنعاً.

وأوضح مثال على هذه الحالة الحرّ الرياحي الذي أمضى ستين سنة من عمره بعيداً عن ولاية أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ واتباع منهجهم، فوقف ساعة يوم عاشوراء وتأمل في حاله وأرجع نفسه واتخذ القرار الشجاع بالانتقال إلى معسكر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وتحول من الشقاوة الأبدية إلى السعادة الأبدية، فقد كانت هذه الساعة هي كلّ حياته وليس تلك السنين الطويلة التي قضاها بعيداً عن الحق.

## ليلة القدر مرتبطة بصاحب ليلة القدر

ومما ينبغي التركيز عليه في هذه الليلة الدعاء للإمام صاحب العصر (أرواحنا له الفداء) لأنه صلوات الله عليه وسلامه هو صاحب هذه الليلة ويزداد فيها شرفاً وكرامة، سُئل الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ عما إذا كان يعرف ليلة القدر؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كيف لا نعرف والملائكة تطوف بنا فيها»[1]، وعليه عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) تفسير البرهان: ٤/٤٨٨، ح٢٩.

تنزَّل الملائكة وتعرض عليه ما قضى الله تبارك وتعالى به على العباد في تلك الليلة إلى العام المقبل فينظر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيها ويدعو لأصحابها بما يناسبهم، لأنه حجة الله تعالى الفعلية على المخلوقات، ويستحب الإكثار من دعاء: «اللّٰهُمَّ كن لوليّك الحجة ابن الحسن»، عسى أن نحظى بنظرة كريمة منه نستكمل بها الكرامة عند الله تبارك وتعالى ثم لا يصرفها عنا بجوده وكرمه.

## تنبيه عن أعمال ليلة القدر

وينبغي الالتفات أيضاً إلى أن أعمال ليلة القدر منتشرة في كتب السنن والمستحبات كـ(مفاتيح الجنان) و(مصابيح الجنان) تحت أكثر من عنوان، فتوجد أعمال خاصة بالليلة وتوجد غيرها تحت عنوان: (الأعمال المشتركة لليالي القدر، وأخرى تحت عنوان العشر الأواخر من شهر رمضان، وأخرى تحت عنوان الأعمال العامة لشهر رمضان)، فالتهيؤ والاستعداد يشمل تجميع هذه المفردات في برنامج عمل يأخذ منه كلّ شخص بما يناسبه وما ييسّره الله تبارك وتعالى.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل ليلة القدر وأن يقسم لنا فيها خير ما قسم لأحد من عباده الصالحين إنه واسع كريم.

# تذكرة في العشر الأواخر من شهر رمضان[١]

## أهمية العشر الأواخر

تمثّل العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك روح الشهر وخلاصته، وفيها يحصد العبد ثمرة أعماله الصالحة ويستشعر نتائجها بفضل الله تبارك وتعالى، ويهب الله تبارك وتعالى فيها من الألطاف والمِنَن لعباده، والبركات على موائده ما يزيد على ما قدّمه في سائر أيام الشهر ولياليه.

ويكفي في شرفها وعظمتها أن فيها ليلة القدر التي هي خيرٌ من ألف شهر، وفيها الليلة الأخيرة التي ورد أن الله تعالى يعتق فيها رقاباً من النار كمثل ما أعتق في جميع الشهر[٢].

ولذا حظيت هذه العشرة باهتمام كبير من لدن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والأئمة الطاهرين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ففي رواية صحيحة عن الحلبي عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا كان العشر الأواخر اعتكف في المسجد، وضربت له قبّة من شعر، وشمّر المئزر وطوى فراشه»[٣].

وروي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن آبائه قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: اعتكاف عشر في شهر رمضان تعدل حجتين وعمرتين»[٤].

---

(١) بيان صدر في ٢١ رمضان ١٤٢٧

(٢) الكافي: ٦٨/٤، التهذيب: ١٩٣/٤، من لا يحضره الفقيه: ٦٠/٢، ثواب الأعمال: ٩٠، أمالي الصدوق: ٥٦.

(٣) وسائل الشيعة: كتاب الاعتكاف، باب ١، ح١، ٣.

(٤) المصدر السابق نفسه.

## معاني الاعتكاف

ومن الواضح أن المراد من الاعتكاف: روحه وجوهره، وهو الانقطاع عن كلّ ما يشغل عن الله تبارك وتعالى فضلاً عن المعاصي، وهذا ما قد يستطيع المؤمن تحقيقه في غير المسجد، أي في داره أو محل عمله، لكن الاعتكاف في المسجد الجامع الذي أقلّهُ ثلاثة أيام هو الراجح شرعاً وفضلاً في الشكل والمضمون.

وعلى هذا سار السلف الصالح متأسّين بنبيّهم الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حيث كانوا يخففون كثيراً من علاقاتهم الاجتماعية ويغيّرون نمط حياتهم ويتركون غير الضروري من المباحات ليتفرّغوا لعبادة ربّهم ومناجاته والاشتغال بما يقرّبهم إلى الله تبارك وتعالى.

إن الألطاف الإلهية الإضافية التي يمنّ الله تعالى بها على عباده في العشر الأواخر ليستشعرها المؤمن من خلال الشحنة الإضافية التي تدبّ فيه فينشط لطاعة الله تبارك وتعالى أكثر من غيرها، وتزيد همّته للإتيان بما عجز عنه في غيرها.

## تنبيهات حول أعمال العشر الأواخر

وقد تضمنت كتب السنن والمستحبات أعمالاً لهذه الليالي تشكّل برنامجاً يأنس به المؤمنون، ويشتاق إليه طلاب القرب من الله سبحانه، وهي موزعة تحت عدة عناوين كالأعمال العامة لشهر رمضان، والأعمال المشتركة للعشر الأواخر، والأعمال الخاصة بكلّ ليلة منها، مضافاً إلى الأعمال المشتركة والخاصة لليالي القدر في الليالي التي تحتملها.

وينبغي الالتفات إلى أنواع أخرى من الطاعات المعنوية كمحاسبة النفس وتذكر ما صدر من معاصٍ والندم عليها والاستغفار منها، والتفكّر في العلاقة

مع الله تبارك وتعالى بكلّ جوانبها كحبّ الله تعالى أو الشعور بالتقصير أمام عظيم نعمه أو الخجل من عدم أداء وظائف العبودية، ومن الأعمال أيضاً سماع الموعظة وما يرقق القلب، ومطالعة وصايا المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وسير الصالحين للتأسّي بهم، وقضاء حوائج الناس وإدخال السرور عليهم.

## مشاعر المؤمن في العشر الأواخر

إن أول شعور للإنسان المؤمن حينما يبلّغه الله تبارك وتعالى العشر الأواخر من شهر رمضان هو العجز عن أداء الشكر لله تعالى على بلوغ هذه الأيام الشريفة ولم يجعله من السواد المخترم قبلها، أي الذين جاءهم الموت واخترمهم الأجل فلم يدركوا هذه الليالي الشريفة، فإن هذه العشرة أولى بالفضل والشكر من العشرة الأولى من شهر ذي الحجة التي ورد في أدعيتها: «اللّهُمَّ هذه الأيام التي فضّلتها على الأيام وشرّفتها قد بلّغتَنيها بمنّك ورحمتك فانزل علينا من بركاتك وأوسع علينا فيها من نعمائك».

## أسباب حالة الفتور في العشر الأواخر

إن مما يؤسف له أن الحالة العامة للناس هي التراخي والفتور في هذه الليالي على عكس ما هو مطلوب من زيادة الهمّة ومضاعفة النشاط وتكريس الإنسان نفسه لطاعة الله تبارك تعالى، حتى أن البعض يتوقف عن تلاوة القرآن بعد أن يختمه في ليلة القدر، مع أن شهر رمضان كلّه هو ربيع القرآن، ولعلّ لهذا الفتور أسباب عديدة:

١ـ الغفلة عن عظمة هذه الليالي وشرفها وما أعد الله تبارك وتعالى فيها للعاملين.

٢ـ إرهاصات العيد والاستعداد له بشراء الملابس وتهيئة الأطعمة ووضع برامج الاحتفال.

٣ـ التعب من فريضة الصوم واشتياق الإنسان للعودة إلى ممارسة المباحات.

٤ـ انتهاء مجالس الوعظ والإرشاد والتوجيه والتبليغ والشعائر الدينية حيث تختم هذه المجالس في ليلة (٢١) أو(٢٣) ونادراً ما تتجاوز ليلة (٢٥).

٥ـ تحول برامج التلفزيون بشكل ملحوظ نحو المجون والفسق والفجور.

فتساهم هذه الأسباب وغيرها في عزوف الناس عن ارتياد المساجد وسماع الكلمات التي تشدهم إلى الطاعة.

## علاج حالة الفتور والتكاسل

لذا ينبغي لنا ونحن نستقبل هذه الليالي أن لا نفرّط في استثمارها من خلال عدة نشاطات:

١ـ المواصلة على حضور المساجد وإقامة صلوات الجماعة والأدعية الجماعية الحاشدة.

٢ـ الحثّ على القيام بعبادة الاعتكاف لمن يتيسّر له ذلك، فإنها من أعظم السنن وعقدها في المساجد الجامعة لأهل المدينة مع الالتفات إلى الاعتكاف المعنوي الذي ذكرناه، ومراقبة النفس بشدة خشية وقوعها في العجب والرياء والتباهي أمام الناس؛ لأن هذه الفعالية مظنة للوقوع في تلك الآثام فيفسد الإنسان على نفسه.

٣ـ الاستمرار بمجالس الوعظ والإرشاد والتوجيه وإحياء الشعائر الدينية وإلقاء المحاضرات.

٤ـ استثمار فترة إقبال النفس للقيام ببعض الأعمال التي أشرنا إليها.

٥ـ الإكثار من الدعاء والتوسل إلى الله تبارك وتعالى وطلب الفوز بالجنة

والعتق من النار والتعجيل لظهور بقية الله الأعظم وطلب قضاء حوائج الدنيا والآخرة له ولسائر المؤمنين.

٦ـ اجتناب موارد الغفلة واللهو والعبث والصدّ عن ذكر الله تعالى كلعبة المحيبس ومتابعة التلفزيون وحضور مجالس البطالين.

فإذا علم الله تعالى منا الإخلاص ورأى حركة جماعية بهذا الاتجاه فسيرفع عنّا البلاء وسيعطينا فوق سؤلنا فإنه الكريم الرحيم الذي لا تنفد خزائنه ولا تزيده كثرة العطاء إلّا جوداً وكرماً.

# بركة الإقامة
# عند أمير المؤمنين عليه السلام
# في العشر الأواخر من شهر رمضان [١]

## أهمية مصاحبة الصالحين

يُشبِه الأخلاقيون أثر مصاحبة الصالحين في تهذيب الأخلاق والسير نحو الكمال بالنبات المتسلق الذي إذا تُرك وحده فإنه ينمو ولكن قريباً إلى الأرض لا يستطيع أن يقف قائماً ويرتفع نحو الأعلى، ولكنه إذا أُسند إلى الحائط أو أي قائم ثابت فإنه يتسلق نحو الأعلى ويرتفع، هذا مثال لتأثر مريد الكمال بالأجواء الإيمانية إذا أوى إليها وكان قريباً من أهلها وإن لم يسمع منهم كلمة، كما أن مطالعة سير الصالحين تؤثّر في روحية الإنسان وتدله على طريق الكمال، وإن لم يسمع ولم يلتقِ بصاحب الكلام في الكتاب لكنه يلتقيه روحياً من خلال هذه الكلمات فكأنما يعيش معه.

فمن نعم الله تعالى عليكم إقامتكم إلى جوار أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي لم تنقطع رعايته لمجاوريه ولشيعته بعد استشهاده كما ورد عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[٢]. وعلي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو أمير المؤمنين فهو مطّلع على أعمال

(١) من حديث سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) يوم السبت ٢٦ ـ رمضان ـ ١٤٣٢هـ الموافق ٢٧ ـ ٨ ـ ٢٠١١ مع الشباب الذين استضافتهم الحوزة العلمية في النجف الأشرف عشرة أيام ووضعت لهم برامج عبادية وأخلاقية ولقاءات مع المراجع والعلماء.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

العباد ويدعو الله تعالى بالزيادة والقبول لحسناتهم بالمغفرة والصفح لسيئاتهم، وإن القلوب لتتلقى بحسب استعدادها من فيوضاته المباركة وهو عَلَيْهِ السَّلَامُ باب مدينة علم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وبذلك فقد اخترتم المكان الأفضل والزمان الأفضل وهي العشر الأواخر من شهر رمضان، وأنتم بهذا العمر المفعم بالحيوية والنقاء والقرب من الفطرة والنشاط في العمل فكثير منكم لم يبلغ العشرين أو تجاوزها بقليل، وإذا عُدنا إلى مثال النبات المتسلق، فإن إسناد هذا النبات إلى ما يُقوِّم نموه ويرفعه نحو الأعلى في أول تكوينه يكون أكثر عطاءً للنتائج المرجوة، مما لو حصل بعد أن نما وكبر متشبثاً بالأرض وكثرت التواءاته وعقده.

## بركات المجاورة لأمير المؤمنين عليه السلام

ولا شكّ أنكم أحسستم ببركات هذه المجاورة لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وللعلماء والحوزة العلمية، وليس حالكم خلال هذه الأيام كحالكم قبل شهر رمضان وقبل قدومكم، ولكن عليكم أيها الأحبة أن تديموا هذه الآثار المباركة، ولا تجعلوها مرهونة بهذا الزمان وهذا المكان الشريفين، وأنتم تعلمون أن قيمة الأعمال هي بمقدار آثارها المعنوية، فالصوم لا تُنال حقيقته بالامتناع عن المفطرات الظاهرية المدونة في كتب الفقه كالأكل والشرب وإن كان هذا المقدار مبرئاً للذمة، وإنما بكفّ النفس والجسد عمّا حرّم الله تعالى وتفريغهما لطاعة الله تبارك وتعالى وإذا انضم إليهما القلب كان الحال أكمل بفضل الله تبارك وتعالى.

## طاعة الله تعالى بعد شهر رمضان

فإذا استطعنا التقدّم في شهر رمضان في هذا المجال فلنحافظ عليه حتى ما

بعد شهر رمضان لأنها أمور مطلوبة على الدوام، وما شهر رمضان إلّا باب من أبواب اللطف الإلهي لإعانة الإنسان وإعطائه دفعة كبيرة إلى الإمام، ولطف الله تعالى مبذول على الدوام وأبوابه مفتوحة، وإذا أغلقت باب شهر رمضان بانتهائه فتح الله تبارك وتعالى بكرمه ورحمته أبواباً أخرى قد تكون أوسع، وإذا رفعت موائد شهر رمضان وليلة القدر والعشر الأواخر، وحصل كلُّ واحد من الناس على مقدار ما يسره الله تعالى له، فإن موائد رب شهر رمضان الكريم مستمرة، وقد يتاح للعبد الحصول منها على أفضل مما حصل عليه غيره في شهر رمضان.

ولتقريب الفكرة نقول: عندما يدعو عالم أشخاصاً إلى مأدبة طعام، فإن من المدعوين من يتشرف بالتناول من مائدته ويخرج، ومنهم ـ وهم الخاصة ـ من ينتظر ما هو أفضل مما بذل على مائدة الطعام فيبقى بعد انفضاض عامة الناس ليتزود من الغذاء المعنوي ولذة مجالسة هذا العالم والأنس بلقائه والأخذ منه.

أليس غفران الذنوب من أعظم ما يطلبه المؤمنون في ليلة القدر كما نطقت به الأدعية الشريفة؟ فإن عندك على طول السنة سبباً للمغفرة بل أرقى من ذلك فإنه سبب لتبديل تلك السيئات إلى حسنات: وهي الصلوات اليومية المفروضة في أوقاتها خصوصاً إذا صُليت جماعة في المساجد قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾[1]، ورد في تفسيرها عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «سمعت حبيبي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: أرجا آية في كتاب الله ـ ثم ذكر الآية وقال ـ يا علي والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً إن أحدكم ليقوم إلى وضوئه فتتساقط من جوارحه الذنوب فإذا استقبل الله بقلبه ووجهه لم ينفتل وعليه من

(١) سورة هود، الآية: ١١٤.

ذنوبه شيء كما ولدته أمه، فإن أصاب شيئاً بين الصلاتين كان له مثل ذلك حتى عَدَّ الصلوات الخمس.

ثم قال: يا علي إنما مثل الصلوات الخمس لأمتي كنهرٍ جارٍ على باب أحدهم فما يظنُّ أحدهم إذا كان في جسده درن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات أكان يبقى في جسده درن؟ فكذلك والله الصلوات الخمس لأمتي»[1].

وهكذا نُديم الآثار المباركة الأخرى، فمن استطاع أن يتجنّب الغيبة شهراً كاملاً احتراماً لصومه ولشهر رمضان وطلباً لرضا الله تعالى، فليأخذ شحنة إيمانية لبقية أيامه فيتجنّب الغيبة دائماً، والنظر إلى ما لا يحل، وسماع ما حرمه الله تعالى، وسوء الأخلاق وسائر الأمور المذمومة الأخرى، وليستمر على ما وُفّق له في هذا الشهر كصلاة الليل وتلاوة القرآن ومساعدة الناس وزيارة الأئمة المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

(١) تفسير الصافي: ٨٤/٤.

# إحياء سنّة الاعتكاف في العشر الأواخر من شهر رمضان [١]

ورد عن المعصومين (سلام الله عليهم) حثّ أكيد على الاعتكاف في المساجد خصوصاً في العشر الأواخر من شهر رمضان، ففي حديث صحيح عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: «كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا كان العشر الأواخر اعتكف في المسجد وضُربت له قبة من شعر، وشمّر المئزر وطوى فراشه».

وروى الشيخ الصدوق (رضوان الله تعالى عليه) عن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن آبائه عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: اعتكاف عشر في شهر رمضان تعدل حجتين وعمرتين»، وقد نال هذا الفضل جملة من المؤمنين هذا العام فقد اعتكف حوالي مئة وخمسين ممن شملهم الله تعالى بلطفه في مسجد الرحمن في حي المنصور ببغداد على دفعتين وقامت إدارة المسجد بجهود مشكورة في توفير الطعام والشراب وسائر الخدمات اللائقة بهم ونظمت للمعتكفين برامج منوعة من العبادات والذكر واللقاءات والمسابقات القرآنية وأحسوا بأجواء روحية لم يشهدوها من قبل وشعر البعض وكأنهم في أجواء مناسك الحج في مكة المكرمة.

ووجّه سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظلُّه) كلمات حفاوة وثناءٍ وتبجيلٍ لهذه المبادرة التي يُرجى لها الدوام لإحياء القلوب وتطهير النفوس ورجوع الناس

(١) نُشر في العدد (٦١) من صحيفة الصادقين الصادر بتاريخ ٩/شوال/١٤٢٨ المصادف ٢٠٠٧/١٠/٢١.

إلى الله تبارك وتعالى في زمن قاتم ملبّد بحبّ الدنيا والصراع على السلطة حتى انتهكت كلّ المقدسات.

وشكر للإدارة جهودها المخلصة في توفير كلّ أسباب الراحة والتفرغ للعبادة وإصرارها على المواظبة على هذه الشعيرة وإنجاحها في السنوات المقبلة بإذن الله تعالى حتى تعمّ بركاتها المجتمع كله.

وكان سماحته قد بادر إلى طبع كتاب الاعتكاف من رسالته العملية (سُبُل السلام) قبل شهر رمضان المبارك ليتفقّه المؤمنون بأحكام وآداب هذه الشعيرة المباركة.

وقد بعث المؤمنون الذين أحيوا هذه السنّة المباركة برسالة إلى سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) نشرت في العدد (٦٢) من صحيفة الصادقين الصادر بتاريخ ٢٤/شوال/١٤٢٨ المصادف ٢٠٠٧/١١/٥ وهذا نصها:

## كلمة المعتكفين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾(١)

عن داود بن الحصين، عن أبي العباس، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: اعتكف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في شهر رمضان في العشر الأولى، ثم اعتكف في الثانية في العشر الوسطى، ثم اعتكف في الثالثة في العشر الأواخر، ثم لم يزل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يعتكف في العشر الأواخر.

نشكر الله تبارك وتعالى أولاً ورسوله والأئمة الأطهار(صلوات الله عليه وعليهم)

(١) سورة الحج، الآية: ٣.

لهذه النعمة العظيمة وهذه الفيوضات والألطاف الكريمة التي منّ بها علينا تبارك وتعالى برحمته وببركة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والأئمة الطاهرين أئمتنا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وسُبُل نجاتنا في الدنيا والآخرة.

ولا يفوتنا هنا أن نتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير والامتنان للمقام السامي للمرجعية الشاهدة المتمثلة بسماحة آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظلُّه) لهذه الالتفاتة العظيمة والمبادرة الكريمة ـ والتي عبّر عنها سماحته بأنها أدخلت السرور على قلب الإمام المهدي (عجّل الله فرجه) ـ بكلّ ما تحمل من آثار عظيمة وانعكاسات مهمة على واقع شعبنا الجريح وما يمر به من مآسٍ ومحن والتي أثبت الواقع أنه لا سبيل للخروج منها إلّا بالهروب إلى الله عز وجل والتماس المخرج منه تبارك وتعالى ، ونسأله تعالى أن يجعل مبادرة المرجعية الشاهدة حافزاً للآخرين على الدعوة إلى الله وإقامة شعائره العظيمة التي هي من تقوى القلوب خالصةً له وحده وخاليةً من أي عناوين وشعارات دنيوية ضيقة.

ونتمنى عليه أدام الله بقاءه أن يشمل إخواننا المؤمنين بالدعوة إلى إقامة هذه الشعيرة المباركة في كافة محافظاتنا العزيزة للتوفر على النعمة التي رزقناها وهم إن شاء الله يمتلكون من الإمكانيات والمؤهلات أكثر مما نمتلك.

وهنا نتوجه بنيّة صادقة إلى إخواننا متولي المساجد والجوامع والجهات القائمة على المقامات الشريفة والمراقد الطاهرة والمساجد المشهورة بالتوجه إلى إقامة هذه السُّنة المباركة في مناطقهم لما فيها من خيرٍ وبركةٍ وتقاربٍ للنفوس وانقطاعٍ عن الدنيا.

ولا بدّ أن نسجّل هنا تثمينا وتقديرنا للجهود الخَيرة والمساعي الكبيرة التي قامت بها مؤسسة الرحمن الإسلامية والتي سخرت كلّ ما تملك من إمكانيات في سبيل إنجاح هذه التجربة المباركة وكذلك نشكر جميع الإخوة المؤمنين المتبرعين الذين لم يقصّروا في توفير

الكثير من الاحتياجات سائلين المولى عز وجل أن يخلف عليهم بالخير والبركة والرزق الحلال الطيب.

ونهمس هنا في آذان إخواننا السياسيين عامة وكلّ المتصدين للعمل الاجتماعي وخصوصاً الإسلاميين منهم وندعوهم إلى ممارسة هذه الشعيرة المباركة لكي يغرفوا منها ما يعينهم على تأدية دورهم الخطير في رسم طريق النجاة لهذا الشعب المظلوم الذي ينتظر منهم الكثير ، وليخرجوا من جوّ السياسة والمادة الضيق إلى حيز الروح وفضاء التقرب إلى البارئ عز وجل.

وأخيراً ننتظر من جميع مؤسسات المرجعية الرشيدة ونتمنى عليها دعم هذه التجربة المعطاءة بكلّ الإمكانيات المادية والمعنوية وخصوصاً في الجانب الإعلامي.

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ * رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ * لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾[1].

**أبناء المرجعية المعتكفون في جامع الرحمن**
**بغداد / يوم القدر ٢٣ من شهر الصيام / ١٤٢٨ هـ**

(١) سورة النور، الآيات: ٣٦-٣٧.

## الفصل السادس

# من معاني العيد

مواعظ وتوجيهات
سماحة المرجع الديني
الشيخ محمد اليعقوبي
(دام ظله الشريف)

mouraqabat - zakharef.indd 121 6/13/14 2:14 PM

# كيف نفهم العيد بالشكل الصحيح؟[١]

## شهر رمضان سبب للخيرات والبركات

بالأمس فارقنا صاحبٌ عزيزٌ علينا، وهو شهر رمضان، وليس من حسن الصحبة أن يفارقنا بلا وداع، فقد أقام فينا هذا الشهر مقام حمد وصحبنا صحبة مبرورة، وكان سبباً لكثير من البركات والخيرات ومنها:

١- إنه الداعي، أي المبلّغ لبطاقة الدعوة، إلى ضيافة الله سبحانه، فكنا ضيوفاً عنده تبارك وتعالى شهراً كاملاً، ولك أن تقدّر وتتصور شرف وكرامة هذه الضيافة بمقارنتها بالضيافة الدنيوية فيما لو دعاك المرجع الديني مثلاً أو شخصية مرموقة في المجتمع لضيافته، وماذا كانت العطايا على مائدة الضيافة؟ «أنفاسكم فيهِ تسبيح ونومكم فيهِ عبادة وعمَلكم فيهِ مقبُول ودعاؤُكم فيه مستجاب...»

---

(١) من خطبتي صلاة عيد الفطر التي أقيمت في مسجد الكرامة في النجف الأشرف لسنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، بإمامة الشيخ محمد اليعقوبي (دامت بركاته).
بدأهما بالحمد والثناء على الله تبارك وتعالى بما هو أهله، والصلاة والتسليم على سيّد خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين، بنصوص مقتبسة من الصحيفة السجادية، ودعاء الافتتاح، ثم قرأ آية للموعظة، وهي قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ * وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَـٰسِقُونَ﴾ [سورة الحشر، الآيتان: ١٨-١٩] ونبه إلى أن نسيان الله تبارك وتعالى يكون بنسيان السبل الموصلة إليه وعدم الالتزام بها، ومنها الحضور في المسجد، ليس هذا المسجد فقط بل عموم المساجد، فعدد الحاضرين لم يتجاوز ثلاثمائة مصلٍّ رغم أنه يتوسط أحياء سكنية تضم آلاف المسلمين: ـ ثم حرّر هذا العيب الاجتماعي في كتاب مستقل بعنوان (شكوى المسجد). وبعدها استهل الحديث وكما هو مثبت في الكلمات الموجودة في المتن.

إلى آخر ما ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في خطبته.

٢- إن هذا الشهر قد أربحنا أفضل أرباح العالمين؛ فإن التجارة مع الله سبحانه أربح التجارات، فهي أولاً لا تبور بل خالدة دائمة، ويصفها تبارك وتعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ﴾، فالواحد بسبع مئة ضعف، ثم يقول عز من قائل: ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1]، وفي شهر رمضان تتضاعف هذه الأرباح بما لا يحصيها إلّا الله سبحانه، فهنيئاً لمن استثمر ساعات عمره في اكتساب الحسنات وعمل الخيرات، ومن هذه الأرباح ما قاله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «ومَن تطوّع فيهِ بصلاة كتبَ لَهُ براءة مِن النّار، ومَن أدّى فيهِ فرضاً كان لَهُ ثواب مَن أدى سبعينَ فريضة فيما سواه مِن الشّهور، ومَن أكثر فيهِ من الصلاة عليّ ثقل الله ميزانه يَوم تخفُّ الموازينَ، ومَن تلا فيهِ آية مِن القرآن كانَ لَهُ مثل أجر مَن ختم القُرآن في غَيره مِن الشهور».

٣- إن فرص الطاعة تزداد في هذا الشهر لتصاعد الهِمَم وزيادة الرغبة في عمل الخير، فتجد أحدنا يحب أن يصلي المستحبات أو يزور المعصومين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ خصوصاً الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

وآخر يحب الإطعام، وآخر يكثر من تلاوة القرآن أو الدعاء بشكل لا يشابهه شيء في بقية الشهور ببركة هذا الشهر العظيم.

## قلة المعصية في شهر رمضان

إن فُرص المعصية تقلّ في هذا الشهر وسببه واضح لأن مناشئ المعصية هي

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦١.

الغرائز والشهوات للنفس الأمارة بالسوء، وفي هذا الشهر تخمد هذه الشهوات وتقلّل بشكل كبير، لأن الإنسان يمتلك الإرادة في هذا الشهر على ترك المحلل من الطعام والشراب والنكاح، فكيف لا يكون قادراً على اجتناب المحرمات؟ لذا تجد المجتمع يبتعد عن المعاصي بشكل ملحوظ، فالسافرة تتحجّب وتارك الصلاة يصلي والذي يطفّف في الميزان يترك هذا الفعل الشنيع والمعتاد على الكذب أو الغيبة والنميمة والنفاق يتركهما ويقول: «إني صائم».

وإلى هاتين النقطتين أشار صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: «أيها النّاس، إنّ أبواب الجنان ـ وهي على بعض التفاسير نفس الطاعات والأعمال الصالحة على القول بتجسم الأعمال ـ في هذا الشّهر مفتحة فسلوا ربّكم أن لايغلقها عَلَيكُم، وأبواب النيران ـ وهي السيئات والمعاصي بنفس التفسير السابق ـ مغلقة فسلُوا ربّكم أن لا يفتحها عَلَيكم والشياطين مغلولة فسلوا ربّكم أن لا يسلّطها عَلَيكُم»، وبهذا التفسير نفهم ما ورد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه كان بين أصحابه يوماً فسمع هدّة عظيمة أفزعت الخليقة، فسُئل عن ذلك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: هذا رجل عمره سبعين سنة قضاها في المعاصي، فهو طول هذه المدة يهوي في جهنم بارتكابه المزيد من المعاصي حتى مات فاستقرَّ في قعر جهنم التي أعدّها لنفسه.

## فقرات من دعاء الإمام السجّاد عليه السلام

لنطلّع على المزيد من النِّعم التي منّ الله تبارك وتعالى علينا بها في هذا الشهر الشريف: «السَّلامُ عَلَيْكَ مِنْ مُجَاوِرٍ رَقَّتْ فِيهِ الْقُلُوبُ، وَقَلَّتْ فِيهِ الذُّنُوبُ، السَّلامُ عَلَيْكَ مِنْ نَاصِرٍ أَعَانَ عَلَى الشَّيْطَانِ، وَصَاحِبٍ سَهَّلَ سُبُلَ الإِحْسَانِ السَّلامُ عَلَيْكَ مَا أَكْثَرَ عُتَقَاءَ اللهِ فِيكَ، وَمَا أَسْعَدَ مَنْ رَعَى حُرْمَتَكَ بِكَ السَّلَامُ عَلَيْكَ مَا كَانَ أَمْحَاكَ لِلذُّنُوبِ، وَأَسْتَرَكَ لأَنْوَاعِ الْعُيُوبِ، السَّلامُ عَلَيْكَ مَا كَانَ

أَطْوَلَكَ عَلَى الْمُجْرِمِينَ، وَأَهْيَبَكَ فِي صُدُورِ الْمُؤْمِنِين، السَّلامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ لا تُنَافِسُهُ الأيام، السَّلامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ هُوَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلامٌ، السَّلامُ عَلَيْكَ غَيْرَ كَرِيهِ الْمُصَاحَبَةِ، وَلا ذَمِيمِ الْمُلابَسَةِ، السّلامُ عَلَيْكَ كَمَا وَفَدْتَ عَلَيْنَا بِالْبَرَكَاتِ، وَغَسَلْتَ عَنَّا دَنَسَ الْخَطِيئَاتِ، السَّلامُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُوَدَّعٍ بَرَماً وَلا متروك صِيَامُهُ سَأَماً، السّلامُ عَلَيْكَ مِنْ مَطْلُوبٍ قَبْلَ وَقْتِهِ، وَمَحْزُونٍ عَلَيْهِ قَبْلَ فَوْتِهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ كَمْ مِنْ سُوءٍ صُرِفَ بِكَ عَنَّا، وَكَمْ مِنْ خَيْرٍ أُفِيضَ بِكَ عَلَيْنَا، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى لَيْلَةِ القَدْرِ التِي هِيَ خَيْرٌ مَنْ أَلْفِ شَهْرٍ، السَّلَامُ عَلَيْكَ مَا كَانَ أَحْرَصَنَا بِالْأَمْسِ عَلَيْكَ وَأَشَدَّ شَوْقَنَا غَداً إِلَيْكَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى فَضْلِكَ الذِي حُرِمْنَاهُ وَعَلَى مَاضٍ مِنْ بَرَكَاتِكَ سُلِبْنَاهُ».

## الفهم الصحيح للعيد

كثيرٌ من الناس لا يعي ولا يفهم معنى العيد بالشكل الصحيح كما يريده الله سبحانه وتعالى، فإنه يفهمه على أنه إيذان بانتهاء الحظر والمنع الذي فرض على ممارسة مشتهيات النفس بالحلال أو حتى بالحرام والعياذ بالله، فتراهم يتسامحون في أمر الدين ويتساهلون في تعاليمه، فيحصل الاختلاط بين الجنسين أثناء زيارات الأقرباء، وتضع النساء الزينة أمام غير المحارم، وربما جرت عادة بعض الناس على مصافحة النساء والرجال، أو التساهل بأمر الحجاب باعتبار أن الأيام أيام فرح وسرور، ويقصد بعضهم أماكن اللهو واللعب وحفلات الفسق والفجور ويشاهدون البرامج الفاسدة، وكأنَّ معنى العيد هو العودة إلى الحياة السابقة قبل شهر رمضان بكلّ ما تتضمنه من ابتعاد عن الله سبحانه، ويتخلى عن كلّ التقدم والتقرب إلى الله سبحانه الذي حققه في شهر رمضان، ويغفل عن الحديث النبوي الشريف: «من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان أمسه خيراً من يومه فهو ملعون»، فهل حاسبنا أنفسنا لنرى من أي هذه الأصناف نحن؟ من هنا وجب علينا أن نبيّن بعض النقاط التي ينبغي الالتفات إليها في مثل هذه المناسبة الشريفة:

**الأولى**: إن العيد يمثّل الوصول إلى الهدف الحقيقي، وهو نيل رضا الله سبحانه، باعتبار أن المؤمن يمرّ بتربية ومعاناة طويلة خلال الشهر من خلال ما يؤديه من طاعات، ويزداد تركيز هذه التربية في العشر الأواخر التي كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيها يطوي فراشه ويشدُّ مئزره للعبادة، وتتضمن ليلة القدر التي هي خيرٌ من ألف شهر، فيأتي العيد تتويجاً لهذه المرحلة المضنية، حيث يمثّل بلوغ الهدف والنهاية لهذه المرحلة من التربية والتكامل ويكون مستعداً لقبول المرحلة التالية من التكامل، باعتبار أن مراحل التكامل والتقرب إلى الله تبارك وتعالى لا نهائية، قال تعالى: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلا ﴾[1]، فإذا كان هذا معنى العيد، فكيف يرجع الإنسان القهقرى وينزل إلى المراحل التي تجاوزها بعد جهدٍ وجهادٍ طويلين.

**الثانية**: إن من حقّ الإنسان أن يفرح بالعيد لكن فرحه مع الأسف لأسباب دنيوية، فهو يفرح لإباحة الطعام والشراب والنكاح ولإزالة الموانع التي كانت مفروضة عليه في شهر رمضان، وكان المفروض عليه أن يحزن لفوات تلك البركات والنِّعم التي كان شهر رمضان سبباً لنزولها على العباد والتي ذكرنا بعضها في الخطبة السابقة، لذا قال الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعائه: «فنحن مودعون وداع من عزّ فراقه علينا وغمنا وأوحشنا انصرافه عنا»، وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «السَّلاَمُ عَلَيْكَ مِنْ قَرِينٍ جَلَّ قَدْرُهُ مَوْجُوداً، وَأَفْجَعَ فَقْدُهُ مَفْقُوداً، وَمَرْجُوٍّ آلَمَ فِرَاقُهُ».

والفرح الدنيوي - أعني ما كان لأسباب دنيوية كربح تجارة أو رزق مولود أو زيادة أموال أو تحصيل جاه أو منصب اجتماعي - مذموم عند الله تبارك وتعالى، لأنه لا يصبُّ في الهدف الحقيقي، قال تعالى في قصة قارون: ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾[2]، وكان فرحه لأن الله آتاه ثروة طائلة وصفها تبارك وتعالى:

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢١.
(٢) سورة القصص، الآية: ٧٦.

﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾[٢]، وقد يؤدي هذا الفرح إلى البطر والاختيال والطغيان فيكون وبالاً، كما حصل لقارون إذ كانت نتيجته: ﴿ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ * وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[٣].

وكذا الحزن بفوات أمور دنيوية مذموم، قال تعالى:﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ * لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ ﴾[٤].

والصحيح أن يكون الفرح للأسباب الأخروية، فتفرح إذا وفقك الله تعالى لصلاة الليل، أو زيارة قبر الحسين عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، أو قضاء حاجة أخيك المؤمن، وتفرح إذا انتصرت على نفسك[٥]، مثلاً حصل سوء تفاهم بينك وبين أخيك المؤمن، فإن نفسك تستكبر وتنتظر من ذلك الطرف أن يأتي ويعتذر، فتنتصر عليها وتذهب أنت إلى أخيك وتعتذر إليه، أو تمر بك امرأة جميلة قد ظهرت بعض مفاتنها فتدعوك نفسك إلى النظر إليها، فتعصيها وتنتصر عليها بترك النظر إليها المرأة، عندئذ ستشعر بلذةٍ وسعادةٍ في قلبك تكون منشأً لفرح حقيقي ومحمود عند الله تبارك وتعالى.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧٦.
(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٣.
(٣) سورة القصص، الآيتان: ٨١-٨٢.
(٤) سورة الحديد، الآيتان: ٢٢-٢٣.
(٥) عن أمير المؤمنين عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: «أشجع الناس من غلب هواه».

وأنتم بحضوركم إلى هذا المسجد المبارك وإقامتكم لهذه الشعيرة المقدسة في حين راح غيركم يمرح ويلعب ويلهو إنما تعيشون فرحاً حقيقياً، لأنكم في طاعة الله سبحانه وفي رحاب بيته.

وكذا الحزن لا بدَّ أن يكون لفوات شيء كان يمكن أن يُستغل لتحقيق المزيد من القرب إلى الله تعالى، كانتهاء شهر رمضان الفرصة العظيمة لنيل رضا الله سبحانه.

**الثالثة**: إن يوم العيد يعتبر زمان إعلان النتائج لامتحان شهر رمضان ـ فإذا امتثل الإنسان لأوامر الله سبحانه وأدّى التكاليف بالصورة التي تُرضي الله سبحانه فهو من الناجين الفائزين، وإن لم يفعل ذلك فهو والعياذ بالله من الأشقياء الذين وصفهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في خطبته فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «فإن الشقي من حُرِم غفران الله في هذا الشهر العظيم».

فمن حق الفائزين أن يفرحوا بنجاحهم في هذا الامتحان الكبير، ولكن هؤلاء الفرحين الذين يلهون ويلعبون ويضحكون في العيد هل اطلعوا على النتائج فوجدوا أنفسهم من الناجين؟ أم أخبرهم ثقة عن الله تبارك وتعالى أنهم في قائمة الفائزين؟ كلّ هذا لم يحصل، فكيف جاز لهم الفرح وهم لا يعلمون بالنتائج؟ فالإنسان الواعي يكون في حذرٍ وتوجسٍ عند انتهاء شهر رمضان، لأنه لا يدري هل كتب اسمه في ديوان المحسنين فيفوز أو في ديوان المسيئين والعياذ بالله فيهوي ويسقط؟

**الرابعة**: إن الله تعالى قد جعل أزمنة شريفة وأمكنة مباركة ليزيد في إحسان المحسنين، فمن الأزمنة ليلة الجمعة ويومها، وليلة النصف من شعبان، وليلة القدر، والعيدين ونحوها، ومن الأمكنة المباركة المساجد عموماً، والأربعة منها خصوصاً، ومراقد المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بل سائر الأولياء والصالحين، كلّ ذلك لكي يضاعف لهم الحسنات أضعافاً كثيرة، فالمفروض أن يستغل الإنسان هذه الفرصة ويزداد من الطاعات، وإذا أضاعها ولم يستغلها فضلاً عما لو

شغلها باكتساب المعاصي والآثام والعياذ بالله فسيكون وبالاً عليه، لذلك تجد الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ حشدوا لمثل هذه المواسم الشريفة أعمالاً ومستحبات من دعاءٍ وزيارةٍ وصلاةٍ وذكرٍ وغيرها، فلا ينبغي هدر هذه الفرصة الثمينة.

إن الله سبحانه قد حدّد شرط قبول الأعمال وهو التقوى، فقال تعالى:﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[١]، فهل هذه الممارسات التي تصدر من هؤلاء الناس هي من صفات المتقين؟ كلا بالتأكيد، فهم إذاً ليسوا ممن تقبل أعمالهم، وهم بحاجة إلى البكاء والندم والاستغفار بدلاً من الفرح والسرور، قال تعالى:﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا * ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[٢]، ويقول تعالى في جزائهم وعاقبتهم: ﴿ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾[٣]. وفي دعاء الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ في يوم عرفة: «إِلهِي كَمْ مِنْ طاعَةٍ بنَيْتُها وَحالَةٍ شَيَّدْتُها هَدَمَ اعْتِمادِي عَلَيْها عَدْلُكَ بَلْ أَقالَنِي مِنْها فَضْلُكَ». وهكذا نحن فإن كثيراً من الطاعات التي نتصور حسن الجزاء عليها حينما توزن بميزان العدل الإلهي تجدها بلا قيمة، بل الأمر أدهى من ذلك، فإنها تكون عبارة عن تقصير واستخفاف بمقام الربوبية، فبدلاً من الاعتماد عليها، صرنا نطلب من الله تبارك وتعالى أن يتفضل علينا بعدم المؤاخذة عليها.

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٧.
(٢) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣-١٠٤.
(٣) سورة الكهف، الآية: ١٠٥.

# العود إلى الله في العيد[١]

## كيف نخاطب الله تعالى؟

افتتح سماحة الشيخ الخطبة بالحمد والثناء على الله تبارك وتعالى والصلاة على نبيه وآله الطاهرين، وابتدأ الخطبة بقراءة نصّ من مناجاة الشاكرين للإمام السجاد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقال تعليقاً على ذلك: إنه لولا أن الله تعالى والمعصومين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ علّمونا كيف نخاطب الله تبارك وتعالى لما أمكننا ذلك، فإنك ترى في مقاييس أهل الدنيا أن صاحب الموقع الفلاني لا يمكن مخاطبته إلّا وفق السلّم الفلاني، فكيف بربّ العزة والجلال؟!

وقد ركّز في الدعاء على قول الإمام عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «فَكَيْفَ لِي بِتَحْصِيلِ الشُّكْرِ، وَشُكْرِي إِيَّاكَ يَفْتَقِرُ إِلى شُكْرٍ؟ فَكُلَّما قُلْتُ: لَكَ الحَمْدُ، وَجَبَ عَلَيَّ لِذلِكَ أَنْ أَقُولَ: لَكَ الحَمْدُ»، ففي هذا تربية عظيمة وبيان لجانب من حقيقة العبودية، لكيلا يسقط الإنسان في مستنقع (الأنا)، فيعجب بنفسه وبعمله ويطغى ويستكبر، فإذا استوعب هذا الدرس علم أنه لا شيء.

وتوخياً للفائدة العامة وللتركيز على المعنى الذي أراد الشيخ اليعقوبي إيصاله إلى أذهاننا أذكر النص الكامل للمناجاة.

(١) خطبة أُلقيت في صلاة الظهرين يوم عيد الأضحى المبارك ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠٢/٢/٢٣م في جامع حي الغدير في النجف الأشرف.

«إِلهِي أَذْهَلَنِي عَنْ إقامَةِ شُكْرِكَ تَتابُعُ طَوْلِكَ، وَأَعْجَزَنِي عَنْ إحْصاءِ ثَنائِكَ فَيْضُ فَضْلِكَ، وَشَغَلَنِي عَنْ ذِكْرِ مَحامِدِكَ تَرادُفُ عَوائِدِكَ، وَأَعْيانِي عَنْ نَشْرِ عَوارِفِكَ تَوالِي أيادِيكَ، وَهذا مَقامُ مَنْ اعْتَرَفَ بِسُبُوغِ النَّعْماءِ وَقابَلَها بالتَّقْصِيرِ، وَشَهِدَ عَلى نَفْسِهِ بِالآمالِ وَالتَّضْيِيعِ، وَأَنْتَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمِ البَرُّ الكَرِيمُ الَّذِي لا يُخَيِّبُ قاصِدِيهِ وَلا يَطْرُدُ عَنْ فِنائِهِ آمِلِيهِ، بِساحَتِكَ تَحُطُّ رِحالُ الرَّاجِينَ، وَبِعَرْصَتِكَ تَقِفُ آمالُ المُسْتَرْفِدِينَ، فَلا تُقابِلْ آمالَنا بِالتَّخْيِيبِ وَالإياسِ، ولا تُلْبِسْنا سِرْبالَ القُنُوطِ وَالإبْلاسِ، إِلهِي تَصاغَرَ عِنْدَ تَعاظُمِ آلائِكَ شُكْرِي، وَتَضاءَلَ فِي جَنْبِ إكْرامِكَ إيَّايَ ثَنائِي وَنَشْرِي، جَلَّلَتْنِي نِعَمُكَ مِنْ أَنْوارِ الإيمانِ حُلَلاً، وَضَرَبَتْ عَلَيَّ لَطائِفُ بِرِّكَ مِنَ العِزِّ كِلَلاً، وَقَلَّدَتْنِي مِنَنُكَ قَلائِدَ لا تُحَلُّ، وَطَوَّقَتْنِي أَطْواقاً لا تُفَلُّ، فآلاؤكَ جَمَّةٌ ضَعُفَ لِسانِي عَنْ إحْصائِها، وَنَعْماؤكَ كَثِيرةٌ قَصُرَ فَهْمِي عَنْ إدْراكِها، فَضْلاً عَنْ اسْتِقْصائِها، فَكَيْفَ لِي بِتَحْصِيلِ الشُّكْرِ وَشُكْرِي إيَّاكَ يَفْتَقِرُ إلى شُكْرٍ؟ فَكُلَّما قُلْتُ: لَكَ الحَمْدُ، وَجَبَ عَلَيَّ لِذلِكَ أَنْ أَقُولَ: لَكَ الحَمْدُ.

إِلهِي فَكَما غَذَّيْتَنا بِلُطْفِكَ وَرَبَّيْتَنا بِصُنْعِكَ، فَتَمِّمْ عَلَيْنا سَوابِغَ النِّعَمِ، وَادْفَعْ عَنَّا مَكارِهَ النِّقَمِ، وَآتِنا مِنْ حُظُوظِ الدَّارَيْنِ أَرْفَعَها وَأَجَلَّها عاجِلاً وَآجِلاً، وَلَكَ الحَمْدُ عَلى حُسْنِ بَلائِكَ وَسُبُوغِ نَعمائِكَ، حَمْداً يُوافِقُ رِضاكَ وَيَمْتَرِي العَظِيمَ مِنْ بِرِّكَ وَنَداكَ، يا عَظِيمُ يا كَرِيمُ، بِرَحْمَتِكَ يا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ».

## أصل كلمة العيد

أصل كلمة العيد من العود، وقلبت الواو ياءً، فالعيد يحمل معنى العود والرجوع إلى الله تبارك وتعالى، فيوم العيد يكون من أيام الله تعالى التي قال فيها عزّ من

قائل: ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ﴾[١]، لذا حشد الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لمثل هذه الأيام عدداً من الأعمال الصالحة، كالصلاة والدعاء والذكر، ليُعبّئوا الإنسان ـ خصوصاً في أيام الأعياد وبقية الأزمنة الشريفة ـ لله وحده، وأنت تقرأ في ضمن أدعية الأعياد: «اللّهُمَّ مَنْ تَعَبَّأَ وَتَهَيّأَ وَأَعَدَّ وَاسْتَعَدَّ لِوِفَادَةٍ إلى مَخْلُوقٍ رَجَاءَ رِفْدِهِ وَطَلَبَ نائِلِهِ وَجائِزَتِهِ، فَإِلَيْكَ يا رَبِّ تَعْبِيَتِي وَاسْتِعْدادِي رَجاءَ عَفْوِكَ وَطَلَبَ نائِلِكَ وَجائِزَتِكَ»، من هنا كان للعيد معنى غير ما يفهمه عامة المجتمع ويسيئون به إلى أنفسهم وإلى دينهم ويسخطون به خالقهم، فالعيد الحقيقي كما عرّفه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ هو: «كل يوم لا تعصي الله فيه فهو عيد»، وعن سويد بن غفلة قال: دخلت على أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم عيد، فرأيت عنده طعاماً بسيطاً، فاستغرب سويد خصوصاً وأن اليوم عيد، فقال له الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنما هذا عيدُ مَنْ غُفِرَ لهُ»[٢].

هذا هو الفهم الصحيح للعيد، لكن أولياء الشيطان وأتباع الشهوات وعبدة الهوى الذين لا يتركون فرصة إلّا وسخّروها لإشباع غرائزهم النهمة أخرجوا العيد من معناه الحقيقي، فجعلوه فرصة لممارسة المعاصي وارتكاب الفواحش، ولا أريد أن أذكر أعمالهم في هذا المكان المقدس، لكن المؤسف أنه حتى الأُسر الملتزمة المتدينة (تتحرّر) وتتخلى من بعض التزاماتها، فتظهر النساء متبرجات وقد أبدين زينتهن، وربما تبادلن المصافحة أو ما هو أسوأ مع الأقرباء والأصدقاء باعتبار أن اليوم يوم فرح وسرور.

## الفرح في القرآن الكريم

ولا أريد أن أُطيل بهذا الكلام المقرح للقلوب الغيورة على الدين والأخلاق والشرف، فنحن لا نريد أن نفرغ حياتنا من الفرح والسرور، لكن ينبغي أن

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٥.
(٢) سفينة البحار، مادة عود.

نلتفت إلى أننا حينما نقرأ القرآن نجد ذمّاً ومدحاً للفرح، فهل هذا تناقض في كلمات القرآن؟ كلا طبعاً، لأنه صادر من الله العليم الحكيم ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[١]، فالفرح المذموم هو ما كان لمحض الأمور الدنيوية المجردة عن الأغراض الأخروية، وفي مثلها قال الله تعالى بصدد بيان فرح قارون بما أُوتي من ثروة طائلة وأموال عظيمة: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ * وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[٢]، ولكن ماذا كانت عاقبته: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾... ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[٣].

فهذا نموذج للفرح المذموم، لأنه ليس فيه نصيب لله تعالى، وفي مقابل ذلك قال الله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[٤].

## كيف نحوّل الإيمان من النظرية الى التطبيق؟

الذي أريد أن أعرضه هنا هو كيف نحوّل إيماننا بالله تعالى من مستوى النظرية إلى مستوى التطبيق، يعني إذا كنّا كلّنا نعلم أنّ هذا التصرف خطأ فلماذا نفعله؟ وإذا كنا نعلم أن هذا التصرف صحيح فلماذا لا نفعله؟ كيف نولّد في

(١) سورة النساء، الآية: ٨٢.
(٢) سورة القصص، الآيتان: ٧٦-٧٧.
(٣) سورة القصص، الآيتان: ٨١-٨٢.
(٤) سورة يونس، الآية: ٥٨.

أنفسنا الدواعي والدوافع نحو التطبيق بحيث نتعامل مع الله تبارك وتعالى كأننا نراه فإن لم نكن نراه فإنه يرانا؟ وهذا مما لا يشك فيه مؤمن.

فهذه المرأة التي لا تلتزم بالحجاب، وهذا الشاب الذي لا يصلّي، وهذا الشخص الذي يلعب (الطاولة والدومينو) والمؤذن ينادي حيّ على الصلاة، وهؤلاء الذين يغشون في السوق ويأكلون المال بالباطل متذرعين بالحيل الشرعية، وهذا الذي يخون الأمانة، وهذه العشائر التي تحكم بغير ما أنزل الله وتتقاتل فتسفك الدماء وتُيتم الأطفال من أجل الأمور التافهة، وهؤلاء الشباب والشابات الذين يكوّنون علاقات غير مشروعة تحت عناوين مختلفة كالزمالة ونحوها، كلّ هؤلاء وغيرهم ألا يعلمون أنّ هذه أفعال محرمة لا يرضاها الله تبارك وتعالى؟ لابدّ أنهم يعلمون! فما الذي يُجرّئهم على الله؟! ألا يعلم هؤلاء أن أمامنا عقبةً كؤوداً هي الموت، وما بعد الموت أعظم وأدهى؟ أليس هؤلاء مسلمين ويؤمنون بالله ـ ولو نظرياً على الأقل ـ ويؤمنون بالآخرة والمعاد والحساب، فلماذا لا ينعكس هذا الإيمان على تصرفاتهم؟ أين الخلل؟

وهنا تذكرت كلمة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ما رأيت يقيناً أشبه بشكٍّ مثل الموت»، فإنه يقين مئة بالمئة على مستوى النظرية، لكنك لا تجد من يؤمن به عملياً، بمعنى أنه يستعد له الاستعداد الكامل، وكأنه كُتبَ على غيره، فترى الإنسان إذا عزم على سفرٍ قد لا يطول شهراً يُعدُّ كلّ ما يحتاجه أو يُحتمل أنه يحتاج إليه، ويهيّئ جميع أموره حتى الحقير منها، فلماذا لا يستعد بالاستعداد بنفسه لسفر الآخرة ويحضر زاده لهذا السفر الذي بيّنه القرآن الكريم: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[1]، وقال الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وحصّل زادك قبل حلول أجلك».

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

## لنرجع الى الله تعالى أيام العيد

فكيف نرجع إلى الله تعالى ونعود إليه خصوصاً بمناسبة العيد الذي قلنا إن معناه العود إلى الله تبارك وتعالى؟ وكيف نحبّب الإيمان إلى نفوسنا وقلوبنا استجابة للعتاب الرقيق الرحيم الذي يوجهه الله تبارك وتعالى إلينا نحن المؤمنين: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[١]، ثم يضرب لنا مثالاً لهذه القلوب التي تقسو بسبب الخوض في أمور الدنيا، لكنها ترقّ وتحيى بعد أن يزهر فيها الإيمان وتعمر بذكر الله تعالى، فيقول في الآية التالية: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٢]، بل قد وصف في آية أخرى إعمار القلب بالإيمان وذكر الله بالحياة، فقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ ﴾[٣].

## محفزات للتطبيق

ونحن هنا نُثير بعض المحفزات النفسية والعقلية والقلبية التي تحثنا نحو التطبيق:

١- إن من شأن كلّ عاقل أن يرد الجميل بالجميل ويجازي الإحسان بالإحسان: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾[٤] ﴿ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ

(١) سورة الحديد، الآية: ١٦.
(٢) سورة الحديد، الآية: ١٧.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.
(٤) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

إِلَيْكَ﴾[١]، ونِعَمُ الله تعالى علينا كثيرة سواء على صعيد أبداننا التي هي عبارة عن معامل ومصانع كثيرة تعمل بدقةٍ وإتقانٍ، وأبسط مراجعة لكتاب (الطب محراب الإيمان)[٢] تنبئك عن هذا مما يوقف شعر رأسك، أو على صعيد الحياة حولنا من كون متناسق وأرض طيبة معطاء ونِعَمَ لا تُعد وتُحصى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[٣]، وجزاء الإحسان إحسان مثله، ولما كان الله غنياً عن عباده ولا يمكن أن يصل إليه نفع من أحد، فرَد الإحسان بالنسبة إليه طاعته، ومن أشكال شكر النعم أن تطيع المنعم بها، أمّا عصيانه مع نعمه الوفيرة فهذا مما لا يرضاه عاقل.

٢- إنّ كلّ واحد منا يجب أن تزيد النّعم عليه، وهي بيد الله سبحانه المنعم الحقيقي، وقد وعدنا سبحانه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[٤]، وفي الحديث: «بالشكر تدوم النعم»، فعلى من يريد زيادة النعم كالمال والبنين والجاه والصحة وغيرها فعليه أن يطيع الله ويشكره ليزيده الله من نِعَمِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٥].

٣- إنه إذا أخبرنا إنسان ثقة بأن حيواناً مفترساً في هذه الجهة، فإننا سنهرب بالاتجاه المعاكس، ونحذر منه ونتخذ الإجراءات الواقية من الوقوع في الخطر، فإذا أكّد هذا الخبر ثقة آخر ازداد استعدادنا لذلك وكنّا أكثر حزماً، وقد أخبرنا مئة وأربعة وعشرون ألف نبي ومثلهم من الأوصياء والعلماء أنه سيكون هناك يوم قيامة يُثاب فيه المطيع على طاعته ويعاقب العاصي على عصيانه بنارٍ وقودها

(١) سورة القصص، الآية: ٧٧.
(٢) تأليف: الدكتور السوري خالص جلبي، وهي رسالة دكتوراه في كلية الطب.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٧.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

الناس والحجارة، أفلا يوجب هذا البيان المؤكد الحذر والابتعاد عن كلّ ما يورطنا في هذه النار المتأجّجة، وقد وصفها القرآن الكريم بمشاهد مرعبة، وأخبرنا أنّ معصية الله سبحانه توقعنا فيها، وأنّ طاعته تورثنا جنة عرضها السماوات والأرض فيها ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[١]؟.

٤- أن نسأل أنفسنا سؤالاً: ماذا يخسر الإنسان لو أطاع الله سبحانه واستقام على الشريعة؟!. لا يخسر شيئاً، بل هو يعيش ويتمتع بالحياة كما يفعل البعيد عن الله سبحانه، وفوق ذلك له المكاسب الدنيوية والأخروية التي يحقّقها له الإيمان بالله سبحانه والسير على شريعته، قال الله تعالى: ﴿ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾[٢]، وقد اتبع هذا الأسلوب الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين قال لأحدهم: «يا هذا إن كان ما تقول أنت ـ بأنه لا جنة ولا نار ولا حساب حق ـ فنحن وأنتم سواء، فإننا نأكل كما تأكلون وننكح كما تنكحون، وإن كان الأمر كما نقول هلكتم ونجونا»[٣] وهو أسلوب لا يستطيع أن يرفضه أي عاقل.

٥- أن نلتفت إلى أن الله تعالى مطلّع علينا ولا تخفى عليه خافية في السماوات والأرض، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، وقد جعل على كلّ واحد منّا ملائكة يحصون الأعمال في كتابٍ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، وجعل الشهود على ذلك من أعضائنا التي نمارس بها حياتنا: ﴿ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ

(١) سورة السجدة، الآية: ١٧.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٤.
(٣) الكافي: ٧٨/١.

أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[١]، فإذا التفتنا إلى هذه الحقائق فسنكون دقيقين في تصرفاتنا، وسنحسب ألف حساب قبل أن نورط أنفسنا في المعصية.

٦- إن الإنسان الذي يمتنع عن إعطاء شيء من نفسه أو ماله لطاعة الله تعالى فإنه سيدفع أكثر منها في معصية الله وهو راغم، وستكون عليه حسرة يوم القيامة، فلا يدفع الحقوق الشرعية في أمواله لكنه يدفع أموالاً كثيرة في أمور تافهة تجرّ عليه حسرة يوم القيامة، أو يقصّر في العبادة أو يتكاسل عن قضاء حوائج المؤمنين فيبتليه الله بمشاغل كان يمكن أن يدفعها الله عنه لو لم يقصر في طاعة الله فيفوز بالآخرة ويكفيه الله مؤونة الدنيا وتعبها.

٧- إن من يطيع الله سبحانه ويتجنّب معصيته يعيش لذة الانتصار على أعدى أعدائه، وهي النفس الأمارة بالسوء كما وصفها الحديث الشريف، وكلّما كان تمرد النفس على الترك قوياً كان الفعل أكثر لذة، مثلاً: تعرض أمامك امرأة متبرجة قد أظهرت مفاتنها أو طالبة جامعية أو زميلة في دائرة تبرعت بإنشاء علاقة عاطفية معك فتنتصر أنت على نفسك الطموحة إلى ذلك، فتعيش لذة الانتصار، وهو ما أشار إليه الحديث الشريف: «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن تركها لله تعالى أبدله الله نوراً وإيماناً يجد حلاوته في قلبه»، أو يغيظك شخص ويسيء إليك وأنت قادر على ردّ إساءته، فتتركها لله تعالى وتنتصر على نفسك التي ترغب بالتشفي والانتقام، وهذا معنى الحديث: «ما جرعة أحبُّ إليّ من جرعة غيظ لا أكافي بها صاحبها»[٢].

(١) سورة فصلت، الآيات: ٢٠-٢٣.
(٢) الكافي: ٢/١٠٩.

وتوجد نقاط كثيرة لا أعتقد أن الوقت يتسع لها.

أسأل الله تعالى أن يوفقنا لطاعته، فتكون أيامنا كلّها أعياداً، والعيد الأكبر حين نلقاه تبارك وتعالى وهو راضٍ عنّا ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[1].

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

# دعاء الندبة والعيد[١]

## لماذا نقرأ دعاء الندبة في العيد؟

من الأعمال المستحبة يوم العيد قراءة دعاء الندبة وهو دعاء جليل شريف يتضمن معانٍ عالية ودروساً قيّمة ينبغي للمؤمن الواعي الرسالي أن يستفيد منها، ويمكن فهم وجود الدعاء ضمن الأعمال التي ورد استحبابها لهذا اليوم الشريف الأول من شوّال المكرم على أنه جزء من برنامج أعدّه الأئمة المعصومون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لشيعتهم لكي يعيشوا الأجواء الواقعية لهذا اليوم، ولا ينخرطوا في الحالة التي تدعو لها النفس الأمّارة بالسوء من اللهو والعبث وممارسة الأفعال التي لا تخلو من المعاصي في أيام العيد، التي ينظر إليها أغلب الناس على أنها مناسبة اجتماعية وفرصة للاستجابة لمشتهيات النفس وتعويضها عما حرمت منه في شهر رمضان ـ كما تظن ـ.

بينما هذا اليوم في الحقيقة مناسبة دينية شريفة لأنه كأيّ يوم توزَّع نتائج الامتحانات والمسابقات فيه ـ يكون يوم ترقب وتوجّس وانتظار، ينظر المؤمن فيه تارة إلى رحمة الله تعالى وكرمه وعظيم مِننه فيتفاءل وينتعش الأمل في أن يحظى بالدرجات الرفيعة في جنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار ورضوانٌ من الله أكبر

(١) خطبة صلاة عيد الفطر المبارك التي ألقاها سماحة الشيخ (دام ظله) في جموع المصلين الذين حضروها صباح يوم الجمعة الأول من شوال ١٤٢٦ المصادف ٢٠٠٥/١١/٤.

ذلك هو الفوز العظيم، ويلتفت تارة أخرى إلى عيوب نفسه وقصوره وتقصيره وظلمه في هذا الشهر المبارك وغيره فيتضاءل عنده الأمل بالنجاة.

وفي ظلّ هذه الموازنة يمضي الإنسان في حياته مندفعاً في الاتجاه الإيجابي الذي تقتضيه، ولا يوجد فيها مكان للعبث واللهو والانحدار في أفعال غير مرضية، لذا حفلت هذه الأيام بالأدعية والصلوات والأذكار التي تنسجم مع واقع هذا اليوم الشريف ومنها دعاء الندبة.

## العيد الحقيقي

كما أن هذه الأعمال تؤدي وظيفة أخرى وهي تذكير الأمة بأن العيد الحقيقي لا يتحقق بثوب جديد أو موقع كبير أو مال جزيل، وإنما العيد الحقيقي أن تحيى في ظلّ طاعة الله تعالى وإدامة ذكره وعدم الغفلة عنه والارتباط المتواصل به، بحيث لا تندفع إلّا إلى ما أمر به وحثّ عليه، ولا تنزجر إلّا عمّا نهى عنه، لذا ورد في الحديث الشريف: «كلّ يوم لا يُعصى الله فيه فهو عيد»، فلا عيد لهؤلاء الذين يمضون ساعاته في الفسق والفجور والمجون كذلك الذي يقول:

**رمضان ولّى هاتها يا ساقي  مشتاقة تسعى إلى مشتاقِ**

فإن أمثال هؤلاء تعساء وأشقياء لكنهم غافلون عن صورتهم الحقيقية، وعميت أبصارهم عن الالتفات إلى واقعهم المؤلم حتى إذا ماتوا فوجئوا بما صنعوا وبما قدّموا لأنفسهم: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ * وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ * لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[1]. وفي الحديث الشريف: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا».

(١) سورة ق، الآيات: ١٩-٢٢.

## لا تنسيكم الأفراح ذكر مصائب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

وإضافة إلى هذه المعاني العامة فإن لدعاء الندبة خصوصيات ترتبط بيوم العيد الشريف:

**منها**: أن أفراحكم لا تنسيكم مصائب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وشيعتهم ومواليهم وكلّ العاملين الرساليين التي لا زالت تقع عليهم من كلّ حدب وصوب، يقول الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ في يوم عيد بعد استشهاد أبيه الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ وأصحابه البررة وهو كئيب حزين:

**يفرح هذا الورى بعيدهم ونحن أعيادنا مآتمنا**

وقد أخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أهل بيته والسائرين على دربه بذلك فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أنتم المستضعفون بعدي» فيذكرُنا الدعاء بعدد من تلك المصائب والنكبات: «فعلى الأطايب من أهل بيت محمد وعلي صلى الله عليهما وآلهما فليبك الباكون، وإياهم فلينذب النادبون ولمثلهم فلتذرف الدموع وليصرخ الصارخون ويضجّ الضاجّون ويعجَّ العاجّون، أين الحسن أين الحسين؟ أين أبناء الحسين؟ صالحٌ بعد صالح وصادقٌ بعد صادق».

وحينما يحثّ الشارع على استثارة الحزن فليس ذلك لأنه يريد أن نعيش حياة التشاؤم والألم والانزواء، بل لأن الحزن والعاطفة عموماً خير محفّز للعمل ويزيل قسوة القلب التي يُستعاذ بها في الدعاء: «من جمود العين وقسوة القلب» والواقع شاهد على ذلك، والمعنى مأخوذ من قصار كلمات أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في نهج البلاغة.

## العيد والالتفات الى القيادة الحقيقية

**ومنها**: أن يوم العيد وإن كان له دور كبير في توحيد الأمة وزيادة أواصر

المحبة وصفاء القلوب بما يتضمن من زيارات وتبادل التهاني والتبريكات، وهي أعمال رغّب فيها الشارع المقدس وأشارت الأحاديث والأدعية الشريفة إليها، ففي دعاء الإمام السجّاد عَلَيْهِ السَّلَامُ في وداع شهر رمضان: «اللّٰهُمَّ إنا نتوب إليك في يوم فطرنا الذي جعلته للمؤمنين عيداً وسروراً، ولأهل ملّتك مجمعاً ومحتشداً».

إلّا أن دعاء الندبة يوجهنا إلى ركن آخر مهم ترتكز عليه وحدة الأمة، وهو التفاتها والتفافها حول قيادتها الحقيقية المتمثّلة برسول الله صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والأئمة الطاهرين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ التي انتهت إلى بقية الله الأعظم (أرواحنا له الفداء)، وفي أثناء غيبته تتمثّل بالفقهاء العدول المخلصين الواعين القادرين على سياسة الأمة ورعاية شؤونها والدفاع عن حقوقها، فإذا تفرقت الأمة عن مثل هذه القيادة ضاعت وتشتتت ولا تنفع المجاملات في يوم العيد ولا في غيره لجمعها وتوحيدها قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾[1]. وحبل الله هو القرآن والناطقون الحقيقيون به هم من ذكرنا.

وقد نبّهت الصِّدِّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ إلى هذا المعنى في خطبتها في مسجد أبيها صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «وجعل إمامتنا نظاماً للملة»، ودعاء الندبة حافل بالإشارات إلى الأئمة الحقيقيين للأمة وبتسلسل دقيق إلى أن قال: «فلما انقضت أيامه صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أقام وليّه علي بن أبي طالب صلواتك عليهما وآلهما هادياً إذ كان هو المنذر ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[2] فقال والملأ أمامه: من كنت

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٧.

مولاه فعليٌّ مولاه، اللّٰهُمَّ والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، وقال صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من كنت أنا نبيّه فعليٌّ أميره».

ثم يشير إلى حال الأمة في التفرق عنهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: «ولما قضى نحبه وقتله أشقى الآخِرين يتبع أشقى الأولين لم يُمتَثَل أمر رسول الله صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الهادين بعد الهادين والأمةُ مجتمعةٌ على قطيعة رحمه وإقصاء وُلْدِه إلّا القليلَ ممن وفى لرعاية الحق فيهم».

## العيد والرغبة في الآخرة

**ومنها**: أن نفس الإنسان تطمح إلى الدنيا والتوسع فيها خصوصاً في مثل أيام العيد، فيريد الدعاء أن يكبح جماح هذه الرغبة ويزهّده في الدنيا باستعراض تقلبها بأهلها وجورها على أولياء الله تعالى ولو كان لها قيمة عند الله تعالى لاختصّ الله بها أولياءه كما في الحديث: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء».

ويلفت الدعاء نظرنا إلى فكرة مهمة وهي أن من رغب في نيل الدرجات الرفيعة عند الله تعالى فإن شرط الله تعالى هو الزهد في هذه الدنيا وعدم الالتفات إليها والأخذ منها إلّا بمقدار الحاجة وأول من استجاب لهذا الشرط ووفى به رسول الله صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والأئمة من أهل بيته والأنبياء والرسل الكرام عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، يقول الدعاء: «اللّٰهُمَّ لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك الذين استخلصتهم لنفسك ودينك إذ اخترت لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم الذي لا زوال له ولا اضمحلال بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنيّة وزخرفها وزبرجها فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء به فقبلتهم وقرّبتهم وقدّمت لهم الذكر العليَّ والثناء الجليّ وأهبطتَ عليهم

ملائكتك وكرّمتهم بوحيك ورفدتهم بعلمك وجعلتهم الذريعة إليك والوسيلة إلى رضوانك».

ووجه الاشتراط واضح لأن القلب المملوء بالتعلق بالدنيا لا يصلح بيتاً للرحمن ففي الحديث القدسي: «لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن»، ثم قال تعالى: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ ﴾[١] لذا أدّبَ اللهُ تبارك وتعالى نبيَّه ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾[٢].

### ذكر صاحب الأمر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

والدعاء إضافة إلى ذلك كلّه مليء بالتلهف والشوق لِلِقاء إمام العصر والتأسّف على الحرمان من النظر إلى طلعته المباركة، فيقول الدعاء: «هل إليك يا بن أحمد سبيلٌ فتُلقى هل يتصل يومنا منك بغده فنحظى؟ متى نرِدُ مناهلك الرويّة فنروى؟ متى ننتقع من عذب مائك فقد طال الصدى؟ متى نغاديك ونراوحك فتقرُّ عيوننا؟ متى ترانا ونراك وقد نشرتَ لواء النصر؟ تُرى أترانا نحفُّ بك وأنت تؤمُّ الملأ وقد ملأت الأرض عدلاً وأذقتَ أعداءك هواناً وعقاباً وأبَرْتَ العتاةَ وجَحَدةَ الحق وقطعتَ دابر المتكبرين واجتثثتَ أصول الظالمين ونحن نقول الحمد لله رب العالمين؟..»، وصلى الله على رسوله والأئمة الميامين من آله وسلّم تسليماً كثيراً.

(١) سورة الحج، الآية: ٢٦.
(٢) سورة طه، الآية: ١٣١.

# مشاعر يوم العيد بين الخوف والرجاء[١]

الحمد لله والحمد حقه كما يستحقه حمداً كثيراً، وأعوذ به من شرِّ نفسي إن النفس لأمّارةٌ بالسوء إلّا ما رحمَ ربّي، وأعوذُ من شرِّ الشيطان الذي يزيدني ذنباً إلى ذنبي، وأحترزُ به من كلِّ جبارٍ فاجرٍ وسلطانٍ جائرٍ، وعدوٍّ قاهر.

اللّٰهُمَّ صلِّ على محمدٍ خاتمِ النبيين وتمام عدة المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه المنتجبين.

## مشاعر المؤمن في يوم العيد

يقوم أكثر المسلمين باحتفالات صاخبة في العيد لا تنمُّ عن تحقق النتائج المرجوّة من صيام شهر رمضان وكأنهم يريدون أن يطلقوا لأهوائهم وشهواتهم العنان بعد أن كانت محبوسة طيلة الشهر، وفي الحقيقة فإن أمثال هؤلاء كانوا حتى خلال الشهر منساقين وراء شهواتهم وكلّ الذي يتغيّر هو التوقيت فهم يصومون في النهار ثم يعوِّضون في الليل ما فاتهم من لذيذ الأطعمة وإحياء الليالي الرمضانية بسفاسف الأمور.

لكن الأئمة المعصومين (سلام الله عليهم) يعلموننا ما ينبغي أن تكون مشاعرنا في يوم العيد، فقد روى جابر عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ عن جدّه

(١) الخطبة الأولى بعد صلاة عيد الفطر السعيد التي أقامها سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظلّه) في داره وقد وافق ٢٠٠٧/١٠/١٣.

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إذا كان أول يوم من شوال نادى منادٍ: أيها المؤمنون اغدوا إلى جوائزكم، ثم قال: يا جابر جوائز الله ليست بجوائز هؤلاء الملوك، ثم قال: هو يوم الجوائز»(١).

وروى الشيخ الصدوق (رضوان الله عليه): «نظر الحسين بن علي عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إلى أُناس في يوم فطرٍ يلعبون ويضحكون، فقال لأصحابه والتفت إليهم: إن الله عز وجلّ جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى رضوانه، فسبق فيه قوم ففازوا وتخلّف آخرون فخابوا، فالعجب كلّ العجب من الضاحك اللاعب في اليوم الذي يثاب فيه المحسنون، ويخيب فيه المقصّرون، وايم الله لو كشف الغطاء لشُغِلَ محسنٌ بإحسانه ومسيءٌ بإساءته»(٢).

## هدف الإنسان هو التقوى

وإنما يكون الإنسان فائزاً ومحسناً ويستحق الجائزة إذا أتى بالعمل المطلوب كما أراده منه ربُّه وتحقق لديه الهدف من التشريع، وما هو هذا الهدف؟

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٣).

فالهدف هو تربية الإنسان لتحصيل ملكة التقوى وهي حالة تحصل في قلب الإنسان تحرّكه نحو كلّ ما يرضي الله تبارك وتعالى سواء كان واجباً أو مستحباً وتمنعه عن اقتحام كلّ ما يوجب سخط الله تبارك وتعالى أو تقلّل من مرتبة القرب إليه سبحانه سواء كان محرماً أو مكروهاً أو مباحاً، ويكون الإنسان هو الرقيب على نفسه في كلّ تلك الحركات والسكنات حتى في خلواته حينما لا يطّلع عليه أحد فإنه يُرَوِّضُ نفسه بالتقوى، قال تعالى في التمييز بين الفريقين: ﴿فَإِذَا

(١) و (٢) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، ج٥، أبواب صلاة العيد، الباب٣٧، ح١، ٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ * يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ * وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ * فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا * فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ * وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾[١].

فالمتقي هو من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى مطلق الهوى سواء كان محرّماً أو مكروهاً أو مباحاً لا يليق بمقام ربّه. ولذا كانت التقوى خير الزاد ليوم المعاد: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[٢] ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[٣] ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾[٤].

وتكرّر الحثّ على التقوى في آيات كثيرة في القرآن الكريم وربما تكرّرت في الآية الواحدة كالتي مرّت آنفاً، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[٥] ﴿ بَلَىٰۚ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[٦].

## من آثار التقوى

وإضافة إلى تلك الآثار الأخروية للتقوى فإن القرآن الكريم يلفت نظرنا إلى آثار مباركة عظيمة للتقوى في الدنيا والآخرة:

(١) سورة النازعات، الآيات: ٣٤-٤١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.
(٣) سورة الحشر، الآية: ٩.
(٤) سورة النور، الآية: ٥٢.
(٥) سورة الحشر، الآية: ١٨.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٧٦.

**(منها) تكفير السيئات؛** قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾[١] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾[٢].

**(ومنها) البركات المادية والمعنوية؛** قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[٣].

**(ومنها) إيجاد الفرج والمخرج والرزق بدون احتساب؛** قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٤].

**(ومنها) إلهام العلم؛** قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٥].

**(ومنها) قذف البصيرة ونور الفرقان في القلب؛** قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٦].

وغيرها كثير مما لا يسعه المقام وتستحق إفرادها بكتاب مستقل.

وقد اختُصر تعريف التقوى: «بأن لا يفتقدك الله حيث أمرك ولا يجدك الله حيث نهاك»، والأمر أعمّ من الواجب والمستحب، والنهي أعم من الحرام والمكروه.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٥.
(٢) سورة الطلاق، الآية: ٥.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.
(٤) سورة الطلاق، الآيتان: ٢-٣.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.
(٦) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.

## الصوم الحقيقي

وتتحدث الروايات الشريفة عن كيفية إنتاج الصوم الحقيقي بدرجة من درجات التقوى تتكامل بانضمامها إلى نتائج العبادات الأخرى، فيقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «وإِنَّمَا هِيَ نَفسِي أُرَوِّضُها بِالتَّقوَى لِتَأْتِي آمِنَةً يومَ الفَزَعِ». وعن الإمام الرضا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال: «إنما أُمروا بالصوم لكي يعرفوا ألم الجوع والعطش فيستدلوا على فقر الآخرة، وليكون الصائم خاشعاً ذليلاً مستكيناً مأجوراً محتسباً عارفاً صابراً على ما أصابه من الجوع والعطش فيستوجب الثواب مع ما فيه من الإمساك عن الشهوات ويكون ذلك واعظاً لهم في العاجل ورائضاً لهم على أداء ما كلّفهم، ودليلاً لهم في الآجل، وليعرفوا شدة مبلغ ذلك على أهل الفقر والمسكنة في الدنيا فيؤدوا إليهم ما افترض الله لهم في أموالهم»[١].

وهذه بعض معالم التقوى وهي كثيرة وقد بيّن أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ صفات المتقين في خطبته المعروفة فليقم كلّ راغب في أن يكون من المتقين بتحقيق تلك الصفات في نفسه وفي سلوكه مستمداً العون من الله تبارك وتعالى.

## قيمة العمل

فقيمة العمل إنما تُعرف من مقدار مطابقة نتائجه مع الهدف المطلوب من العمل كما سُئل الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن كيفية معرفة أن الصلاة مقبولة أم لا؟ قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: انظر إلى مقدار نهيها لصاحبها عن الفحشاء والمنكر. تطبيقاً للآية الشريفة: : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[٢]. فكذلك الصوم الذي لا يربي في الإنسان ملكة التقوى ولا يمنعه من ارتكاب المحرمات لا

(١) وسائل الشيعة: ج٧، كتاب الصوم، أبواب وجوب الصوم ونيته، باب١، ح٥.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

قيمة له في ميزان التكامل، روى السيد ابن طاوس عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: «إن الكذبة لتفطر الصائم، والنظرة بعد النظرة والظلم قليله وكثيره»(١).

فالصوم المنتج للتقوى لا بدّ أن يشمل القلب وجميع الجوارح، فقد روي عن الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لجابر بن عبد الله: يا جابر هذا شهر رمضان من صام نهاره وقام ورداً من ليله وعفَّ بطنه وفرجه وكفّ لسانه خرج من ذنوبه كخروجه من الشهر، فقال جابر: يا رسول الله ما أحسن هذا الحديث! فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يا جابر ما أشدَّ هذه الشروط!»(٢).

## مقارنة يوم العيد بيوم النشور

فالشعور الحقيقي للإنسان يوم العيد أن يكون متردداً بين الخوف والرجاء.

ومن المشاعر التي يلفت المعصومون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ نظرنا إليها يوم العيد: المقارنة بينه وبين يوم النشور؛ فعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن آبائه (سلام الله عليهم) قال: «خطب أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم الفطر فقال: أيها الناس إن يومكم هذا يوم يُثاب فيه المحسنون ويخسر فيه المسيئون، وهو أشبه يوم بقيامتكم، فاذكروا الله بخروجكم من منازلكم إلى مصلاكم خروجكم من الأجداث إلى ربكم، واذكروا بوقوفكم في مصلاكم وقوفكم بين يدي ربكم، واذكروا برجوعكم إلى منازلكم رجوعكم إلى منازلكم في الجنة والنار. واعلموا عباد الله إن أدنى ما للصائمين والصائمات أن يناديهم ملك في آخر يوم من شهر رمضان: أبشروا عباد الله فقد غفر لكم ما سلف من ذنوبكم فانظروا كيف تكونون فيما تستأنفون؟»(٣).

---

(١) وسائل الشيعة، أبواب آداب الصائم، باب١١، ح٩.
(٢) نفس المصدر، باب١١، ح٢.
(٣) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، ج٥، أبواب صلاة العيد، باب٣٨، ح١.

## تجديد الحزن لآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين

ومن مشاعرنا يوم العيد تجديد الحزن لاغتصاب آل محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حقهم، فعن عبد الله بن ذبيان عن أبي جعفر الباقر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال: «يا عبد الله ما من يوم عيد للمسلمين أضحى ولا فطر إلّا وهو يجدّد الله لآل محمد عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ فيه حزناً، قال: قلت: لمَ؟ قال: إنهم يرون حقهم في أيدي غيرهم»(١).

لذا كان من مستحبات يوم العيد قراءة دعاء الندبة المليء بالتأسف والألم لما أصاب أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ وبالوقت نفسه فإن الدعاء يحيي الآمال بتعجيل الظهور الميمون المبارك جعلنا الله تعالى من أنصاره وكبراء قادته. إنه نعم المولى ونعم النصير.

(١) نفس المصدر، باب٣١، ح١.

# العيد يرسّخ ركني الإسلام
# كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة

أقام سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) صلاة عيد الفطر المبارك للعام ١٤٢٥ هـ في باحة داره، حيث اجتمع العشرات من المؤمنين، وبعد الصلاة قام لأداء الخطبتين وافتتحهما بالحمد والثناء على الله تبارك وتعالى كما هو أهله وكما يستحقه حمداً كثيراً ثم قال:

## ركنا الإسلام

توجد كلمة لأحد العلماء يقول: «بُني الإسلام على ركنين: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة» وهي عبارة صادقة بدرجة كبيرة ولم تأتِ من فراغ وإنما هي مستقرأة من مجموعة وفيرة من النصوص الشريفة في القرآن والسنة، وهذان الركنان تُساهم فعاليات العيد في ترسيخهما في نفوس وقلوب المؤمنين.

## معنى كلمة التوحيد

أما كلمة التوحيد ـ ولا نعني بها لقلقة اللسان فقط ـ فهي وإن كانت تمثّل درجة من درجات الإيمان ومعبّرة عما في قلب الإنسان وضميره ومبرزة لهذا الاعتقاد الباطني، إلّا أنها غير كافية كما قال تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾[1]. فالمطلوب من المسلم مراحل أخرى:

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

**منها**: انعقاد القلب على هذه الحقيقة بأن لا إلٰه ولا مدبر ولا ربَّ ولا معبود ولا كامل وغيرها من المعاني إلّا الله تبارك وتعالى.

**ومنها**: إشراق هذه المعاني على حياة الإنسان وتأثيرها في سلوكه فلا يخشى إلّا الله تبارك وتعالى ولا يطيع أحد غيره ولا يرجو الخير إلّا منه ولا يبغي رضا أحدٍ غيره ولا يتوكل إلّا عليه... وهكذا.

## العيد فرصة لتعميق التوحيد

وقد جعل الله تبارك وتعالى أزمنة شريفة ـ ومنها يوم العيد ـ فرصة كبيرة لتعميق هذه المعاني، فقام الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بحكم وظيفتهم الإلهية وهي الأخذ بيد العباد في طريق الهداية وإيصالهم إلى الكمال بوضع برنامج عملٍ تفصيلي لهذه الأيام، فعلموا شيعتهم عدة صيغٍ للطاعة من الصلاة والدعاء والسنن والمستحبات وتضمنت الأدعية الحمد والثناء لله تعالى على جميل صنعه إذ وفق لصيام هذا الشهر العظيم، وأعان على قيامه وتلاوة كتابه الكريم في وقت حُرِم منها الكثيرون بحسب درجات الحرمان المتفاوتة، فأحدهم ـ وهو أسوأهم ـ لم يؤدِ ما فرض الله عليه من صيامٍ وصلاةٍ واشتغل بالمعاصي، وآخر صام ظاهراً بمعنى أنه امتنع عن الطعام والشراب لكنه لم يمنعه صومه عن الخوض في المحرمات كالغيبة وظلم الناس والمعاملات المحرمة والنظر إلى ما حرم الله وحضور مجالس البّطالين ونحوها فهو قد حُرِم من درجة من درجات العطاء الإلهي، وهكذا تمتد درجات الحرمان بمقابل درجات القبول والقرب من الله تعالى، وكلّ درجة من درجات القبول تقابلها درجة من درجات الحرمان: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾[1].

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢١.

ومما تضمنته الأدعية من معانٍ: التوسل إلى الله تعالى بالمغفرة وعدم المؤاخذة على التقصير وقبول الأعمال بكرمه وأن لا يعاملنا بعدله بل بفضله: «اللّٰهُمَّ أدِّ عنا حق ما مضى من شهر رمضان واغفر لنا تقصيرنا فيه ولا تؤاخذنا بإسرافنا على أنفسنا واجعلنا من المرحومين ولا تجعلنا من المحرومين». وفي دعاء آخر: «إلهي ربح الصائمون وفاز القائمون ونجا المخلصون ونحن عبيدك المذنبون».

فإذاً ليس كلّ عمل يأتي به الإنسان يكون مقبولاً وإن كان مطابقاً للشروط التي ذكرها الفقهاء (قدس الله أسرارهم) في رسائلهم العملية التي تتكفل بإبراء الذمة من التكليف، أما القبول فيتطلب درجة من درجات التقوى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[١].

## العيد يذكرنا بالتقوى

ومن الأجزاء الواجبة في خطبتي صلاة العيد التذكير بتقوى الله تبارك وتعالى كتلاوة الآية الشريفة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[٢]، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ ﴾[٣]، وقد ورد مثل هذا الحثّ كثيراً في القرآن في إشارة واضحة إلى غياب هذه الحالة عن حياة الناس حتى المؤمنين.

فالعيد ـ بخطبتي صلاته ـ يعيد للمؤمنين هذه الحالة الروحية الوجدانية التي يستشعرها في حياته ويستحضرها في معاملاته وتصرفاته لتكون هي المقياس؛ لذا فسّروها في بعض الأقوال: «أن يجدك الله حيث أمرك ويفتقدك حيث نهاك»، فإذا أمرك بالصوم فيريد أن يجدك مع الصائمين وأمرك بالصلاة فلا بدّ أن يجدك

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٧.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٩.
(٣) سورة النساء، الآية: ١.

مع المصلين... وهكذا ونهاك عن الغيبة فيجب أن يفتقدك في مجالس الخائضين فيها... وهكذا.

## ذكر الله تعالى في العيد

وفي هذا السياق دعا الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ شيعتهم إلى الإكثار من ذكر الله تعالى والعمل الصالح يوم العيد، وعدم جواز الاشتغال باللعب والضحك. ومما ورد في هذا المجال عن الإمام الحسن بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه نظر إلى ناسٍ في يوم فطر يلعبون ويضحكون فقال لأصحابه والتفت إليهم: «إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى رضوانه، فسبق فيه قوم ففازوا وتخلف آخرون فخابوا، فالعجب كلّ العجب من الضاحك اللاعب في اليوم الذي يثاب فيه المحسنون ويخيب في المقصرون وايم الله لو كُشف الغطاء لانشغل محسن بإحسانه ومسيء بإساءته»(١).

وهكذا يعمّق العيد هذا الركن الأول من ركني الإسلام في شخصية المؤمن.

ثم أنهى خطبته الأولى بقراءة سورة الكوثر، وبعد جلسة خفيفة قام إلى الخطبة الثانية.

## توحيد الكلمة

فبدأها بالحمد لله تبارك وتعالى ثم الصلاة على النبي وآله بأسمائهم فرداً فرداً وقال: «إن العيد يتكفّل بترسيخ الركن الثاني وهو توحيد الكلمة من خلال عملين:

**الأول**: الحثّ على التزاور والمعانقة والمصافحة ونبذ القطيعة والتباغض والتشاجر، وهذه الأساليب العملية لها دور فعال في حفظ تماسك المجتمع المسلم ووحدته وسيادة روح الألفة والمحبة بين أفراده فمن الأحاديث الواردة في

(١) وسائل الشيعة: كتاب الصلاة، أبواب صلاة العيد، باب ٣٧، ح٣.

المصافحة عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إن المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أدخل الله يده بين أيديهما وأقبل بوجهه على أشدهما حباً لصاحبه فإذا أقبل الله بوجهه عليهما تحاتت عنهما الذنوب كما يتحات الورق من الشجر»[1] وغيرها كثير، ولما علم الله تبارك وتعالى أن الناس يشتغلون خلال السنة بتفاصيل حياتهم اليومية فتقل اللقاءات بينهم خصوصاً مع تعقيد الحياة المعاصرة؛ لذا جعل العيد فرصة ليجددوا هذه العلاقات ويزيلوا عنها ما شابها من الكدر ونزعات الشيطان.

وهذا التماسك والتآلف هو الأساس الرصين لبناء أمة مزدهرة متقدمة قوية، وترى أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أول ما عمل حين صدع بدعوته المباركة هي المؤاخاة بين المهاجرين أنفسهم، ثم بعد ما هاجر آخى بين المهاجرين والأنصار كأول خطوة قبل أن يبدأ عمله الرسالي الواسع العظيم، وكان أصحابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بمستوى المسؤولية فكان الأنصاري يتنازل للمهاجر عن نصف ماله حتى إذا كان له رغيفان أعطاه واحداً وإذا كانت له زوجتان طلّق واحدة وتزوجها المهاجر.

وهكذا استطاع أن يبني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دولته المباركة الحصينة في المدينة وانطلق منها ليفتح العالم لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يعلم أنه لا تستقيم له دولة ولا يستطيع أن يبلّغ رسالة ربه، وأصحابُه متقاطعون متباغضون يلعن بعضهم بعضاً، ويفسق بعضهم بعضاً فكان لا يسمع كلام أحدهم السيئ عن الآخر ويقول لهم: «أحبّ أن أمضي عنكم وأنا سليم الصدر»، وبذلك قطع هذه المادة الأساسية للتقاطع وسوء الظن وهي النميمة ونقل نقائص الآخرين وتشويه سمعتهم وتسقيطهم.

فما أحوجنا اليوم إلى وعي هذه العملية المباركة التي قام بها المصلح العظيم

(١) وسائل الشيعة: كتاب الحج، أبواب العشرة، باب١٢٦، ح٧.

وباني دولة الإسلام العظيمة، ولو سألتني عن أهم معوق للعمل الإسلامي في الفترة التي تلت بعد سقوط الطاغية لأجبتك أنه هذا التقاطع والتشنج في العلاقات والتزاحم على المواقع الدينية والسياسية والاجتماعية ـ رغم أنها كلّها إذا خلت من الإخلاص لله تعالى فهي لا تعدو كونها دنيا زائفة وزائلة ـ مما أنهك الأمة وأضعفها وجعلها نهباً للأعداء يطمع فيها كلّ قريب وبعيد، وأضاع الكثير من فُرص التقدم ومشاريع بناء الأمة المتكاملة وهدر الطاقات وأمات الآمال التي انتعشت في يومٍ ما.

إننا بإذن الله تعالى مقبلون على عملية انتخابات، وقد بذلت الأمة وقياداتها جهوداً مضنية لإقرارها حتى رضخت الأطراف المعنية، ونحن نريدها أن تكون نزيهة ومنافسة شريفة لتقدم الأكفاء وتحكيم إرادة الأمة في من يقودها، لكنهم سيعملون لتحقيق مصالحهم من خلال هذه العملية، وليس من الضروري أن تتطابق المصالح فتستمر حالة التجاذب والتدافع ليحقّق كلّ طرف ما يريد: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

ومحل الشاهد أن من السلبيات المتوقعة والتي سيعمل الأعداء على ترسيخها هي حالة المهاترات الكلامية وتبادل الاتهامات ومحاولة التسقيط والتشويه والإلغاء والإقصاء التي ستتبعها الفئات المتنافسة بشتّى الوسائل المتاحة من أجل إرضاء أنانياتهم وتحقيق مصالحهم الشخصية أو الفئوية، مما سيمزق الأمة بشكل أوسع وها نحن ننبه إلى هذا الخطر من وقتٍ مبكرٍ لأخذ الحيطة والحذر.

إن التنوع في التفكير والوصول إلى نتائج مختلفة استناداً إلى مقدمات

(١) سورة الحج، الآية: ٤٠.

متباينة حالة طبيعية ودليل على الإبداع، ولكن لا يجوز لها أن تتجاوز حدودها الإيجابية لتؤدي إلى التقاطع والتناحر.

إننا نشهد اليوم تمزقاً على صعيد الوطن فبعض الأكراد ينادون بالانفصال في الشمال وآخرون يطالبون بانفصال الجنوب وأسيء معنى الفيدرالية.

ونشهد تمزقاً على صعيد الدين فهؤلاء المتحجرون الجهلة الحاقدون يقتلون ويدمرون ويفجرون بلا رادعٍ من دين أو أخلاق أو إنسانية وبوسائل وحشية، والحوادث اللطيفية والمحمودية والسيارات المفخخة والاغتيالات بعض الشواهد على ذلك، يريدون أن يجروا البلاد والعباد إلى حرب طائفية تهلك الحرث والنسل، وينفذوا خطط أعداء الأمة من حيث يشعرون أو لا يشعرون، ولولا حكمة المرجعية الشريفة وحلمها وبصيرتها وورعها ووعي الأمة وطاعتها لقيادتها الدينية لما بقي المجتمع على حاله اليوم.

ونشهد تمزقاً داخل المذهب الواحد بسبب اختلاف التوجهات الفكرية والقناعات المتعددة وهكذا تستمر الانشقاقات بشكل لا يُسِّر الصديق ويدمي قلب كلّ غيور.

ومع هذا الوضع الخطير كيف ستُبنى الأمة وتزدهر البلاد؟ وكيف سنحقق السلام والسعادة لأبناء الشعب ؟لذا يجب أن يثوب الجميع إلى رشدهم وينظروا بعين الناقد البصير ويعودوا إلى سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حيث كان أول عملٍ هو تأليف قلوب أتباعه وتوحيد شملهم وبناء مجتمعٍ متماسكٍ محذراً إياهم من مغبة التفرق والتشتت التي يكون أول نتائجها ذهاب القوة والدولة: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ

أَعۡدَآءً فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ ﴾[١].

ولمراسم العيد وسننه ومستحباته الدور الكبير في سيادة روح المحبة والتصافي بين أفراد الأمة.

**الثاني**: التذكير وإلفات النظر إلى القيادة الحقيقية للأمة التي أمر الله تبارك وتعالى باتباعها: «وجعل إمامتنا نظاماً للملة»[٢]، فالإمامة والقيادة الشرعية للأئمة المعصومين عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ وامتدادهم من الفقهاء العدول الجامعين للشرائط هو الحصن الذي يحمي الأمة من التفكك، وما تشتتت الأمة وما تمزقت إلّا حينما أعرضت عن قيادتها الحقيقية.

وهذا المعنى يؤكده العيد ويرسخه في قلوب المؤمنين من خلال الحثّ الأكيد على زيارة الإمام الحسين عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وفهم معاني ثورته المباركة، ومن خلال دعاء الندبة الذي ورد استحباب قراءته في الأعياد وهو دعاء جليل يذكّر الناس بالركب الكريم من أنبياء الله ورسله والأئمة المعصومين عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ والأولياء الصالحين الذين بلّغوا رسالات ربهم وأدوا ما عليهم وقدموا التضحيات الجسيمة التي يشير إليها الدعاء.

ثم يركز في خطابه على الإمام المهدي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ باعتباره الإمام الفعلي والقائم بأعباء الرسالة الإلهية الشريفة والمدّخر لإقامة الحق والعدل وإزالة الأمت والعوج، وليذكرنا أن العيد الحقيقي هو يوم إقامة حكم الله تبارك وتعالى في الأرض على يد الأمناء من عباده.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) من خطبة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عَلَيۡهَا ٱلسَّلَامُ في مسجد أبيها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

هذا هو يوم العيد في شرفه، وهذا هو يوم العيد في معطياته وهذا هو دور يوم العيد في حياة المسلمين.

ويبقى «كلّ يوم لم تعصِ الله فيه فهو عيد» هو شعار المؤمنين وخلاصة نظرتهم إلى معنى العيد.

جعلنا الله وإياكم من أهل طاعته ورزقنا وإياكم مرافقة أوليائه في بحبوحة جناته إنه ولي النعم.

## الفصل السابع

# شهر ذي الحجة

مواعظ وتوجيهات
سماحة المرجع الديني
الشيخ محمد اليعقوبي
(دام ظله الشريف)

mouraqabat - zakharef.indd 163 6/13/14 2:14 PM

# استقبال شهر ذي الحجة الحرام[١]

الحمد للّه رب العالمين وصلى الله على سيد خلقه أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

يحلّ علينا بإذن الله تعالى بعد أيام شهر ذي الحجة الحرام وهو شهر شريف، تضاهي بعض أيامه أيام شهر رمضان المبارك في الفضل وعظيم البركة ـ على ما قيل ـ لذا روي أن صلحاء الصحابة والتابعين والسلف الصالح كانوا يترقبونه ويهتمون به ويضعون لهم برامج من العمل والعبادة.

ومن أيامه المباركة ذات الشأن العشر الأوائل منه وقد ورد في الروايات أنها الأيام المعلومات التي حثّ الله تبارك وتعالى عباده على ذكره فيها بكلّ ما تيسّر من أشكال الذكر والطاعة والعبادة، ففي معاني الأخبار روى الشيخ الصدوق رضوان الله عليه بسنده عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في قول الله عز وجل: ﴿ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴾[٢] قال: أيام العشر»[٣].

وورد في فضيلة هذه الأيام عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قوله: «ما من أيام أزكى عند الله تعالى ولا أعظم أجراً من عشر الأضحى، قيل: ولا الجهاد في سبيل الله؟

(١) كلمة وجهها سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) من خلال قناة (النعيم) الفضائية بمناسبة قرب حلول شهر ذي الحجة الحرام/ ١٤٣٢.
(٢) سورة الحج، الآية: ٢٨.
(٣) معاني الأخبار: ٢٩٦ باب معنى الأيام المعلومات والأيام المعدودات.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ولا الجهاد في سبيل الله إلّا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء»[١].

فينبغي للمؤمن المراقب لنفسه الراغب في ما عند الله عز وجل أن يتحرّى هذا الشهر ويتعرف على أوله حتى لا تفوته فرصة الأعمال المسنونة لهذه العشرة: وأول ذي الحجة لهذه السنة ١٤٣٢ سيكون على الأرجح بمشيئة الله تعالى يوم السبت ٢٠١١/١٠/٢٩ فمساء يوم الجمعة أي ليلة السبت ستكون الليلة الأولى من ذي الحجة بإذن الله تعالى عندها تبدأ أعمال العشرة الأولى من شهر ذي الحجة:

**ومنها**: صلاة كلّ ليلة بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كلّ منهما بعد الحمد سورة التوحيد وقوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٢]، فقد ورد أن من صلاّها شارك الحجاج في ثوابهم وإن لم يحج.

ولا يخفى وجه ارتباط الآية بهذه العشرة، حيث ورد في الروايات أن الثلاثين هي شهر ذي القعدة والعشرة هي الأولى من ذي الحجة[٣] وقد ذكر أكثر من وجه لإفراد العشرة عن الثلاثين وكان يمكن القول أربعين ليلة في جملة واحدة، والوجه الذي أقوله منسجم مع ما نحن فيه، وملخّصه أن إفراد العشرة لإظهار الاعتناء بها والالتفات إلى فضلها الخاص.

**ومنها**: صوم الأيام التسعة الأولى ويكره صوم يوم عرفة لمن يضعفه الصوم

(١) المراقبات للمرحوم ملّكي تبريزي: ٢٧٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٢.
(٣) تفسير الصافي: ٣/٢٣٥.

عن الدعاء أو إذا كان خلاف في أول الشهر خشية أن يكون عيداً، ففي رواية الشيخ الصدوق رضوان الله عليه عن الإمام موسى بن جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أن من صام التسع كتب الله عز وجل له صوم الدهر»(١).

ومن لم يتيسر له صومها كلّها لضعف أو انشغال أو تقديم الأهم فليصم أول يوم فإنه يعدل صوم ستين أو ثمانين شهراً. ويصوم اليوم الثامن المسمى بيوم التروية فقد ورد فيه أن صومه كفارة سنة.

**ومنها**: الأدعية والأذكار الموجودة في كتب السنن والمستحبات وقد ذكر بإزاء كلّ منها ثواب عظيم.

وينبغي مضاعفة الهمّة أكثر ليلة عرفة ويومها وليلة العيد ويومه وتوجد أدعية ذات مضامين عالية في هذه الأوقات المباركة الشريفة، كما ينبغي عدم تفويت زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ المخصوصة في يوم عرفة ويوم العيد ولو من بعد لمن لم يتيسر له التشرف بلثم تربته المباركة.

وكذا ينبغي إحياء شعائر أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ومنها ذكرى استشهاد الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ في السابع من ذي الحجة.

إن من أعظم نعم الله تعالى على الإنسان توفير هذه الفرص الخاصة للألطاف الإلهية ليسرِّع الله تبارك وتعالى لعباده التكامل والرقي ويطوي لهم المسافات المعنوية نحو الكمال، لذا فإن من الذِّكر الذي أمرنا به في هذه الأيام المباركة، الالتفات إلى هذه النِّعم الخاصة والشكر عليها قولاً وفعلاً، ولذا ورد في أدعية الأيام العشرة الأولى: «اللّٰهُمَّ هذه الأيام التي فضلتها على الأيام وشرّفتها وقد

(١) وسائل الشيعة، أبواب الصوم المندوب، باب ١٨ وكذا ما بعدها من الروايات.

بلغتنيها بمنّك ورحمتك فانزل علينا من بركاتك وأوسع علينا فيها من نعمائك»، ولتكن طلباتك سامية كالتي ذكرها الدعاء لأن عطاء الله تعالى واسع فيها.

وأودّ إلفات نظر الأحبّة إلى أنه توجد أعمال للشهر القمري كشهرٍ بغضّ النظر عن أعمال أيامه، يستحب المواظبة عليها في كلّ شهر قمري، وإذا لم يتسنّ الالتزام بها في كلّ شهر فلا أقل من العمل بها في مثل هذه الأشهر الشريفة حتى لا يكون تاركاً لها، فللملتزم بعمل ـ كصلاة الليل ـ منزلة، ولمن لم يكن من تاركي العمل منزلة، فإن لم تكن من أهل الأولى فكن من أهل الثانية.

## الأعمال المتعلقة بكلّ شهر قمري

١- صلاة أول الشهر وهي ركعتان يقرأ في الأولى الحمد مرة والتوحيد ثلاثين وفي الثانية الحمد مرة وسورة القدر ثلاثين، ثم يتصدق بما يتيسر ليشتري سلامة ذلك الشهر، والسلامة المذكورة مطلقة فلا تختص بالسلامة من الآفات والكوارث والمصائب وإنما تشمل السلامة المعنوية من الذنوب والمعاصي والتقصيرات والانشغال عن الله تبارك وتعالى.

وإنما يُذكر الثواب بإزاء العمل لتحفيز البعض من المؤمنين وإلّا فإن مجرد كون العمل محبوباً عند الله تعالى ومطلوباً عنده كافٍ للمبادرة إلى فعله.

٢- صوم ثلاثة أيام من الشهر والأفضل أن تكون أول خميس وآخر خميس والأربعاء في العشرة الوسطى وهذه سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ التي علّمها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وواظب عليها حتى وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

٣- ختم القرآن مرة واحدة كما ورد في الكافي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ وإن لم يتيسّر في سائر الشهور ففي شهرين مرة.

إن هذه الأيام الشريفة محلّ للحديث النبوي الشريف: «إن لربكم في أيام

دهركم نفحات، ألا فتعرّضوا لها، ولا تُعرضوا عنها» والعياذ بالله، والتعرض لها إنما يكون بالتعرض لأسبابها، والإعراض عنها إنما يكون بالإعراض عن أسبابها، فإن الفرص تمرّ مرَّ السحاب والعاقل من اغتنم الفرصة قبل أن يندم لفواتها ولا ينفع الندم. والله ولي التوفيق.

## بمناسبة حلول شهر ذي الحجة الحرام

الحمد للّه كما هو أهله والحمد حقه كما يستحقه حمداً كثيراً وصلى الله على نبيّه وسيّد خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

تحل علينا مع إطلالة شهر ذي الحجة الحرام أيام مباركة وصفها الدعاء المروي عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ بأعظم الأوصاف: «اللّٰهُمَّ هذه الأيام التي فضلتها على الأيام وشرفتها وقد بلغتنيها بمنّك ورحمتك فانزل علينا من بركاتك وأوسع علينا فيها من نعمائك، اللّٰهُمَّ إني أسألك أن تصلّي على محمدٍ وآل محمد وأن تهدينا فيها لسبيل الهدى والعفاف والغنى والعمل فيها بما تحب وترضى، اللّٰهُمَّ إني أسألك يا موضع كلّ شكوى ويا سامع كلّ نجوى ويا شاهد كلّ ملأ ويا عالم كلّ خفية أن تصلّي على محمد وآل محمد وأن تكشف عنّا فيها البلاء وتستجيب لنا فيها الدعاء وتقوينا فيها وتعيننا وتوفقنا فيها لما تحب ربنا وترضى وعلى ما افترضت علينا من طاعتك وطاعة رسولك وأهل ولايتك.....» إلخ.

هذه هي مشاعرنا ونحن نستقبل هذه الأيام الشريفة: إدامة الحمد والثناء للّه تبارك وتعالى على إبلاغنا هذه الأيام وإدراكنا لها فنستزيد من طاعته وننال القرب منه والزلفى لديه، فإن العطاء الإلهي يتضاعف في مثل هذه الأيام الشريفة فمن أعظم المنّة على الإنسان أن يبقيه الله تعالى لها ويوفقه لاستثمارها ولم يجعله فيمن اختطفهم الأجل في الأيام السابقة فيحرم من هذه الفرصة ويردد الكلمات

التي قالها الذين من قبله: ﴿ ..رَبِّ ٱرۡجِعُونِ * لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ ﴾[١]، فليعتبر كلّ إنسان أنه قد أدركه الأجل ثم طلب من ربه أن يعيده ليعمل صالحاً وقد أعاده فماذا سيعمل وكيف يتدارك أمره؟

أما مطالبنا في هذه الأيام من مدبّر الأمور ومسبّب الأسباب فهي الهداية والتوفيق لما يحب ويرضى والإعانة على ذلك ودفع البلاء ونحوها.

وشهر ذي الحجة شهرٌ شريف وكان صلحاء الصحابة والتابعون يهتمون بالعبادة فيه اهتماماً بالغاً، والعشر الأوائل من أيامه هي الأيام[٢] المعلومات المذكورة في القرآن الكريم، وهي أيام فاضلة غاية الفضل، وقد روي عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «ما من أيام العمل فيها أحبّ إلى الله عز وجل من أيام هذه العشر»، لذا ورد عن أئمة أهل البيت عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ أعمال خاصة بهذه الأيام كالصوم عدا اليوم العاشر لأنه يوم العيد وعدا التاسع وهو يوم عرفة لمن يضعفه عن الدعاء، وصلوات مخصوصة منها ركعتان في كلّ ليلة من الليالي العشر يقرأ في كلّ ركعة بعد الحمد والتوحيد قوله تعالى: ﴿ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[٣]، ليشارك الحاج في ثوابهم، ويتأكد مضاعفة الهمّة في يومي التاسع والعاشر أي عرفة وعيد الأضحى.

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩-١٠٠.

(٢) إشارة لقوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ * لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴾ [سورة الحج، الآيتان: ٢٧-٢٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ [سورة البقرة، الآية:٢٠٣].

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٢.

فعلينا أن نستثمر هذه الفرص العظيمة للطاعة استجابة لقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٢] فإن إضاعة الفرصة غصة، وقد لا نبقى أحياء حتى نُمنح فرصة أخرى ورأس مال الإنسان في حياته هي هذه الساعات والدقائق والثواني:

**دقّـاتُ قلـبِ المـرء قائلـة لـهُ  إن الـحـيـاة دقـائـق وثـوانـي**

والخيار مفتوح أمام الإنسان ليختار طريق الخير أو الشر ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[٣].

فالاختيار له في كيفية استغلال هذا الوقت وما يزرعه اليوم يجنيه غداً: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾[٤]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۞ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۞ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۞ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾[٥].

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.
(٣) سورة الإنسان، الآية: ٣.
(٤) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧-٨.
(٥) سورة الانشقاق، الآيات: ٦-١٢.

# عشرة ذي الحجة
# شهر رمضان الأصغر[١]

العشرة الأولى من ذي الحجة في الأيام كشهر رمضان في الشهور بحيث يمكن اعتبارها شهر رمضان الأصغر، ليست هذه دعوى ندعيها، وإنما دلّت عليها كلمات المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والوجوه العديدة للتشابه بينهما.

فقد ورد في دعاء شهر رمضان: «وهذا شهر عظمته وكرّمته وشرّفته وفضّلته على الشهور» وورد في دعاء العشرة الأولى من ذي الحجة: «اللّٰهُمَّ هذه الأيام التي فضّلتها على الأيام وشرّفتها» فتلاحظ وحدتهما في التشريف والتفضيل.

والسمة البارزة لأعمال كلّ منهما واحدة وهو ـ بعد الذكر والدعاء والاستغفار والعبادة ـ الصوم فهو محبوب ومطلوب في كليهما إلّا أنه في شهر رمضان على نحو الوجوب وفي عشرة ذي الحجة على نحو الاستحباب عدا يوم العيد لحرمة الصوم فيه.

وكلّ منهما وصف بأنه أيام معدودات ومعلومات، قال تعالى عن شهر رمضان: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾[٣] وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾[٤] وورد في بعض الروايات أن المقصود من عشرة ذي الحجة.

---

(١) من حديث سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) مع حشد كبير من الطلبة الجامعيين من بغداد وفدوا لزيارة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ والإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ضمن برنامج رسالي، والتقوا سماحته يوم الخميس ٩/ذ.ح/١٤٣٣ الموافق ٢٠١٢/١٠/٢٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

(٣) سورة الحج، الآية: ٢٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٠٣.

والعمل في كلّ منهما له زمان يبلغ فيه الذروة من حيث العطاء الإلهي ومضاعفة الجزاء، ففي شهر رمضان ليلة القدر، وفي عشرة ذي الحجة يوم عرفة، وكلّ منهما عيد لأولياء الله الصالحين، بحيث يمكن أن يقال إن يوم عرفة في الأيام كليلة القدر في الليالي.

ويشترك الزمنان بـأن الشياطين فيها مغلولة كما ورد في خطبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في استقبال شهر رمضان، وفي بعض الأخبار أنه ما من زمن يكون فيه الشيطان طريداً ذليلاً غضوباً أكثر من يوم عرفة، ووضع الشيطان في الأغلال أي الحد من تأثيره في غواية الإنسان وتزيين المعاصي له فيكون إقباله على الطاعة أكثر وهمّته فيها أعلى.

ولأن رقّة القلب وانكساره وحزنه تساعد على صفاته وصدق توجهه إلى الله تبارك وتعالى كما ورد في الحديث القدسي: «أنا عند المنكسرة قلوبهم»، فقد مضى قلم التخطيط الإلهي بأن تسبق كلا الزمنين الشريفين مناسبة حزينة تتفجر لها قلوب المؤمنين لوعة وحزناً وألماً، حيث تتزامن ذكرى شهادة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ مع ليالي القدر، ويسبق شهادة الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم عرفة لترّق القلوب وتتنقى فتتهيّأ لتلقي الفيوضات الإلهية في هذه الأزمنة المباركة.

وتشترك ليلة القدر ويوم عرفة بزيارة مخصوصة للإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ ورد فيهما ثواب عظيم، ففي كامل الزيارات لابن قولويه (قدس سره) ـ أستاذ الشيخ المفيد (قدس سره) ـ عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إن الله تبارك وتعالى يبدأ بالنظر إلى زوّار قبر الحسين عشية عرفة قبل نظره لأهل الموقف». وفيه عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إن الله تبارك وتعالى يتجلى لزوار قبر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل أهل عرفات ويقضي حوائجهم ويغفر ذنوبهم ويشفعهم في مسائلهم ثم يثنّي بأهل عرفات فيفعل بهم ذلك».

وفي مصباح المتهجد عن رفاعة النخّاس قـال: «دخلت على أبي

عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال لي: يا رفاعة أما حججت العام؟ قلت: جعلت فداك ما كان عندي ما أحجّ به ولكنني عرّفت عند قبر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال لي: يا رفاعة ما قصّرت عمّا كان أهل منى فيه، لولا أنّي أكره أن يدع الناس الحج لحدّثتك بحديث لا تدع زيارة قبر الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ أبداً».

ومما تقدّم يتضح أن عشرة ذي الحجة محطة جديدة للتزوّد بالمعنويات اقتضت الألطاف الإلهية جعلها لعلم الله تعالى بأن الإنسان يغتر ويتراجع فيحتاج إلى شحنة جديدة تزيل الرين والقساوة عن قلبه بعد مرور شهرين على شهر رمضان، وأن يوم عرفة لا ينحصر فضله وشرفه بمن كان على صعيد عرفات الطاهر وإن كانوا أولئك يحظون بامتيازات ذلك المكان، إلّا أنّ عباد الله تعالى في كلّ أصقاع الأرض يحظون بشرافة الزمن وفضل العمل فيه كما سمعنا ما لزوّار الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ من الكرامة.

وإذاً يكون من الطبيعي جعل عيد الأضحى في نهاية هذا الموسم الكريم من الطاعة والعبادة كما يأتي عيد الفطر في نهاية موسم عبادي حافل في شهر رمضان.

وعلى هذا فإن عيد الأضحى عيد جميع عباد الله الصالحين الذين فازوا بضيافة الله تعالى في هذا الزمن الشريف واستثمروا عروف هذه النفحات، ولا يختص بمن كانوا في المشاعر المقدسة.

# مواعظ من مناسك الحج[١]

من وصية أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لولده الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا بنيَّ أحيِ قلبك بالموعظة وأمته بالزهادة»[٢] فالقلوب تحتاج إلى بعث الحياة فيها من جديد كلما اقتربت من الموت بسبب الرين والقساوة التي تطرأ عليها، وقد ورد في الرواية أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال يوماً لأصحابه: «إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد، قيل: وما جلاؤها يا رسول الله؟ قال: ذكر الموت وتلاوة القرآن»[٣].

فلا بدّ للمؤمن أن يتحرى الموعظة ليستثير في قلبه الحياة ويأخذ بأسبابها كالتي ذكرها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإلّا فإن الرين الذي ينشأ من خوض الإنسان في أفعاله الحياتية ولوازمها وما تقتضيه طبيعته البشرية فضلاً عن

(١) تواصل سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) خلال سفره لأداء مناسك الحج عام ١٤٣١ مع أتباع مذهب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في الدول الإسلامية وقد أجاب المرجع اليعقوبي (دام ظله) دعوة حملة (أنوار المؤمل) القطيفية من المملكة وذلك مساء يوم الأربعاء ٤/ذو الحجة الموافق ٢٠١٠/١١/١٠. وكان في استقباله في مقر إقامتهم في مكة المكرمة عدد من الفضلاء والمؤمنين الذين عبّروا عن شكرهم وامتنانهم لهذا التكريم الذي يعزز في نفوسهم عظمة المذهب وشموخه من خلال الاتصال بالعلماء الأعلام والمراجع الكرام، هذا وقد بدأ البرنامج بكلمة ترحيبية، بعدها تقدم أحد الفضلاء من أعضاء البعثة بكلمة موجزة والتي قدم في نهايتها سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظله) كلمته الوعظية هذه والتي تضمنت الكثير من العبر ذكّرت بالسفر الأبدي وغفلة معظم الناس عن الاستعداد له، وقد جسدت هذه المحاضرة مناسك الحج.. والعظة والعبرة المستوحاة منها عملياً.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢٥/١.

(٣) شجرة طوبى: ٢٩٢/٢.

ارتكاب المعاصي ـ والعياذ بالله تعالى ـ يتراكم على القلب فيسوّد ويقسو حتى يطبع عليه فيموت ولا تؤثر فيه الموعظة وأسباب الهداية.

ومن هنا جاء العتاب الرباني للذين لا يديمون إحياء قلوبهم بالموعظة، قال تعالى ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[١] ثم يضرب مثلاً لحياة القلوب قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢].

كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يأخذ من كلّ شيء موعظة حتى من الحركات الاعتيادية كدخول الحمام فقد روي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه إذا رأى المال الساخن قال: «نعم البيت الحمام: يزيل الدرن ويذكّر بالآخرة»، فإن ماءً سخّنه الإنسان ليغتسل به لا يطيق حرارته ما لم يعالجه بماء فاتر فكيف بالماء الحميم الذي يسقى به أهل النار فيقطّع أمعاءهم والعياذ بالله تعالى؟

وقد حفلت روايات أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بالكثير من المواعظ ومنها ما رووها عن الأنبياء والحكماء السابقين كعيسى روح الله ولقمان الحكيم، فاستفيدوا أيها الإخوة من الكتب التي جمعت هذه المواعظ كالبحار وتحف العقول وغيرهما واستمعوا إلى مواعظ الخطباء والفضلاء والمصلحين والتربويين، وقد تيسّرت اليوم كثيراً بفضل الله تعالى وتعرض قنواتنا الفضائية أنواعاً من الخطب والمجالس والأحاديث والكلمات.

والحج من أوله إلى آخره، حافل بالمواعظ ابتداءً من الاستعداد للسفر

(١) سورة الحديد، الآية: ١٦.
(٢) سورة الحديد، الآية: ١٧.

والتزوّد له الذي يذكّرك بسفر الآخرة الطويل المجهول الأبدي والتزود له بالتقوى والأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾[١].

ومصاعب السفر وغربته ووحشة الأهل والوطن والأحبة تذكّر بوحشة البرزخ وغربته. خرج الإمام الكاظم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في تشييع جنازة فلما وقف على شفير القبر قال: «إن شيئاً هذا أوله ـ وهي الآخرة ـ لحقيق أن يخاف من آخره، وإن شيئاً هذا آخره ـ وهي الدنيا ـ لحقيق أن يزهد في أوله».

وبِقُرَناء السفر الصالحين كانوا أو مزعجين تتذكر قرينك في القبر وهو عملك فإن كان صالحاً آنسك وأسعدك وإلّا كان بئس القرين الذي ينغّص ويكدّر ويؤلم.

وبلبس ثوبي الإحرام والتجرد عن كلّ متعلقاتك في الدنيا تتذكر أنك ستغادرها في يوم ما ملفوفاً بكفن كثوب الإحرام ولا تصحب منها شيئاً إلّا ما قدمت لآخرتك: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٢].

وهكذا تتوالى المواعظ التي يفهمها كلّ واحد بحسب مستواه، فإذا خرج إلى عرفات ـ وهي أرض تقع خارج الحرم ـ التفت إلى هذا الدرس وهو أن مقتضى استحقاق الناس بحسب سعيهم في الحياة الدنيا أن يخرجوا من حرم الله وجنانه وأن يحرموا رضوانه، ولكنهم بعد أن يجأروا إلى الله تبارك وتعالى بالدعاء ويلحّوا بطلب التوبة يوم عرفة يؤذن لهم بالعودة التدريجية إلى حرم الله، ولكن بعد أن يطهّروا أنفسهم بالدعاء وذكر الله تعالى في المزدلفة: ﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٠.

فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾[١]، ويستجمع العدة لمواجهة الشيطان ورد كيده ـ بجمع الحصى ـ ثم يتوجه إلى منى ليرمي الجمرات معبّراً عن رفضه لطاعة وعبادة كلّ ما سوى الله تبارك وتعالى: «لا إله إلّا الله»، وينحر أطماعه وشهواته وأهواءه المضلّة، ثم يحلق رأسه علامة على الاستعداد التام لنصرة الله تبارك وتعالى والتضحية في سبيله «حيث إن حلق الرأس كان دليلاً على بلوغ أعلى درجات التضحية وشدة الاستعداد للحرب» وحينئذٍ يؤذن له بالعودة إلى بيت الله الحرام الآمن لأداء بقية المناسك تعبيراً عن رضا الله تعالى عنه وقبوله إياه ودخوله في جنانه وتحت ظلّه.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٨.

# الاستعداد للوقوف بعرفة[١]

ورد في الحديث الشريف: «إن لربكم في دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لها». والمقصود هنا نفحات إلهية خاصة بالمتعرضين لها وليست تلك الألطاف الإلهية العامة لكلّ البشر حتى الملحدين والكافرين والعاصين والتي بها يُخلقون ويرزقون ويتنعمون.

والتعرّض لها يكون بالتعرّض لأسبابها وموجباتها، لأن النفحات نفسها من شأن الخالق ولا نعلمها نحن حتى نتعرّض لها، ومن أعظم تلك الموجبات وجودكم في هذه الأرض المقدسة المباركة: حرم الله الآمن الذي لم يؤذن لأحد بالدخول إليه إلّا بعد أن يحرم ويتجرد عن كلّ متعلقاته بالدنيا ويزور البيت الحرام ويطوف بالكعبة ويصلّي ويسعى وهذه خصوصية تتفرد بها هذه البقعة المباركة.

ووجودكم في هذا الزمن الشريف أيام الحج والعشرة الأولى من شهر ذي الحجة التي ورد فيها الدعاء: «اللّٰهُمَّ هذه الأيام التي فضلتها على الأيام وشرّفتها وقد بلغتنيها بمنّك ورحمتك» فبلوغ هذه الأيام وعدم كون الإنسان من السواد المخترم قبلها نعمة وفضل إلهي يستحق الشكر والثناء.

وقد اقتربتم من أعظم أسباب النفحات الإلهية وهو الوقوف في عرفة وما

(١) أقام سماحة الشيخ (دام ظله) صلاة الجمعة في مقر إقامته في مكة المكرمة يوم ٦/ذي الحجة/١٤٣١ المصادف ٢٠١٠/١١/١٢. وهذه هي الخطبة الثانية منها.

بعدها من المشاعر المقدسة فاغتنموا هذه الفرصة كسائر الفرص الممنوحة لكم كالتي ذكرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في وصيته لأبي ذر (رضوان الله تعالى عليه): «يا أبا ذر اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك». وأنتم ترون كيف يؤدي كبار السن والعجزة مناسكهم بصعوبة وينوب عنهم غيرهم في كثير منها مما يحرمهم من أجور أدائها فاغتنم شبابك وحيويتك وعافيتك للازدياد من الطاعات.

وبين أيديكم أيام هي من أيام الله تبارك وتعالى تفيض فيها خزائنه بالعطاء الذي لا حدود له فاستعدوا له وأول الاستعداد أن تتقنوا أحكام حجّكم ومناسككم وتتعلموا تفاصيلها لتؤدوها على أكمل وجه بإذن الله تعالى.

وضعوا لهذه الساعات المباركة برامج للعمل، فالوقوف بعرفة لا يزيد عن خمس أو ست ساعات (من الزوال إلى غروب شمس يوم التاسع) وهو وقت قصير بحساب الزمن لكنه ثقيل في حساب الأعمال فنظموا من الآن خطة العمل لاستثماره فإن الإنسان إذا لم يكن منظماً ومستعداً قد حضّر برنامجه فإنه سيعيش التشتت والإرباك والضيق وسوف لا يجد حلاً أمامه إلّا النوم وكفى به مضيعة لهذه الجوهرة الثمينة.

وقد حفلت كتب السنن والمستحبات بأعمال وأذكار وأدعية كثيرة فاختر منها ما يناسبك وما تنسجم معه ولا تكره نفسك على طاعة تتضايق منها وتعاونوا فيما بينكم فقد تأنس باستماع الدعاء أو تلاوة القرآن أكثر مما تقرؤه فالأصلح حينئذٍ أن يقوم أحدكم بقراءته وهكذا.

ويوم عرفة يوم دعاء وتوبة وقد ضمن الله تبارك وتعالى الاستجابة لعباده. ففي رواية معتبرة عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «ما وقف أحدٌ في تلك الجبال إلّا استجيب له، فأما المؤمنون فيُستجاب لهم في آخرتهم، وأما الكفار فيستجاب

لهم في دنياهم» واستجابة الدعاء للكفار في دنياهم باعتبار أنهم يطلبون ذلك لقصور هممهم فإن الله تعالى لا بخل في ساحته وهو أرحم الراحمين.

ولا تقتصروا بالدعاء لأنفسكم ما دامت دعواتكم مستجابة فعمّموا لكلّ من أوصاكم بالدعاء ومن لم يوصكم ممن لهم حق عليكم، أو له مظلمة عليكم في نفسه أو في عرضه أو في ماله أو جرحتموه بكلمة أو منعتموه من حقه أو أسأتم: إليه أو انتقصتم منه أو قصّرتم في حقه خصوصاً الوالدين والأرحام والجيران فإنكم تعجزون عن ردّ المظالم لهم ويكون الجزاء يوم القيامة بأن يؤخذ من حسنات الظالم وتُعطى للمظلوم حتى تنفد، وحينئذٍ يؤخذ من سيئات المظلوم فتضاف إلى أوزار الظالم. لكنكم بدعائكم له يتوسط الله تبارك وتعالى بإرضاء المظلوم عن الظالم من دون أن ينقص منه شيئاً ليدخلوا متحابين إلى الجنة، قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾[1].

وفي رواية صحيحة عن أبي حمزة الثمالي راوي الدعاء المشهور عن الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أنه لما وقف بعرفة وهمّت الشمس أن تغيب» وهو وقت الانتهاء من الجهد والعمل وترقب النتائج وجني الثمار الطيبة: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يا بلال: قل للناس فلينصتوا، فلما أنصتوا قال: إن ربكم تطوّل عليكم في هذا اليوم وغفر لمحسنكم وشفّع محسنكم في مسيئكم فأفيضوا مغفوراً لكم».

قال الراوي: وزاد غير الثمالي أنه قال: «إلّا أهل التبعات فإن الله عدل يأخذ للضعيف من القوي» وهذا بحسب عدل الله تبارك وتعالى فإن ظلم العباد للعباد ذنب لا يتركه الله تعالى حتى ينتصف المظلوم من الظالم. ولكن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مظهر الرحمة الإلهية في الخلق وصاحب القلب الرؤوف

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٧.

راجع ربّه في أن لا يستثني أحداً وأن يرضي المظلوم بما شاء من دون أن يعاقب الظالم المؤمن الذي لبى دعوة ربّه ووقف بين هذه الجبال. تقول الرواية: «فلما كان ليلة جمع ـ وهي ليلة العاشر التي يقف فيها الحجاج على أرض مزدلفة ـ لم يزل يناجي ربّه ويسأله لأهل التبعات، فلما وقف بجمع قال لبلال: قل للناس فلينصتوا، فلما أنصتوا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إن ربكم تطوّل عليكم في هذا اليوم فغفر لمحسنكم، وشفع محسنكم في مسيئكم فأفيضوا مغفوراً لكم، وضمن لأهل التبعات من عنده الرضا».

وأكثروا من الدعاء لمولانا صاحب العصر والزمان فإنه أولى من أنفسنا وهو حجة الله على خلقه وبه قوام الوجود فاسألوا الله تعالى له الحفظ والتمكين والنصرة وتعجيل الفرج.

**أيها الأحبة:**

هذا هو النعيم الذي ينتظركم بعد أيام وهذه الحياة الطيبة التي دُعيتم إليها، وهذه هي التجارة التي لن تبور. في الكافي والفقيه بسندهما عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: الحج والعمرة سوقان من أسواق الآخرة، العامل بهما في جوار الله، إن أدرك ما يأمل غفر الله له، وإن قصر به أجله وقع أجره على الله عزَّ وجلّ. وفي رواية معتبرة عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: أنه «سأله رجلٌ في المسجد الحرام من أعظم الناس وزراً؟ فقال: من يقف بهذين الموقفين عرفة والمزدلفة، وسعى بين هذين الجبلين ثم طاف بهذا البيت وصلى خلف مقام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم قال في نفسه وظنّ أن الله لم يغفر له فهو من أعظم الناس وزراً». وغيرها من الأحاديث التي لا يسعنا ذكرها.

# رمي الجمرات:
# شعار لرفض كلّ الآلهة من دون الله تعالى

من مناسك الحج رمي الجمرات الثلاث في منى بالحصى، وقد ورد في الروايات عن أصلها بأن خليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما أخذ ولده إسماعيل لذبحه امتثالاً لأمر الله تبارك وتعالى اعترضه إبليس في الموضع الأول ليردّه ويخذله ويحرّك عواطفه حتى يتراجع عن تنفيذ ما أمر الله تعالى فرماه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالحصى فانهزم اللعين، ثم تمثّل له مرة أخرى في الموضع الثاني والثالث وكان رد إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الحازم هو هو فتحوّل إلى منسك يؤديه الموحّدون لرمي الشياطين.

وقد يُثار هنا إشكال حاصله أن رمي الجمرات في الإسلام تعبير عن نبذ أصنام الجاهلية ورفض عبادتها، وقد كان هذا العمل مبرراً وله وجه في صدر الإسلام حيث كانوا حديثي عهد بالجاهلية فأراد لهم الشارع المقدس قلع عبادة الأصنام بالكلية من داخل نفوسهم وترسيخ رفضها، أما اليوم حيث لم تعد توجد أصنام تُعبد من دون الله تعالى فلا يبقى معنى لأداء هذا المنسك. وأجوبة هذا الإشكال عديدة نريد أن نجعل واحداً منها محور خطبتنا:

وهو أن الأصنام والآلهة التي تُعبد من دون الله تعالى عديدة ومتنوعة وباقية ما بقي البشر إلّا أن يملأ الله تبارك وتعالى الأرض قسطاً وعدلاً ويبسط كلمة التوحيد على أرجاء الأرض، ولئن زال أحد أشكالها وهي الأصنام والأوثان التي تُصنع من الحجر والخشب وربما التمر ثم تعبد من دون الله وتُقدّس وتقدّم لها النذور والقرابين، فإن أشكالاً أخرى من الأصنام تُعبد وتُقدّس وهي أشد وطأً على

الإنسان وأكثر إذلالاً للبشرية وتكلّف الناس أضعاف ما كانت تكلّفهم تلك الأصنام، وأولها هوى النفس وشهواتها وأطماعها وغرائزها التي يطيعها الإنسان ويسعى لتنفيذ إرادتها ويخضع لسلطتها وإن كان في ذلك معصية الله تبارك وتعالى، فأصبح الهوى إلهاً يُعبد من دون الله تعالى لأن معنى العبادة هي الطاعة والانقياد والاستسلام بحيث ورد في الحديث الشريف: «من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان ينطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان ينطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان»، وقد سمّى الله تبارك وتعالى الهوى إلهاً في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ...﴾[1]، كم من تاجر تعرض له معاملة مشبوهة ينهى عنها الشرع المقدس لكن ربحها يسيل لعابه ويثير طمعه فيرتكبها؟ وكم من امرأة تعلم أن السفور حرام وأن إبداء مفاتنها أمام الرجل الأجنبي معصية فتفعله إرضاءً لغرائزها؟ وكم من شاب يعلم أن الصلاة واجبة عليه وأنها عمود الدين وهوية المسلم لكنه يتركها كسلاً وحباً للراحة والدعة؟ أليس كلّ هؤلاء وأمثالهم قد نصبوا من أهوائهم وأنفسهم الأمّارة بالسوء أصناماً وآلهة يعبدونها ويطيعونها من دون الله تبارك وتعالى؟.

وثاني الآلهة التشريعات التي تُسنُّها عقول الناس القاصرة وبحسب ما يقدرونها من مصالح بنظرهم الضيّق ويتعبدون بها ويلتزمون بها ويعاقبون على مخالفتها من دون الرجوع إلى شريعة الله تبارك وتعالى تحت عناوين مختلفة كالديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان وحاكمية الشعب والقوانين والدساتير الوضعية وغيرها، وهذا الوضع قائم حتى في الدول التي تصف نفسها بأنها إسلامية، وقد ذكر الله تبارك وتعالى هذه الآلهة وهذه الأرباب في قوله تعالى:

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[1]. وورد في تفسيرها عن الإمام الصادق عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قوله: «أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم ما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون» فانطبق عليهم اتخاذهم أرباباً من دون الله تعالى لأنهم شرّعوا لهم من أنفسهم قوانينَ تحكمهم من دون الرجوع إلى الشريعة الإلهية.

وهذه الرواية تنطبق على كثيرٍ مما يجري في مجتمعاتنا كبعض القوانين التي يسنّها البرلمان، والسنن العشائرية التي يضعها ناس جاهلون بأحكام الشريعة وتفاصيلها فتأتي مليئة بالمظالم والفساد والانحراف.

ومن الآلهة الأخرى الأعراف والتقاليد الاجتماعية التي يضعها الناس ثم يعطونها قداسة وأهمية بحيث لا يستطيع الفرد الخروج عنها خشية العار والفضيحة والضغط الاجتماعي ونحوها.

فبعض السادة التزموا بعدم تزوج بناتهم العلويات إلّا من سادة ولو أدى ذلك إلى عنوستهن وحرمانهن من هذا الحق المقدس رغم إقدام الشباب الأكفاء على خطبتهن، أو إلزامهن التزويج من ابن العم فلو نهى عليها ابن عمها فلا يحق لأي أحدٍ خطبتها ولو أعرض عنها ابن العم ولم يتزوجها.

أو المغالاة في المهور الذي حرم الكثير من الشباب عن التفكير في الزواج لعدم قدرته على هذه التكاليف الباهظة، وكلّ هذه الأعراف والتقاليد مخالفة للشريعة ولوصايا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذي روي عنه: «إن جاءكم من

(١) سورة التوبة، الآية: ٣١.

ترضون دينه وعقله فزوّجوه، إلّا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفسادٌ كبير» وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني» ومثلهم بعض النساء اللواتي يلزمن أزواجهن بتوفير احتياجات باهظة كلبس بدلة جديدة في كلّ مناسبة أو تغيير أثاث بيت في كلّ سنة أو موسم مما يكلف الزوج كثيراً وقد يضطر إلى الإغماض عن مصدر الأموال الواردة إليه ليلبي رغبة امرأته، فهؤلاء يعبدون هذه الأعراف والتقاليد ويقدّسونها من دون الله تعالى.

ومن تلك الآلهة الحكام والطواغيت الذين يريدون من شعوبهم الاستسلام لهم وتنفيذ أطماعهم ونزواتهم والتضحية من أجل إدامة حكمهم وتقديم الشعب كلّه قرابين لهم، وهكذا سائر النظم الاقتصادية والسياسية والقوانين الوضعية المتبعة في المحاكم والكيانات المتنفذة كالمصارف وغيرها مما صنعه البشر من دون الرجوع إلى حكم الله تعالى: ﴿ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ﴾[1].

هذه نماذج من الآلهة التي تُعبد وتُطاع من دون الله تعالى ومن الأصنام التي لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً ولكنها تُقدَّس وتُتخذ أرباباً للبشر الذين يصنعونها بأيديهم ويعلمون أنها زائفة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾[2]، يَسخر الناس اليوم من عقول أسلافهم في الجاهلية ويسخفونهم حيث اتخذوا آلهة من أصنام يصنعونها بأيديهم وها هم اليوم يفعلون فعلتهم وينقادون لأصنام وآلهة من صنعهم وإن كان من نوعٍ آخر.

(١) سورة يونس، الآية: ٥٩.
(٢) سورة الحج، الآية: ٧٣.

هذه الحقيقة التي يدمغ اللهُ تبارك وتعالى بها الناس في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[١].

نُقل عن الواعظ الشهير الشيخ جعفر الشوشتري (توفي عام ١٣٠٣ هجرية) صاحب كتاب الخصائص الحُسينية وقد كان له منبر وعظ في الصحن الحيدري الشريف يحضره المجتهدون والعلماء والفضلاء وعامة الناس، نُقل عنه أنه قال يوماً: أيها الناس إن مئة وأربعة وعشرين ألف نبي بعثهم الله تعالى كلهم يقولون للناس: «كونوا موحدين وأنا أقول كونوا مشركين»، فتعجب الناس من كلامه ولم يفهموا مرامه فأمهلهم حتى قال لهم: «إنكم أصبحتم كلكم للدنيا وأنا أدعوكم إلى أن تجعلوا للّه نصيباً من حياتكم فأشركوه في أعمالكم».

وستجدون في دعاء الإمام الحسين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يوم عرفة: «إلهي عميت عينٌ لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً» وهذه هي الخسارة الحقيقية أن لا يخلص الإنسان عمله للّه تبارك وتعالى ويوحّد هدفه في هذه الحياة ليجعله رضا الله تبارك وتعالى، ولا يُثبت على الصراط المستقيم ويتيه يمنة ويسرة بين هذه الآلهة والأرباب المصطنعة.

إن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بُعث ليحرّر الإنسان من هذه التبعية المقيتة التي تُكبّله بقيود وأغلال وآصار تعيقه عن التكامل ونيل رضوان الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[١]، فلا يحق للإنسان الحرّ أن يُعيد إلى عنقه تلك الأغلال ويحيط نفسه بتلك القيود.

وهذه بعض معاني رمي الجمرات أن نرفض كلّ الآلهة التي تُعبد وتُطاع والأرباب التي تتخذ من دون الله تبارك وتعالى.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

# أسبوع أمير المؤمنين عليه السلام ومعركة التأويل[١]

هذا الأسبوع الذي يبتدىء من عيد الغدير هو أسبوع أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بامتياز ـ كما يقال ـ لكثرة ما حباه الله تبارك وتعالى من مناقب في هذا الأسبوع، ففي الثامن عشر كان حفل تنصيبه خليفة لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإماماً وهادياً للأمة بعده وأولى بالناس من أنفسهم وأمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ المسلمين ببيعته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على ذلك، وهو عيد إكمال الدين وإتمام النعمة.

وفي الرابع والعشرين كانت مباهلة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نصارى نجران بنفسه الشريفة وبأمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وبفاطمة الزهراء والحسن والحسين عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ ونزول آية المباهلة في حقهم.

وفيه أيضاً أدخلهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تحت كسائه ونزل جبرئيل بآية التطهير.

وفيه تصدّق أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بخاتمه للسائل أثناء الركوع فنزلت آية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾[٢].

وفي الخامس والعشرين نزل في حقهم عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ سورة هل أتى لما تصدقوا بإفطارهم على المسكين واليتيم والأسير.

---

(١) الخطبة الموحّدة لصلاة الجمعة يوم ٢٤/ذ.ح/١٤٣٣ المصادف ٢٠١٢/١١/٩ وقد تحدّث بها سماحة الشيخ اليعقوبي من قناة النعيم الفضائية.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

وفي هذا الأسبوع بعد خمس وعشرين سنة بويع لأمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالخلافة بإجماع الأمة بعد حصار عثمان في الثامن عشر ومقتله[١].

وبذلك فقد شهد هذا الأسبوع البيعة الواقعية والظاهرية لأمير المؤمنين كي يتولى أمور الأمة.

ولما كان هذا الأسبوع لأمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فإنه يكون أسبوعاً لكلّ ما كان يتصف به أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من صفات الكمال، ولكلّ ما كان لعلي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من حقوق على الأمة، ولكلّ ما كان يمثّله أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من منازل ومواقع ومقامات، فهو أسبوع الولاية والإمامة والخلافة الإلهية والقيادة الربانية للأمة وللبشرية جمعاء.

لذا اقترحتُ في يومٍ ما قبل سنين أن يكون أسبوعاً للنزاهة وللعدالة وللمساواة ولإنصاف المظلومين ولاسترداد ما نهب من المال العام وللقضاء على الفساد المالي والإداري وخلع المتصدين للمواقع بغير حق وتعيين المؤهّلين فيها، لأن هذه المعاني كلّها وغيرها جسّدها أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عندما تولى الخلافة.

وهو أسبوع بيان عظمة أهل البيت عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، وعلوّ منزلتهم ومقامهم التي كشفت عنها السور والآيات الكريمة النازلة فيهم بسورة هل أتى، وآية التطهير، وآية الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾[٢]، وآية التبليغ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) من مصادر هذه الحوادث كتاب (وقائع الأيام للشيخ عباس القمي ص١٣٧ ـ ١٣٩).
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[١]، وآية إكمال الدين وإتمام النعمة: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[٢].

وهو أسبوع التصدّق على الفقراء والمساكين ومواساتهم وإشعارهم بكرامتهم إلى حدّ إيثارهم على النفس كما فعل أمير المؤمنين والزهراء والحسن والحسين (عليهم السلام جميعاً).

ومن أهم ما يميّز إمامته عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ جهاده وقتاله على التأويل كما قاتل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على التنزيل، أي أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قاتل العرب حتى يذعنوا للرسالة ويؤمنوا بأصل التوحيد والنبوة وعلى صدق ما جاء به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حتى دخلوا الإسلام طوعاً أو كرهاً.

أما بعد وفاته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقد بدأت معركة التأويل، وهي معركة ضد من أرادوا أن يحرّفوا الكلم من بعض مواضعه ويتكلموا في كتاب الله بغير سلطان أتاهم ويغيّروا السنن ويظهروا البدع، ويحرموا ما أحلّ الله ويحلّوا ما حرّم الله، ويبعدوا من قرّب الله ويقرّبوا من بعّد الله، ويولّوا أمور الأمة من يتّخذ مال الله دولاً وعباده خولاً ويحكم بغير ما أنزل الله تعالى وهم مع كلّ ذلك يدّعون الإسلام وينتسبون إليه.

وهذه المعركة كان يُشير إليها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في حياته ويعلن أن قائدها سيكون علي بن أبي طالب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وهو حديث رواه العامة والخاصة عن طريق جمع غفير من الصحابة، ففي مستدرك الصحيحين، روى الحاكم بطريقين عن أبي سعيد قال: «كنّا مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فانقطعت نعله، فتخلّف

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يخصفها فمشى قليلاً ثم قال: إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر، قال: أبو بكر: أنا هو؟ قال: لا، قال عمر: أنا هو؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل يعني علياً عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فأتيناه فبشرناه فلم يرفع به رأسه كأنه قد كان سمعه من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال الحاكم: هذا حديث صحّح على شرط الشيخين».[1]

وقد نظمها الصحابي الجليل عمار بن ياسر (رضوان الله تعالى عليه) في شعره الذي كان يرتجز به في معركة صفين التي استشهد فيها، فكان من رجزه:

**نحن ضربناكم على تنزيله  فاليوم نضربكم على تأويله**

هذا الاستحقاق لأمير المؤمنين أعطى تفسيراً للقول المشهور عنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «جمعت علوم القرآن في سورة الفاتحة: وجمعت علوم الفاتحة في البسملة، وجمعت علوم البسملة في الباء، وجمعت علوم الباء في النقطة وأنا تلك النقطة»، وحاصل التفسير أن الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تكون قابلة للتأويل والتحريف والتلاعب والتزوير وإفراغها من معانيها كما عبر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن القرآن بأنه: «حمّال ذو وجوه» إلّا أن يقوم العالم بالقرآن والعارف بأسراره ومعانيه بإيضاح الحقائق، ووضع النقاط على الحروف كما يقال... لأن الحروف تتشابه في الهيئات كالباء والتاء والثاء والياء والنون، وإنما يميز بينها وضع النقطة على الحرف، فكما أن وضع النقطة هو الذي يعطي للحرف معناه، كذلك أمير المؤمنين هو الذي يبيّن حقائق التنزيل ويضع الأمور في نصابها ويرجع كلّ شيء إلى حقيقته وهو معنى التأويل.

ولولا ذلك الدور الذي قام به أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لكانت تفاصيل العقائد

(١) مستدرك الصحيحين: ١٢٢/٣، كتاب معرفة الصحابة، مناقب علي بن أبي طالب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وراجع لمعرفة مصادر الحديث في صحاح العامة وكتبهم: فضائل الخمسة من الصحاح الستة: ٤٢٥/٢ ـ ٤٣١.

والأحكام مجملة ومبهمة مما يفسح المجال واسعاً لأن يقوم كلّ أحد بتأويلها حسب مشتهياته وأهوائه، وهذا حال من لم يرجع إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليعرف تأويل المتشابهات: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۖ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾[١].

إن معركة التأويل هي المعركة الأصعب التي تزلّ فيها الأقدام وتضلّ فيها العقول لأن الخصوم يلبسون الثوب نفسه أي ثوب الدين ويدّعون لأنفسهم الهالة نفسها من العناوين والألقاب المقدّسة، وكلٌّ يدّعي وصلاً بصاحب الرسالة والمشروع، ويضفي على حركته المشروعية ويستدل على أحقيته من المصادر نفسها، فهناك تختلط الأوراق وتعصف الفتن وتكثُر الشبهات.

وهذا الذي حصل بعد وفاة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مباشرة حينما انقلبوا على الأعقاب وكان أثمن قربان يقدَّم في تلك المعركة هي فاطمة الزهراء عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ، وعندما تولّى أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الخلافة فنكث البيعة قوم لهم عناوين كبيرة وقريبو الصلة برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثم قسط آخرون ومرق فريق ثالث ووقف على الحياد فريق رابع، لكن الصفوة الذين وعوا رسالة الإسلام واتبعوا تعاليم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حقيقة كانوا ثابتين على الحق ولهم رؤية واضحة كعمار بن ياسر الذي كان يقاتل في صفين ويقول: «والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنّهم على الباطل»[٢].

هذه المعركة التي مزقت بأحزانها وآلامها قلب أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وملأته قيحاً وجعلته يتمنى الموت ويجده حرياً وجديراً به.

إن معركة التأويل ليست مختصة بزمن أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بل هي

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.
(٢) الاستيعاب لابن عبد البر: ٤٢٣/٢ ترجمة عمار بن ياسر.

مفتوحة في كلّ زمان ومكان، روي عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يحمل هذا الدين في كلّ قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين كما ينفي الكير[١] خبث الحديد». [٢]

وليس هذا فحسب بل إنها تتعقد أكثر وتضيق حلقة البلاء وتشتد، فبعد أن كانت بين أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وأتباعهم من جهة وبين الحكام المنحرفين والسائرين في ركابهم وأتباعهم من العامة من جهة أخرى، تطوّرت لتكون داخل مدرسة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بين من واصلوا اتّباعَ الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الاثني عشر واحداً بعد واحد وهم الإمامية وبين من انشق عنهم ليؤسس فرقاً عديدة، ثم ضاق البلاء واشتدّ الامتحان أكثر في الدائرة الأخيرة بين مستحق نيابة المعصوم عَلَيْهِ السَّلَامُ وبين من يتقمصها ويدعيها بغير حق، وفي كلّ دائرة كان يفشل جمع كبير ويسقط في الامتحان وهذا مصداق حديث الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هيهات هيهات، لا يكون فرجنا حتى تغربلوا ثم تغربلوا ثم تغربلوا، يقولها ثلاثاً حتى يذهب الله تعالى الكدر ويبقي الصفو»[٣].

وحديث الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ لإبراهيم بن هلال: «أما والله يا أبا إسحاق، ما يكون ذلك ـ أي الفرج بظهور الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ حتّى تُميّزوا وتُمحَّصوا، وحتى لا يبقى منكم إلاّ الأقل»[٤].

وظاهر الرواية أن الخطاب موجّه فيها إلى الشيعة.

ولأهمية هذه المعركة وخطورة آثارها وتداعياتها على الدين وعلى المجتمع

(١) وهو الزقّ الذي ينفخ فيه الحداد.
(٢) سفينة البحار ١/٢٠٤.
(٣) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي (قدس سره): ٢٠٦.
(٤) كتاب الغيبة للنعماني: ٢٠٨، باب١٢، ح١٤.

فقد ورد التحذير الشديد من التقصير فيها، في كتاب المحاسن للبرقي بسنده عن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ «قال: قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن العالم الكاتم علمه يبعث أنتن أهل القيامة ريحاً تلعنه كلّ دابة حتى دواب الأرض الصغار»(١).

وفيه روي عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قوله: «إذا ظهرت البدعة في أمتي فليظهر العالم علمه فإن لم يفعل فعليه لعنة الله»(٢).

وفي التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إذا كتم العالم العلم أهله، وزهد الجاهل في تعلم ما لا بّد منه، وبخل الغني بمعروفه، وباع الفقير دينه بدنيا غيره جلّ البلاء وعظم العقاب» وهذا الحديث يلخّص لنا باختصار أسباب ما نحن فيه من البلاء والمحنة.

إن سلاح هذه المعركة هي المعرفة بالله تبارك وتعالى وطاعة رسوله الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وولاية أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ واتّباع المراجع العالمين المخلصين والتفقه في الدين والبصيرة في الأمور، والحكمة في التصرف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان الحقائق وتجلية المواقف، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، وإصلاح المناهج والسلوكيات المنحرفة.

فهي إذاً ليست وظيفة مراجع الدين والعلماء والحوزة العلمية فقط، وإنما يقع على كلّ فرد في المجتمع جزء من المسؤولية بحسب موقعه ومؤهلاته وما يتوفر لديه من أدوات المواجهة التي ذكرناها كما يظهر من رواية تفسير العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ المتقدّمة، فبعضهم بعلمه وآخر بماله وثالث بنفوذه ووجاهته،

(١) المحاسن: ٢٣١ باب ١٧ ح ١٧٦، ١٧٧.
(٢) المعتبر، المحقق الحلي، مقدمة الكتاب، وورد في الكافي، كتاب فضل العلم ج١ ص٧٠ مع تفاوت يسير.

والجميع مطالبون بمشاركتهم في كلّ عمل وحركة لله تعالى فيها رضا وللأمة فيها صلاح، والله ولي التوفيق.

## الفصل الثامن

# مواعظ وتوجيهات في السنة الميلادية

مواعظ وتوجيهات
سماحة المرجع الديني
الشيخ محمد اليعقوبي
(دام ظله الشريف)

mouraqabat - zakharef.indd 197 6/13/14 2:14 PM

# مواعظ في رأس السنة الميلادية[١]

يحتفل الإخوة المسيحيون وغيرهم في مثل هذه الأيام بعيد ميلاد السيد المسيح ورأس السنة الميلادية، ويعبّرون عن فرحهم باحتفالات صاخبة تتضمن الكثير من المعاصي والموبقات الكبيرة والأفعال الجنونية التي لا يجد لها العقلاء مبرراً، ولم يقف أحد وقفة تأمّل ليرى هل أن هذه المظاهر تعبير صحيح عن الفرح في هذه المناسبة؟ وما هي المشاعر الحقيقية التي يجب أن تغمرنا ونحن نعيش هذه الذكريات المرتبطة بواحدٍ من أعظم البشر على الإطلاق، النبي الكريم والرسول العظيم، وأحد أولي العزم الذين أمر الله تعالى نبيّه الكريم محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يتأسى بهم قال تعالى في حقه عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[٢].

## الأمور التي يجب الالتفات لها

يمكن تلخيصها إلى عدة نقاط:

### احذروا المعاصي

**النقطة الأولى**: إنّ إتيان المعاصي والمنكرات أمر مرفوض دائماً تعاقب

(١) من محاضرتين أُلقيتا بتاريخ ١ ـ ٢/ذي القعدة/١٤٢٣هـ ـ المصادف ٥ ـ ٦ / ١ / ٢٠٠٣م في مسجد الرأس الشريف على حشد كبير من طلبة العلوم الدينية.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

عليه الشرائع ويستهجنه العقلاء، فليس جزاء من أحسن إليك وأغدق عليك النِّعم حتى فاقت حدّ الإحصاء، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾[١]، ويكفي أن تتخيّل صعوبة فقدان نعمة واحدة[٢] من التي حباك الله بها لتحس بعظمتها.

أقول: فليس جزاؤه أن تعصيه وبنفس النِّعم التي منّ بها عليك، قال تعالى مؤنّباً ومعاتباً: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٣]، فالمرجو من الإنسان العاقل أن يشكر الله على نعمته بطاعته ومحبته، والعمل بما يرضيه وتجنّب ما يسخطه، وأولها ديمومة النِّعم وزيادتها: «بالشكر تدوم النِّعم»، وقال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾[٤]، ويوم رأس السنة من مواطن الشكر حيث أطال الله عمر هذا (المحتفل) وأبقاه إلى سنة جديدة ليعطيه فرصة إضافية للتوبة والعودة للطاعة، وزيادة القرب من الله تعالى، ولم يكن ممن اختطفهم الأجل خلال العام المنقضي وانسدّ عليهم هذا الباب، ففي الحديث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «من مات فقد قامت قيامته»[٥]؛ لأنّ فرصته للعمل وكسب الحسنات قد انتهت وختم على كتابه قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[٦]، فهل يكون الجزاء العصيان والتمرد؟ وإلى أمثال هؤلاء يشير القرآن الكريم: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ

(١) سورة النحل، الآية: ١٨.
(٢) كنعمة الصحة والأمان.
(٣) سورة الرحمن، الآيتان: ٦٠-٦١.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٧.
(٥) البحار: ج٥٨ ص٧.
(٦) سورة الجاثية، الآية: ٢٩.

ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴾[1].

والمعاصي التي تُرتكب في ليلة رأس السنة تفوق كلّ الليالي والأيام ويُعدّ لها منذ مدة إعداداً شيطانياً محكماً لا يُبقي للعقل أي وجود، ويبقى الإنسان المخدوع أسير شهوته وأهوائه لا يستطيع النجاة من فخوخ شياطين الإنس والجن.

**كيف يجب أن تكون مشاعرنا؟**

إنّ مشاعرنا ونحن نستقبل سنة جديدة يجب أن تكون مزيجاً من اتجاهين:

**الأول: توجّس وقلق من حساب الله تعالى** على ما صدر منّا من أعمال خلال العام الماضي، وقد ذهبت لذّته، وبقيت تبعته وعقابه، وقد نسيه العبد لغفلته، ولكن الله أحصاه وأحاط به، ولن يغفل عنه ويأتي اليوم الذي يحاسبه فيه على كلّ ما قدم.

**الثاني: التفاؤل والأمل وحسن الظن بالله تعالى** أن يلطف بنا ويوفقنا ويأخذ بأيدينا في العام الجديد ليجعله خيراً من العام الماضي، فيجنّبنا فيه المعاصي ويزيدنا من الطاعات قدر الإمكان انطلاقاً من الحديث الشريف عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «من اعتدل يوماه فهو مغبون ومن كان غده شراً من يومه فهو ملعون»[2].

فإن كلّ سنة تمثّل سجلاً وكتاباً يضم صحائف أعماله، وفي مثل ليلة رأس السنة يُطوى سجل ويُفتح سجل، يُطوى سجل العام الماضي ويختم عليه بما فيه ـ وما أدراك ما فيه ـ ليعرض يوم النشور ويُحاسب على كلّ صغيرة وكبيرة، قال

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٨-٢٩.
(٢) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام): ص٣٤٩.

تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾[1]، ويفتح سجل للعام اللاحق بصحائف بيضاء؛ فبماذا سيملؤها هذا الإنسان المسكين؟ هل سيعود إلى حياته السابقة نفسها أم أنه يثوب إلى رشده ويأخذ العبرة من الماضي؟

## العمر رأس مال الإنسان

بالالتفات إلى أن زيادة كلّ ثانية ودقيقة إلى عمره يعني إعطاء فرصة إضافية للطاعة، فإن العمر رأس مال الإنسان يستطيع أن يستثمره في الطاعة، فيكسب رضا الله تبارك وتعالى والمنازل الرفيعة في الجنان، وصحبة خير خلق الله أو يقضيها بالمعاصي فيجرّ إلى نفسه عذاب الجحيم، وهذه الفرصة الإضافية التي تعطى للإنسان كالطالب الذي يُعطى حظاً ثانياً في امتحانات الدور الثاني لعلّه ينجح[2]، فهل يُعقل منه أن يعود إلى نفس التقصير والإهمال وهو يعلم الكارثة التي تترتب على السقوط والفشل؟!

## موعظة قرآنية

وأرى من المناسب أن أعظ نفسي وأعظكم بنقل هذا المشهد من مشاهد يوم القيامة كما يعرضه القرآن الكريم، وهو عبارة عن محكمة إلهية يقف فيها المذنب ـ وهم هؤلاء الذين قضوا حياتهم بالمعاصي والموبقات ـ وأمامه الشهود وهم أعضاؤه نفسها التي مارس بها تلك المعاصي لكي لا يستكبر وينكر، ثمّ يُصدر

(١) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

(٢) أليس هذا فضلًا من إدارة المدرسة ولطفاً منها لتستطيع أن تعوض ما ضيعته في الدور الأول، وهكذا نحن إذا لم نستطع أن نحصل على درجات رفيعة سنة ٢٠٠٢م، فلنسعَ للحصول عليها سنة ٢٠٠٣م.

عليه الحكم العادل الذي جناه هو على نفسه، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۞ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۞ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ۞ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۞ فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ ۞ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴾[1].

هذه هي المشاعر التي يجب أن نحياها في ليلة رأس السنة، لا ما يفعله هؤلاء الغافلون السادرون في أودية الغيّ تسوقهم شياطين الإنس والجن أنّى يشاؤون، فيهدوهم إلى عذاب السعير.

## المطلوب محاسبة النفس كلّ ليلة

وفي الحقيقة فإن المطلوب أن نحاسب أنفسنا في كلّ ليلة[2]؛ حيث نختلي بأنفسنا مع خالقنا ونستعيد ما صدر منا خلال اليوم، فما كان من حسنة استزدنا الله منها وسألناه القبول ومضاعفة الأجر، وما كان من سيئة استغفرناه منها وعاهدناه تبارك وتعالى على عدم العود، وإذا تعلق بمظالم العباد استعنّاه على ردّ الظلامات إلى أهلها، وما كان من تقصير في عمل صالح سألناه المعونة والتوفيق

(١) سورة فصلت، الآيات: ٢٠-٢٥.

(٢) وذلك لأن الإنسان معرض للنسيان فإذا ما أهمل محاسبة نفسه فستفوته فرصة قد تنجيه من عذاب أليم ولهذا حرص أهل البيت عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ على أن يربوا أصحابهم على محاسبة النفس كلّ يوم.

والتسديد، فلقد جاء عن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم، فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه»(١)، وأيضاً من وصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه قال: «يا أبا ذر، حاسب نفسك قبل أن تحاسب؛ فإنه أهون لحسابك غداً، وزن نفسك قبل أن توزن، وتجهّز للعرض الأكبر يوم تعرض لا تخفى على الله خافية ـ إلى أن قال ـ يا أبا ذر، لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشدّ من محاسبة الشريك شريكه؛ فيعلم من أين مطعمه ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه؟ أمن حلالٍ أو من حرام؟ يا أبا ذر، من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار»(٢)، وعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ عن آبائه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قال: «ما من يوم يأتي على ابن آدم إلّا قال له ذلك اليوم: يا بن آدم، أنا يوم جديد، وأنا عليك شهيد، فافعل فيَّ خيراً واعمل فيَّ خيراً أشهد لك يوم القيامة فإنك لن تراني بعدها أبداً»(٣)، وهذه المحاسبة تكون في نهاية السنة أشمل وأوسع كما يفعل الإعلاميون حين يصدرون ملفاً بأهم الأحداث السياسية أو الرياضية أو الاجتماعية التي شهدها العام المنقضي، وعلى كلّ واحد منّا أن يُراجع ملف أعماله في نهاية العام.

### الموعظة ليست للمسلمين فقط

وهذه الموعظة لا أوجهها للمسلمين فقط، بل للإخوة المسيحيين، بل وحتى غيرهم، فقد أدّبنا الله تعالى ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أن نضمر الخير والرحمة ونسعى لتحقيقه لجميع البشر، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ

(١) بحار الأنوار: ٦٨ / ٢٥٩، ح٣.
(٢) وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب ٩٦، ح٧.
(٣) بحار الأنوار: ٧ / ٣٢٥، ٢٠.

إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[١]، فبركته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لجميع الإنسانية، وقال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يوصي مالكاً الأشتر بجميع رعيته حينما ولاّه مصر: «فالناس صنفان: إمّا أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق»[٢] لأنّ البشر جميعاً سيقومون للحساب يوم القيامة، ويُسألون عن أعمالهم، فلقد جاء في الذكر الحكيم: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾[٣]، فنحن نريد لهم النجاة، وقال تعالى: ﴿ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[٤] فقد غرّر بهم الكثير من أحبارهم ورهبانهم، وزيّنوا لهم المعاصي، وأحلوا لهم الحرام وحرّموا الحلال، وبدّلوا شريعة الله، ثمّ أوهموهم بعقائد فاسدة كفداء السيد المسيح، وصكوك الغفران التي جرأتهم على العصيان، وقد حذّرهم الله تعالى من هذه الطاعة للذين اتخذوا الدين وسيلة لنيل الدنيا التافهة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[٥]، وطاعة مثل هؤلاء شرك بالله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[٦].

وقد فسّرها الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله: «أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم ما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم[٧] من حيث لا يشعرون»[٨].

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.
(٢) نهج البلاغة: ج٣ ص٨٤، من عهده عَلَيْهِ السَّلَامُ لمالك الأشتر.
(٣) سورة مريم، الآيتان: ٧١ - ٧٢.
(٤) سورة النساء، الآية: ٦٠.
(٥) سورة التوبة، الآية: ٣٤.
(٦) سورة التوبة، الآية: ٣١.
(٧) والعبادة هي الطاعة والاتباع وقد تبعوا الرهبان ولم يتبعوا الله تعالى.
(٨) الميزان في تفسير القرآن: ٩ / ٢٥٤، عن الكافي.

وأعتقد أنّ كلّ مسيحي نقي القلب والسريرة يعرف بوضوح أنّ الكثير مما غضّ عنه رجال دينهم أنظارهم هي معاصي للّه تبارك وتعالى، ويتساءل سيدنا الأستاذ (قدس سره) في بعض خطبه: هل كان السيد المسيح يشرب الخمر، أو يزني، أو يستبيح دماء البشر من أجل المصالح الشخصية وحب الأنا؟ أم هل كانت مريم العذراء ترتمي في أحضان الرجال وتمشي وسطهم خليعة متبرجة؟ فالمسيحي الصادق يقتدي بهؤلاء الأنقياء العظماء، ولا يجد دستوراً كاملاً للصفات الكريمة التي تلحق بهم إلّا في الإسلام إذا أراد لنفسه النجاة.

# الاحتفال برأس السنة لمن استثمر وقته خلالها[١]

## لنستحضر الموعظة في كلّ الأوقات

من كلمات الإمام الحسن السبط المجتبى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد مرّ في يوم فطر بقومٍ يلعبون ويضحكون، فوقف على رؤوسهم فقال: «إنّ الله جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه فيستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته فسبق قوم ففازوا وقصّر آخرون فخابوا، فالعجب كلّ العجب من ضاحك لاعبٍ في اليوم الذي يُثابُ فيه المحسنون ويخسرُ فيه المبطلون، وايم الله لو كشف الغطاء لعلموا أنّ المحسن مشغولٌ بإحسانه والمسيء مشغولٌ بإساءته»[٢] ثمّ مضى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

علينا أن نستحضر هذه الموعظة في كلّ لحظات حياتنا، لأنّها كلّها مضمار للتنافس واستباق الخيرات لنيل أفضل الدرجات عند الله تعالى وها نحن اليوم في نهاية سنة ميلادية ٢٠١١ ـ وفق حساباتهم ـ وعلى أبواب سنة جديدة ٢٠١٢ بإذن الله تعالى وقد كانت السنة المنقضية مضماراً تسابق فيه الخلق، فالعجب كلّ العجب مما يشهده العالم من شرقه إلى غربه من احتفالات صاخبة بمناسبة يسمونها رأس السنة الميلادية، وتهدر فيها المليارات من الدولارات، وتُعطّل فيها الأعمال عدة أيام في بعض الدول، وهذه خسائر إضافية، وتعرض الفعاليات المنوّعة كالألعاب

(١) من حديث سماحة الشيخ (دام ظله) مع طلبة جامعة الصدر الدينية فرع الكرخ الثانية في بغداد/ حي المعارف يوم الثلاثاء ٢/صفر/١٤٣٣ الموافق ٢٠١١/١٢/٢٧ ومع فرع كربلاء وحشد من أبنائها يوم الأحد ٧/صفر/١٤٣٣ الموافق ٢٠١٢/١/١.

(٢) البحار: ج٧٥ ص١١٠.

النارية والرقص والغناء والحفلات الماجنة، ويشارك فيها المسلمون أيضاً من دون مراعاة لأخلاقهم وتعاليم دينهم ووصايا أئمتهم، وفي مثل هذه السنة ٢٠١٢ سيكون أولها يوم استشهاد الإمام الحسن السبط المجتبى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقد توسّع الاحتفال ليشمل كلّ شخص بعيد ميلاده السنوي.

## الفرح المذموم

وبغضّ النظر عن الأخطاء المتعددة في التاريخ الميلادي الذي بيّناه في بعض محاضراتنا السابقة من حيث السنة والشهر واليوم، فإننا نريد أن نتساءل عن معنى هذا الاحتفالات والفرح والسرور، وهل لها واقعية أم لا؟

إذ إننا نجد أن الأحرى بهم أن يحزنوا ويندموا ويتأسفوا لأن سنة مرّت عليهم ونقصت من أعمارهم، مما يعني أنهم اقتربوا من آجالهم من دون أن يستعدوا لها، بل عملوا على عكس ما يراد منهم وضيّعوا هذا الرصيد الذي تُشترى به الجنة ورضا الله تبارك وتعالى، واشتروا به سخط الله تعالى والنيران إلّا من شملهُ الله تعالى بلطفه ورعايته الخاصة، فكانت الحياة لمثله زيادة له في كلّ خير كما في أدعية الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومع ذلك فإنه عَلَيْهِ السَّلَامُ يقف بين يدي ربّه ذليلاً متواضعاً ويقول: «ويلي كلما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب، أما آن لي أن أستحيي من ربي»[1].

## إنما أنت عدد أيام

إن الإنسان عبارة عن رصيد من السنين والأيام يقدرها الله تبارك وتعالى فكلما انقضى يوم أو مرّت سنة فانه يعني أنه فقد جزءاً منه حتى ينتهي بالموت

(١) الصحيفة السجادية: ص١٧٧.

ويصبح بلا قيمة إلّا بمقدار ما قدّم لآخرته، مثل رصيد الهواتف المحمولة الذي يساوي عدداً من الدقائق فكلّ دقيقة من الاتصال تعني ذهاب جزء منه، قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «إنما أنت عدد أيام فكل يوم يمضي عليك يمضي ببعضك فخفّض في الطلب واجمل في المكسب». وفي غرر الحكم لأمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «العمر أنفاس معددة»[١] وعنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «نفس المرء خطاه إلى قبره»[٢].

## اهتمام الشارع المقدس بالوقت

وقد تحدثنا في كلمة سابقة عن أهمية الوقت وضرورة إشغاله بما يحقّق رضا الله تبارك وتعالى ويقرّبنا منه لأنه هو الثمن الوحيد الذي يستحق صرف العمر فيه.

وقد اهتمّ الشارع المقدس بالوقت وربط به أغلب فعالياته ليكون الإنسان ملتفتاً إليه ومراقباً له حتى لا يضيع منه، فالصلاة التي هي عمود الدين لها أوقات خمسة محددة يومياً يجب مراعاتها وفي ذلك قول الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «امتحنوا شيعتنا... عند مواقيت الصلاة»[٣] أي ليس المطلوب منه المحافظة على أصل الصلاة فقط بل على أوقاتها الخمسة، وهكذا بقية الطاعات فالصوم مرتبط بشهر رمضان في عدد أيامه وبالفجر والغروب يومياً، والحج مرتبط بأشهر الحج وأيامه، والخمس والزكاة مرتبطان بالحول، وهناك الشعائر الدينية والمناسبات والأدعية والزيارات المرتبطة بالأوقات، حتى جعل لكلّ يوم من أيام الأسبوع دعاء وكلّ يوم من أيام الشهر دعاء بل لكلّ ساعة من ساعات الليل والنهار دعاء، وكانت بعض

(١) ميزان الحكمة: ج٣ ص٢١١٢.
(٢) نهج البلاغة: الحكمة: ٧٤.
(٣) الخصال: ص١٠٣.

الأوقات تعرف ببعض الأوراد المقرّرة لها، كالذي نقل عن بني الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ في سجن المنصور العباسي أنهم كانوا يعرفون أوقات الصلاة بأوراد مرتبة لعلي بن الحسن المثلث حفيد الإمام السبط عَلَيْهِ السَّلَامُ.

## الوصية بالاهتمام بالوقت

وللقيمة الكبرى للوقت فقد وردت الوصايا باغتنامه واستثماره، كما في وصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا أبا ذر: اغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك»[١] وفيها: «يا أبا ذر نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»[٢].

## إنما أنت ابن ساعتك

قد يتصوّر الإنسان صعوبة الاستمرار على الطاعة وأن ادامتها شاقة لا تُطاق وهذا نابع من غفلته، ويهوّل الشيطان له هذا الأمر، أما الواقع فهو خلاف ذلك لأنه لا يعيش عمره كلّه في هذه اللحظة حتى يستحضر كلّ الصعوبات فيها، بل هو يعيش لحظته وهي مما لا يعسر تحمّل العمل فيها، أما الزمان السابق فقد مرّ وانتهى، والزمن اللاحق لم يأت بعد فلماذا يحمل همَّه؟ وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن عمرك وقتك الذي أنت فيه»[٣] وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «المرء ابن ساعته»[٤]. وعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إنما الدنيا ثلاثة أيام يوم مضى بما فيه

(١) جامع أحاديث الشيعة: ج١ ص٤٢٣.
(٢) السابق: ج١٤ ص٣١٦.
(٣) ميزان الحكمة: ج٣ ص٢١١٢.
(٤) عيون الحكم والمواعظ: ص٥٠.

فليس بعائد، ويوم أنت فيه يحق عليك اغتنام، ويوم لا تدري من أهله ولعلك راحل فيه، واما أمس فحكيم مؤدب وأما اليوم فصديق مودع واما غداً فإنما في يديك منه الأمل... وإياك والاغترار بالأمل ولا يدخل عليك اليوم هم غد... أو لا ترى أن الدنيا ساعة بين ساعتين ساعة مضت وساعة بقيت وساعة أنت فيها»[١]. وفي الحديث الشريف: «الطاعة صبر ساعة».

## مضيعات العمر

ولأن الله تعالى يعلم أن الإنسان تعتريه الغفلة والنسيان والكسل مما يضيع عليه كثيراً من رأسماله الثمين وهو عمره ووقته، مضافاً إلى النوم الذي هو ضروري للبدن لكن كثرته مذمومة وهو من أوسع أسباب تضييع العمر فإنه يستغرق ثلث العمر أو أكثر أي عشرين سنة ممن عمره ستون سنة، لذا ورد عن الإمام الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن الله عز وجل يبغض العبد النوّام الفارغ»[٢] وفي غرر الحكم لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أربعٌ القليل منها كثير: النار والنوم والمرض والعداوة»[٣] وفيها: «بئس الغريم النوم يفني قصير العمر ويفوّت كثير الأجر»[٤].

## مزيدات العمر

أقول لأن الله تعالى يعلم ذلك من الإنسان فقد دلّه بكرمه على ما يحوّل هذا النوم إلى وقت مثمر بأن ينام على طهور حتّى ورد عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من تطهر ثم أوى الى فراشه بات وفراشه كمسجد»[٥]، وعن

(١) جامع أحاديث الشيعة: ج١٣ ص٢٦١.
(٢) الكافي: ج٥ ص٨٤.
(٣) انظر:عيون الحكم والمواعظ للواسطي: ص٧٣، البحار: ج٧٥ ص٢٠٥.
(٤) مستدرك الوسائل: ج١٣ ص٤٤.
(٥) الوافي: ج٩ ص١٣٩٩.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «من نام على الوضوء وإن أدركه الموت في ليله مات شهيداً»[١]، خصوصاً إذا سبقه بتلاوة بعض الآيات والأدعية المباركة وأن لا يتجاوز المقدار اللازم لتجديد نشاط البدن، وورد في نوم الصائم في شهر رمضان: «ونومكم فيه عبادة»[٢].

كما ورد التطمين بلطف الله تعالى وكرمه أن من ضيّع جزءاً من عمره بما لا ينفع وقد يضرّ فإن الله تعالى سيكتبه عمراً صالحاً إذا رجع إلى ربّه والتفت وأصلح حاله فيما استقبل من عمره، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «من أحسن فيما بقي من عمره لم يؤاخذ بما مضى من ذنبه، ومن أساء فيما بقي من عمره أخذ بالأول والآخر»[٣]، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٤]، هذا كلّه مضافاً إلى ما ذكرناه في المحاضرة السابقة من إعطاء عمر جديد فوق العمر الطبيعي يستزيد فيه من الخيرات بعد الموت ولا ينقطع عمله به.

## العمر الطويل

ولأهمية حياة الإنسان وعمره في اكتساب الطاعات وأنه كلما زاد عمره كثرت فرص الطاعة عنده وتحقيق السعادة قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «خير الناس من طال عمره وحسن خلقه»[٥]. وفي غرر الحكم لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من سعادة المرء أن يطول عمره ويرى في أعدائه ما يسرّه»[٦].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١ ص٢٩٦.
(٢) مفاتيح الجنان: خطبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ص٢٠٨.
(٣) بحار الأنوار: ج٧٧ ص١١٣.
(٤) سورة الفرقان، الآية: ٧٠.
(٥) سنن الترمذي: ٢٣٣٠.
(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢٠ ص٣٠٢.

## مطولات العمر المادية

لقد قدّم لنا الأئمة المعصومون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الأسباب المادية والمعنوية لإطالة العمر، وأعني بالمادية: ما يحفظ صحة البدن ويجنّبه ما يضرّه ويديم قدرته على القيام بالطاعات كالتوازن في الطعام والشراب كمّاً وكيفاً قال تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[١].

وعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه» والوصية بالصوم، كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «صوموا تصحوا»[٢] واستحباب صيام ثلاثة أيام في الشهر وهو عين ما توصل إليه العلم الحديث تواً حيث نصحوا بالإمساك عن الطعام يوماً كلّ عشرة أيام للحفاظ على الصحة، مضافاً إلى الوصايا الكثيرة في تناول أطعمة وأشربة معينة وتجنّب غيرها وكذلك الأمر ببعض الحالات والفعاليات الحياتية وتجنّب غيرها مما لسنا بصدده[٣].

## مطولات العمر المعنوية

وأما الوصايا المعنوية فمنها الدعاء بإطالة العمر في خيرٍ وعافيةٍ وسعةٍ رزق وسلامةٍ في الحواس وأن يكون كلّ ذلك مكرساً لطاعة الله تعالى وطلب رضاه: «اجعل قوتي في طاعتك ونشاطي في عبادتك، سلامة أقوى بها على طاعتك»[٤] ومن المعنوية لإطالة العمر ما ذكرته الأحاديث الشريفة كقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أكثر من الوضوء يزيد الله في عمرك»[٥] وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣١.
(٢) البحار: ج٥٩ ص٢٦٧.
(٣) راجع كتاب (مكارم الأخلاق) للطبرسي وكتاب الأطعمة والأشربة من وسائل الشيعة.
(٤) من دعاءي الأربعاء والخميس في الصحيفة السجادية.
(٥) بحار الأنوار: ٦٩/ ٣٩٦.

«من سرّه أن يُبسَط في رزقه ويُنسأ له في أجله فليصل رحمه»(١). وعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَن أرادَ البَقاءَ ـ ولا بَقاءَ ـ فَليُباكِرِ الغِذاءَ، وَليُؤَخِّرِ العَشاءَ، وَليُقِلَّ غِشيانَ النِّساءِ، وَليُخَفِّفِ الرِّداءَ»(٢). وعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ. «من حسنت نيّته زيد في عمره»(٣). وعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «من حسن بِرّه بأهل بيته زيد في عمره»(٤).

## الطريق الأمثل لاستثمار الوقت

إن الطريق لتحقيق الاستثمار الأمثل للوقت هو في المبادرة إلى العمل وعـدم التسويف والتأجيل لأن الفرص تمرّ مرّ السحاب ومن وصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. «إياك والتسويف بعملك، فإنك بيومك ولست بما بعده، فإن يكن غدٌ لك فكن في الغد كما كنت في اليوم، وإن لم يكن غداً لك لم تندم على ما فرّطت في اليوم»(٥).

وكذلك في تنظيم الوقت وتوزيعه بدقة على الأولويات بعد تحديدها طبعاً فتبرمج أولاً أوقات الفرائض اليومية وما يتيسر معها من مقدماتها وتعقيباتها وتلاوة القرآن، ووقت العمل والكسب، ووقت العائلة ومسؤولياتها، ووقت المطالعة وتجديد المعنويات والتأمل والتفكير، ووقت الالتزامات الاجتماعية الأخرى وهكذا.

هذا على صعيد وظائفه الفردية، وهناك وظائف اجتماعية لعلها الأكثر إيصالاً إلى رضوان الله تبارك وتعالى كالعمل الإنساني والخدمي وقضاء حوائج

(١) بحار الأنوار: ٨٩/٧٤.
(٢) عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ج ٢ ص ٣٨.
(٣) بحار الأنوار: ٦٩/ ٤٠٨.
(٤) بحار الأنوار: ٧٠م ٢٠٥.
(٥) مكارم الأخلاق: ص٤٥٩.

الناس وإدخال السرور عليهم وكفالة الأيتام ورعاية المحتاجين والمسنين وإصلاح ذات البين بين الأفراد أو العشائر وغيرها كثير وقد شجّعنا مراراً على تأسيس منظمات المجتمع المدني لبلورة جهد جماعي يغطّي هذه الفعاليات والنشاطات.

وفي وصايا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً ـ أي قاصداً ومتحركاً ـ إلّا في ثلاث: تزوُّدٌ لمعاد، أو مرّمة لمعاش، أو لذة في غير محرّم، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، ومن حسب كلامه من عمله قلّ كلامه إلّا فيما يعنيه»[1] هذا هو الإطار العام لما يجب أن يكون عليه الإنسان في جميع حالاته ليكون في الاتجاه الصحيح بفضل الله تبارك وتعالى.

## الاستفادة من التجارب

ويُحسن الاستفادة من تجارب وخطط العلماء الأكاديميين المتخصصين في إدارة الوقت (TIME MANAGEMENT) وهم وإن كانوا يقصدون بها وقت العمل والكسب والإنتاج إلّا أنها في خطوطها العامة يمكن أن تنفع في المجالات الأخرى من حيث كيفية تقسيم الوقت على الأعمال ووضع سقفٍ زمني لإنجاز كلّ منها وهكذا، وإن كنّا مستغنين عنها لو التزمنا بوصايا أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وتعليماتهم.

ومن دون تنظيم الوقت ومراقبته يضيع الكثير في الفوضى وعدم التخطيط والارتباك بحيث تفقد القدرة على استثمار الوقت إذا لم تضع برنامجاً، ويتحقق الغبن في العمر الذي تحدّث عنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

(١) أمالي الطوسي: ص٥٤٠.

في بعض الروايات إن أجزاء عمر الإنسان وأوقاته تعرض عليه يوم القيامة على شكل صناديق فما قضاه في خير سرّه منظره، وما قضاه في سوءٍ أفزعه مرآه، والأكثر يراها فارغة ضاعت عليه ولم يستثمرها فتشتد حسرته لكثرة ما ضاع منه وكان يكفيه اليسير منها لو شغلها بالطاعة كتسبيحه في ثوانٍ أو الصلاة على النبي وآله أو قراءة سورة قصيرة من القرآن الكريم أو استماع لموعظة أو التحدث بأمرٍ مفيد والعاقل هو من اتعظ بهذا وهو في الدنيا ليتمكن من التعويض. وفي غرر الحكم عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لو اعتبرت بما أضعتَ من ماضي عمرك لحفظت ما بقي»[1].

إن لقاءنا هذا وحديثنا هو نمطٌ مثمر لما يمكن أن تكون عليه الاحتفالات أي أننا احتفلنا أيضاً لكن بطريقتنا الخاصة كما يقال.

(١) غرر الحكم: ٣٠٨٣.

# مواعظ وإرشادات في فصل الصيف[١]

## المقدمة

الحمد للّه كما هو أهله وصلّى الله على سيّد خلقه وأحبهم إليه محمد وآله الطيبين الطاهرين.

يبدأ موسم الصيف يوم (٦/٢١) ولا يتحقق باقتراب الشمس من الأرض كما هو المتوهم، بل على العكس فإن الشمس في الشتاء أقرب إلى الأرض منها في الصيف ـ وهذا من المفارقات ـ وإنما يتحقق الصيف برأسية الشمس على النصف الشمالي للأرض، أي إن أشعتها تصل إلى الأرض مباشرة وبصورة رأسية مقابل ميلان أشعة الشمس وانكسارها في توجهها إلى الأرض في فصل الشتاء، وهذا وحده كافٍ لنقل المناخ من طقس شديد البرودة يقلّ عن الصفر المئوي بكثير إلى طقس تزيد حرارته عن خمسين درجة مئوية، هذا والمسافة بين الشمس والأرض حوالي (٩٣ مليون ميل) ـ على ما أتذكر ـ، فكيف والشمس تقترب من أرض المحشر يوم القيامة حتى تكون المسافة ميلاً واحداً فقط، هذا لو فرضنا أن شمس الآخرة كشمس الدنيا رقيقة هادئة خلقت لينعموا بدفئها ولتعم الحياة بوجودها، ولم يسجّرها جبار السماوات والأرض غضباً على أهل المعاصي الذين تحدّوه في الدنيا وتمرّدوا عليه واستكبروا ونازعوه سلطانه، فما هو حالنا يومئذ؟ نستجير بالله من غضبه. وتستطيع أن تشبه الحال بما يفعله بعض

(١) محاضرتان أُلقيتا على فضلاء وطلبة الحوزة العلمية في مسجد الرأس الشريف يومي ٢٠ و٢١ ربيع الثاني/١٤٢٣هـ (٢ و٣/٧/٢٠٠٢م)

الغافلين من تقريب مصدر النار إلى إناء فيه بعض الحشرات ليحرقها بها، مع الفارق الكبير بين نار الدنيا والآخرة.

## القسم الأول:
## أخذ العبرة من الرسول
## صلى الله عليه وآله وسلم

وتأسياً برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذي كان يأخذ عِظة وعِبرة من كلّ ما حوله ليذكّر نفسه ويرقق قلبه، وهو الذي كان في ذكر دائم للَّه تعالى وقلبه عرش الله تبارك وتعالى، فالمروي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه كان إذا دخل الحمام ونظر إلى الماء الساخن تذكر جهنم وحميمها الذي وصفه الله تبارك وتعالى ﴿ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴾[1]، فيقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عندئذ: «نِعم البيت الحمام؛ يزيل الدرن ويذكّر بالآخرة». وهو الذي ما غفل عنها طرفة عين، وقد حرص المعصومون على إلفات نظرنا إلى ذلك، فمثلاً ورد في خطبة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في آخر جمعة من شعبان والتي استقبل بها شهر رمضان قوله: «وَاذكُرُوا بِجُوعِكُمْ وَعَطَشِكُمْ فِيهِ جُوعَ يَومِ القِيَامَةِ وَعَطَشِهِ».

### موقف أمير المؤمنين عليه السلام مع أخيه عقيل

وعندما جاء عقيل إلى أخيه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ طالباً منه الزيادة في عطائه لأنه كثير العيال وهم شعثٌ غبرٌ، فأحمى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ حديدة وأدناها منه وكان بصيراً، فظن أنها صرّة مال، فلما اكتوى بنارها انكفأ يئن من الألم، وقد وصف أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ نفسه هذه الحادثة فقال في بعض خطبه: «فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ ميسَمِهَا ـ وهي المكواة ـ فَقُلْتُ لَهُ: ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ،

(١) سورة محمد، الآية: ١٥.

يَا عَقِيلُ؛ أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ، وَتَجُرُّنِي إِلى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ؟ أَتَئِنُّ مِنَ الأَذَى وَلاَ أَئِنُّ مِنْ لَظىً؟»[1].

## الاتعاظ والاعتبار بما يمر بنا

ما أحوجنا إلى الاتعاظ والاعتبار بكلّ ما يمر بنا أو نمر به، وها هو ذا فصل الصيف يحلّ علينا، فلنتذكر بحرِّه حرَّ جهنم وبزفيره زفيرها، وأنقل لكم بعض الأخبار في وصف نار جهنم وحرها وجحيمها، ولو لم نكن من أهل الغفلة لما احتجنا إلى تلك الأخبار، لأن شواهدها كثيرة حولنا، فكم جرب أحدنا ماءً ساخناً على النار أو في الحمام يلسع جلده الرقيق أو زيتاً أعدّ للقلي ينسكب على جلده فيتمزق ويتلف وربما أدى به إلى الوفاة!، هذه هي المفارقة التي يعيشها الإنسان: ضعف في القابلية ورقة لا يتحمل بها الأذى البسيط، لكنه يرتكب بحماقته ما يورده العذاب العظيم الخالد، كالمرأة السافرة، أو تارك الصلاة، أو الذي لا يؤدي حقوق الله في أمواله من خمس وزكاة وغيرها، أو رجل وامرأة تجمعهما علاقات جنسية غير مشروعة، أو يمارسون أفعالاً منكرة كالاستمناء والمساحقة ومشاهدة الأفلام الخليعة، أو يخوض في الغيبة وتفسيق المؤمنين والانتقاص منهم خصوصاً العلماء، فضلاً عن الذي يظلم الناس في أنفسهم وأموالهم بأي أشكال الظلم كالسرقة والغصب والغش والمعاملات المحرمة، فإن ظلم الناس ذنب لا يتركه الله تعالى.

## المفارقة الكبيرة التي يسجّلها القرآن ودعاء كميل

أقول: إن هؤلاء وأمثالهم لا يعلمون ماذا ينتظرهم؟ لكن الله تعالى يرثي

(١) نهج البلاغة ـ خطبة ٢٢٤

لحالهم ويقول: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾[١] وهم لا يستطيعون الصبر على ما هو لا شيء بالنسبة إلى النار، ولكنها الغفلة والجهل واتّباع الهوى والأنانية والاستكبار، هذه المفارقة التي يسجّلها أمير المؤمنين عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في دعائه المعروف الذي علمه لصاحبه كميل بن زياد: «يا رَبِّ ارْحَمْ ضَعْفَ بَدَني وَرِقَّةَ جِلْدي وَدِقَّةَ عَظْمي»، ثم يقول: «يا رَبِّ وَأَنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفي عَنْ قَليل مِنْ بَلاءِ الدُّنْيا وَعُقُوباتِها وَما يَجْري فيها مِنَ الْمَكارِهِ عَلى أَهْلِها، عَلى أَنَّ ذلِكَ بَلاءٌ وَمَكْرُوهٌ قَليلٌ مَكْثُهُ، يَسيرٌ بَقاؤُهُ، قَصيرٌ مُدَّتُهُ، فَكَيْفَ احْتِمالي لِبَلاءِ الآخِرَةِ وَجَليلِ وُقُوعِ الْمَكارِهِ فيها، وَهُوَ بَلاءٌ تَطُولُ مُدَّتُهُ وَيَدُومُ مَقامُهُ وَلا يُخَفَّفُ عَنْ أَهْلِهِ؛ لأَنَّهُ لا يَكُونُ إلاّ عَنْ غَضَبِكَ وَانْتِقامِكَ وَسَخَطِكَ، وَهذا ما لا تَقُومُ لَهُ السَّماواتُ وَالأَرْضُ، يا سَيِّدي فَكَيْفَ بي وَأَنَا عَبْدُكَ الضَّعيفُ الذَّليلُ الْحَقيرُ الْمِسْكينُ الْمُسْتَكينُ؟، يا إلهي وَرَبّي وَسَيِّدي وَمَوْلايَ لأَيِّ الْأُمُورِ إلَيْكَ أَشْكُو وَلِما مِنْها أَضِجُّ وَأَبْكي؟ لأليمِ الْعَذابِ وَشِدَّتِهِ، أَمْ لِطُولِ الْبَلاءِ وَمُدَّتِهِ»، ثم ينتقل إلى ذكر العقوبات الروحية التي هي أقسى من المادية فيقول: «فَلَئِنْ صَيَّرْتَني لِلْعُقُوباتِ مَعَ أَعْدائِكَ وَجَمَعْتَ بَيْني وَبَيْنَ أهل بَلائِكَ وَفَرَّقْتَ بَيْني وَبَيْنَ أَحِبّائِكَ وَأَوْلِيائِكَ، فَهَبْني يا إلهي وَسَيِّدي وَمَوْلايَ وَرَبّي صَبَرْتُ عَلى عَذابِكَ فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلى فِراقِكَ؟، وَهَبْني صَبَرْتُ عَلى حَرِّ نارِكَ فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنِ النَّظَرِ إلى كَرامَتِكَ؟».

## الأخبار في وصف نار جهنم

وأعـود إلى نقل تلك الأخبار، فقد روي بسند صحيح عن أبي بصير عن أبي عبد الله عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قال:«قلت له: يا بن رسول الله خوّفني[٢] فإن قلبي

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٥.

(٢) في وصية لأمير المؤمنين لابنه الحسن عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ قال: «يا بني أحِي قلبك بالموعظة وأمته بالزهادة». =

قد قسا. فقال: يا أبا محمد، استعد للحياة الطويلة، فإن جبرائيل جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو قاطبٌ وقد كان قبل ذلك يجيء وهو مبتسم، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يا جبرائيل جئتني اليوم قاطباً؟ فقال: يا محمد، قد وضعت منافخ النار. فقال:وما منافخ النار يا جبرائيل؟ فقال: يا محمد، إن الله عز وجل أمر بالنار فنفخ عليها ألف عام حتى ابيضّت، ثم نفخ عليها ألف عام حتى احمرّت، ثم نفخ عليها ألف عام حتى اسودّت، فهي سوداء، مظلمة، لو أن قطرة من الضريع ـ الذي هو عرق أهل جهنم من قيح وصديد فروج الزناة يغلى في قدور جهنم ويسقى لأهل جهنم بدل الماء ـ قطرت في شراب أهل الدنيا لمات أهلها من نتنها، ولو أن حلقة واحدة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرّها، ولو أن سربالاً من سرابيل أهل النار عُلّق بين السماء والأرض لمات أهل الدنيا من ريحه. قال: فبكى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبكى جبرائيل، فبعث إليهما ملكاً فقال لهما: إن ربكما يقرئكما السلام ويقول: قد أمنتكما أن تذنبا ذنباً أعذبكما عليه، فقال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: فما رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جبرائيل مبتسماً بعد ذلك، ثم قال: إن أهل النار يعظمون النار، وإن أهل الجنة يعظمون الجنة والنعيم، وإن جهنم إذا دخلوها هووا فيها مسيرة سبعين عاماً، فإذا بلغوا أعلاها قمعوا بمقامع الحديد[١] أعيدوا في دركها، فهذه حالهم، وهو قول الله عز وجل: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾[٢]، ثم تبدل جلودهم غير الجلود التي كانت عليهم، قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: حسبك[٣]؟ قلت: حسبي، حسبي»[٤].

---

= [نهج البلاغة، الجزء الثالث].

(١) لأنهم يحاولون الهرب منها.

(٢) سورة الحج، الآية: ٢٢.

(٣) أي هل تكفي هذه الموعظة يا أبا بصير؟

(٤) بحار الأنوار: ٢٨٠/٨.

## المشاهد المهولة لنار جهنم

وهذه الآية الشريفة التي استشهد بها الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ تبيّن أحد المشاهد المهولة لنار جهنم[١] ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ وبارزوا الله بالمعصية وتمردوا عليه ولم يلتزموا بأوامره ﴿ قُطِّعَتْ ﴾ وفصّلت ﴿ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾ وهو الماء الساخن حيث ﴿ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴾، وبعد ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ ﴾ أي سياط ﴿ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ أحمته النار، يا للهول!! فيعجزون عن تحمل العذاب ويحاولون الفرار من هذا الغمّ والبلاء الشديد، ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ ويأتيهم الجواب بكلّ إهانة وإذلال: ﴿ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾[٢].

وفي آية أخرى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾[٣] استخفافاً واستهزاءً بهم حيث كانوا يظنون في الدنيا أنهم أهل العزة والقوة والمنعة، فليست الآخرة كالدنيا يفعل فيها الظالمون ما يشاؤون، أما في الآخرة فينادى: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[٤].

وفي آية أخرى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ ﴾ أي يؤخر عقابهم ﴿ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ أي لا تنطبق أبصارهم من الخوف والرعب وهول ما نزل بهم ﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ مسرعين وينظرون في ذلّ وخشوع ﴿ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾ رافعيها إلى السماء ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾

---

(١) اخترت بعض الآيات مع شرحها شرحاً مزجياً كما تعودنا عليه في الفقه أي أضفت مني كلمات لشرحها.
(٢) سورة الحج، الآيات: ١٩-٢٢.
(٣) سورة الدخان، الآية: ٤٩.
(٤) سورة غافر، الآية: ١٦.

فلا يغمضون عيونهم بل هي شاخصة دائماً ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾[١]، وهو كناية عن دهشتهم بحيث فقدوا عقولهم وأصبحت فارغة.

وفي آية مشابهة من سورة يس: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَـٰقِهِمْ﴾ هؤلاء المتمردين على طاعة الله تعالى ﴿أَغْلَـٰلا﴾ وقيوداً تصفد أيديهم وتجمعها إلى رؤوسهم ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ جمع ذقن وهو موضع اللحية ومجمع عظمي اللحيين ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾[٢] مرفوعة رؤوسهم لا يستطيعون خفضها.

إنها مشاهد تستوقف المتأمل طويلاً، وفي آية أخرى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الذين استكبروا عن طاعة الله تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ﴾ أي مقرونين بعضهم إلى بعض أو إلى الشياطين أو أن أعضاءهم كالأيدي والأرجل مقرنة ﴿فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ والقيود، ﴿سَرَابِيلُهُم﴾ قمصانهم ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ دهن أسود لزج منتن تشتعل فيه النار بسرعة أو من صفر متناهٍ حرّه ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾[٣]، تعلو وجوههم النار، وخصت بالذكر لأنها أعز الأعضاء وأشرفها، فعبّر بها عن الكل، والآيات كثيرة في هذا المجال تحتاج إلى كتاب كامل لذكرها وتقريب صورتها للأذهان.

## مشهد من مشاهد ليلة المعراج

ونعود إلى الأخبار، ففي خبر عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «..دخلت (ليلة المعراج) سماء الدنيا فما لقيني ملك إلّا وهو ضاحك مستبشر، حتى لقيني ملك من الملائكة لم أر أعظم خلقاً منه

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: ٤٢-٤٣.
(٢) سورة يس، الآية: ٨.
(٣) سورة إبراهيم، الآيتان: ٤٩-٥٠.

كريه المنظر ظاهر الغضب، فقال لي مثل ما قالوا من الدعاء، إلّا أنه لم يضحك ولم أر فيه من الاستبشار ما رأيت ممن ضحك من الملائكة، فقلت: من هذا يا جبرائيل؟ فإنني قد فزعت منه، فقال: يجوز أن تفزع منه، فكلنا يفزع منه، إن هذا مالك خازن النار لم يضحك قط ولم يزل منذ ولاه الله جهنم يزداد كلّ يوم غضباً وغيظاً على أعداء الله وأهل معصيته، ينتقم الله به منهم، ولو ضحك إلى أحد كان قبلك أو كان ضاحكاً إلى أحد بعدك لضحك إليك، ولكنه لا يضحك، فسلمت عليه، فرد السلام وبشرني بالجنة، فقلت لجبرائيل ـ وجبرائيل بالمكان الذي وصفه الله: ﴿ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾[1] ـ ألا تأمره أن يريني النار؟ فقال له جبرائيل: يا مالك، أرِ محمداً النار. فكشف عنها غطاءها وفتح باباً منها، فخرج منها لهبٌ ساطعٌ في السماء وفارت وارتفعت حتى ظننت ليتناولني مما رأيت، فقلت:يا جبرائيل؛ قل له فليرد عليها غطاءها، فأمرها فقال لها: ارجعي، فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه...»[2].

## وصف لأحوال أهل النار

وروي بسند معتبر عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما خلق الله خلقاً إلّا جعل له في الجنة منزلاً وفي النار منزلاً، فإذا سكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادٍ: يا أهل الجنة اشرفوا، فيشرفون على أهل النار وترفع لهم منازلهم فيها، ثم يقال لهم: هذه منازلكم التي في النار لو عصيتم الله لدخلتموها.. قال: فلو أن أحداً مات فرحاً لمات أهل الجنة في ذلك اليوم فرحاً لما صرف عنهم من العذاب، ثم ينادي منادٍ: يا أهل النار، ارفعوا رؤوسكم[3]، فيرفعون رؤوسهم فينظرون إلى

(١) سورة التكوير، الآية: ٢١.
(٢) (١) أي يحق لك.
(٣) تفسير الصافي: ١٦٧/٣.

منازلهم في الجنة وما فيها من النعيم، فيقال لهم: هذه منازلكم التي لو أطعتم ربكم لدخلتموها، قال: فلو أن أحداً مات حزناً لمات أهل النار حزناً، فيورث هؤلاء منازل هؤلاء، وذلك قول الله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ * ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[١][٢].

وعن أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: «وأما أهل المعصية فخلّدهم في النار، وأوثق منهم الأقدام، وغلّ منهم الأيدي إلى الأعناق، وألبس أجسادهم[٣] سرابيل القطران، وقطعت لهم مقطعات من النار، هم في عذاب قد اشتد حرّه، ونار قد أطبق على أهلها فلا يفتح عنهم أبداً، ولا يدخل عليهم ريح أبداً، ولا ينقضي منهم الغمّ أبداً، والعذاب أبداً شديد، والعقاب أبداً جديد، لا الدار زائلة فتفنى، ولا آجال القوم تقضى»[٤].

وروي بسند معتبر عن الإمام الصادق[٥] عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «إن في النار لناراً يتعوذ منها أهل النار، ما خلقت إلّا لكلّ متكبر[٦] جبّار عنيد، ولكلّ شيطان مريد[٧]، ولكلّ متكبِّر لا يؤمن بيوم الحساب، وكلّ ناصب لآل محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقال: إن أهون الناس عذاباً يوم القيامة لرجل في ضحضاح[٨] من نار، عليه

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠-١١.
(٢) لاحظ الفرق بين الكلمتين أهل الجنة يقول لهم (اشرفوا) لأنهم في علو وأهل النار يقول لهم (ارفعوا) لأنهم في سفال وحضيض.
(٣) الحديث عن المصدر السابق: ٣٩٧/٣.
(٤) يصفهم وكأنه ذهب إلى هناك ورآهم فعلمه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حاضر لأنه هو الذي يقول: «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً».
(٥) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لابن الدمشقي: ٣٣٦/١.
(٦) بحار الأنوار: ٦٤٩/٣١.
(٧) لعل أحدنا يقول أنا لست متكبراً، أقول: فليرجع إلى الكتب الأخلاقية فمعاني التكبُّر كثيرة وتشمل الكثير.
(٨) وهذه أيضاً شاملة للكثير (شياطين الإنس والجن) فمن يقول نحن لسنا كذلك أقول له: إن تعريف =

نعلان من نار وشراكان من نار، يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى[١] أن في النار أحداً أشدّ عذاباً منه، وما في النار أهون عذاباً منه».

وفي سورة الفرقان (الآيات ١١ ـ ١٤): ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ﴾ ويشمل العنوان من كذب عملياً بالعصيان والتمرد على أوامر الشريعة وإن كان يؤمن نظرياً بيوم الحساب[٢] ﴿سَعِيرًا﴾ وهي النار الشديدة ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي كانوا منها بمرأى الناظر في البعد ﴿سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ أي صوت تغيظ ﴿وَزَفِيرًا﴾ كزفير المغتاظ، أو أن هذين الوصفين لزبانيتها ونسبا لها من باب حذف المضاف، كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[٣] أي أهل القرية، فحذف المضاف[٤]، ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ﴾ قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم

---

= الشيطان هو الذي يصد عن طاعة الله ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، فكم من شخص إن لم أقل كلنا قاعد لعباد الله يضلّلهم عنه تعالى يمنة ويسرة فالمرأة السافرة التي تمشي في الشارع مبرزة مفاتنها هذه لسان حالها يقول للشباب: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ فلا يقول أحدكم: إن هذا الحديث لا ينطبق عليّ بل ينطبق علينا جميعاً فنحن الحوزويون بإمكاننا أن نضلل الناس إذا كنا نريد الدنيا ونتبع أهواءنا وكما تسمع إن الحوزة (بعضها) ضللت كثيراً من الناس تأخذهم يمنة ويسرة وتقدح في أذهانهم الشبهات فيوجد الكثير هكذا فهؤلاء مصاديق لهذا الحديث فالحديث يشمل كلّ شخص.

(١) ما رقَّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين فاستعاره للنار (النهاية:٣/٧٥).

(٢) الشخص الذي في هذا العذاب لا يرى في الناس أشدّ عذاباً من حاله.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٨٢.

(٤) لا يفيد الإيمان النظري: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْۖ...﴾ فالإيمان ينعكس على حياتك عملياًفهل أعمالك تدل على أنك لست من الذين يكذبون بالساعة؟ فنحن والحمد لله نتنازع على أشياء تافهة دنيوية فالذي يقرأ هذه الآية لا يقول إنها لا تشملني لأني لا أكذب بالساعة فليس الكافر فقط يكذب بالساعة وإنما كذلك نحن عملياً نكذب بها.

ينقل عن السيد السبزواري (قدس سره) أنه سئل هل يوجد جنة ونار؟ قال: لا!! قيل: وكيف ذلك؟ قال: لو كان يوجد جنة ونار لانعكست آثارها على الناس فلا أرى أحداً يبدو على أفعاله أنه يوجد =

بالأغلال ﴿ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ﴾ في ذلك المكان الضيق الذي مرَّ وصفه[١] ﴿ ثُبُورًا ﴾، أي دعوا على أنفسهم بالهلاك ليتخلصوا من هذا العذاب، فيأتيهم الجواب متهكماً ومنذراً بمراحل آتية من العذاب: ﴿ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ لكثرة أنواع عذابكم، فلكلّ نوع ثبور، أو لدوامه فلكلّ وقت ثبور.

هذه بعض الصور المرعبة لنار جهنم، لكن الناس في غفلة هم أوقعوا أنفسهم فيها بإعراضهم عن آيات الله وبياناته الكثيرة التي لم تدع لأحد عذراً، لذلك يتأسف ربهم على وقوعهم بالمعصية رغم هذه الإنذارات المتكررة: ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ * أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ * وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾[٢] ثم يتساءل الله تبارك وتعالى على لسان نبيّه الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ[٣]: ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا * لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴾[٤].

وفصول يوم القيامة والمراحل التي يمر بها الإنسان في الآخرة كثيرة، يكفي أن أحدها الموت وثانيها القبر ووحشته وسؤاله وأهواله وما خفي أعظم[٥]، لكني

---

= جنة ونار فلا أرى أحداً بهذا المستوى.

(١) أو تقول: إن النار تصبح كائناً حياً له صوت وله زفير.

(٢) سورة يس، الآيات: ٣٠-٣٢.

(٣) ضيق ونار وغل الأيدي إلى الأعناق كما سمعنا فيما سبق فوق كل ذلك أطبق عليه أي أغلق عليه أي لا نفس ولا ريح يدخل لهم وإنما عذاب مؤبد قاسٍ.

(٤) سورة الفرقان، الآيتان: ١٥-١٦.

(٥) فماذا بكم؟ ألا توجد عندكم معايير تميزون بها هذه التصرفات التي أوقعتم أنفسكم بها وأردتكم، فيا أيتها المرأة السافرة وأنت أيها الشاب الذي لا تصلي فيؤذن المؤذن وأنت في المقهى تلعب (الطاولة)، وأنت الذي لم تدفع الحقوق الشرعية هل سوف تأخذ أموالك معك هناك؟ وأنتم أيها الحوزويون الذين تقصرون في واجبكم أو تقدّمون مصالحكم الدنيوية على المصالح الاجتماعية =

اكتفيت بفصلٍ واحد منها وهو نار جهنم بحسب المناسبة، وهي الاتعاظ بحرارة الصيف، فهذا هو القسم الأول من الحديث، أما القسم الثاني فإرشاد وتصحيح لبعض الظواهر الاجتماعية المنحرفة التي تحصل في فصل الصيف ونتناولها بإذن الله تعالى ضمن نقاط:

## القسم الثاني:
## الظواهر الاجتماعية المنحرفة
## التي تحصل في فصل الصيف

**(الظاهرة الأولى)**: تصدر كلمات من الناس عندما يشتد الحرُّ توحي بالتأفّف والانزعاج والسخط، وهو يعني الاعتراض على قضاء الله تعالى ومشيئته، وهذا من الذنوب الكبيرة التي تنقص بها درجة الإنسان.

### المؤمن من اتصف بالرضا

ولذلك يلفت الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ نظر عائلته إلى هذا الأمر حين جاء ليودعهم الوداع الأخير، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من أجوركم»، لأن الإنسان المؤمن يتصف بالرضا على ما يختاره الله تعالى سواء على مستوى الأمور التشريعية كوجوب الصوم أو الخمس أو الجهاد أو ولاية أهل البيت عَلَيْهِ السَّلَامُ أو حرمة الزنا والخمر، أو على مستوى الأمور التكوينية كالفقر والمرض وشدة الحرّ والبرد وإن خالفت هوى النفس، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[1]، فترى أن من شروط الصدق في الإيمان عدم الاعتراض على ما اختاره الله تبارك وتعالى.

---

= والأخروية فالخطاب لنا جميعاً لي ولكم.

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

## الاعتراض مرتبة من مراتب الشرك

يعتبر الاعتراض مرتبة من مراتب الشرك، بمعنى منافاتها للإخلاص، فعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لو أن قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحجوا البيت وصاموا شهر رمضان، ثم قالوا لشيء صنعه الله أو صنعه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ألا صنع خلاف الذي صنع؟ أو وجدوا ذلك في قلوبهم، لكانوا بذلك مشركين، ثم تلا هذه الآية: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ .. ﴾ ثم قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: فعليكم بالتسليم»[1]، وذمتهم الآية الشريفة: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[2].

ولذا ورد التحذير الشديد من الاعتراض على قضاء الله تعالى في جميع الأمور، والحثّ الأكيد على استشعار الرضا والتسليم لقضاء الله تبارك وتعالى، فعن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إن أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عز وجل»، وعن علي بن الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قال: «الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله، ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى عليه فيما أحبّ أو كره لم يقضِ الله عز وجل له فيما أحبّ أو كره إلّا ما هو خير له»، وسئل الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: بأي شيء علم المؤمن أنه مؤمن؟ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بالتسليم لله والرضا فيما ورد عليه من سرور أو سخط»، وعن علي بن الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قال: «الزهد عشرة أجزاء، أعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا»، وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال:

---

(١) جزى الله مؤلف مفاتيح الجنان الشيخ عباس القمي (قدس سره) خيراً فهو ذكر ذلك كلّه في كتاب منازل الآخرة.

(٢) سورة محمد، الآيتان: ٨-٩.

«طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله سبحانه»[١].

## كيف نستشعر في قلوبنا الرضا والتسليم بقضاء الله تعالى؟

فكيف نستشعر في قلوبنا الرضا والتسليم بقضاء الله تعالى في جميع الأمور والابتلاءات والمصائب والصعوبات والشدائد والمحن التي تمر بنا؟

نقول في الجواب: بالالتفات إلى عدة أمور تطبيقاً للمعنى الحقيقي لذكر الله على كلّ حال، الذي هو من أعظم الأعمال، وقلنا في تفسيره[٢]: إنك تستحضر في كلّ حال المعاني التي يريدها الله تبارك وتعالى منك في ذلك الحال، فتكون على اتصال دائم به، وتحيى معه دائماً، فمن هذه الأمور:

١ ـ إن الله رحيم وهو أرحم بعباده من أنفسهم ومن الأمِّ الشفيقة، فلا يختار لهم إلّا ما يصلحهم، فقد ورد في الحديث القدسي: «إن من عبادي من لا يصلحه إلّا الغنى فأغنيه، ومنهم من لا يصلحه إلّا الفقر فأفقره، ومنهم من لا يصلحه إلّا المرض فأمرضه». وهكذا، فكل ما يختاره الله تعالى لنا فهو خير، وعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «عجبت للمرء المسلم لا يقضي الله عز وجل له قضاءً إلّا كان خيراً له، إن قرض بالمقاريض كان خيراً له، وإن ملك مشارق الأرض ومغاربها كان خيراً له»، وعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: قال الله عز وجل: «عبدي المؤمن لا أصرفه في شيء إلّا جعلته خيراً له، فليرض بقضائي، وليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي، أكتبه يا محمد من الصديقين عندي»، وعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: إن فيما أوحى الله إلى موسى بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا موسى ما خلقت خلقاً أحبّ إلي من عبدي المؤمن، وإني إنما ابتليته لما هو خيرٌ له، وأعافيه لما هو خير له، وأزوي عنه لما هو خيرٌ له، وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدي، فليصبر على بلائي،

(١) القلب السليم: ٢/ ٣٣٣.
(٢) الأحاديث كلها في وسائل الشيعة: كتاب الطهارة، أبواب الدفن، باب ٧٥.

وليشكر نعمائي، وليرض بقضائي، أكتبه في الصديقين عندي إذا عمل برضاي وأطاع أمري»[١].

وعليه أن يضيف إلى هذا الأمر جهله بعواقب الأمور، قال تعالى: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[٢]، فما يدريك أن الحرّ الذي تنزعج منه هو شرٌّ لك، بل هو خيرٌ لك في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فلفوائده الصحية والنفسية والاجتماعية والبيئية مما لا مجال لذكره الآن، وأما في الآخرة فلمجموع المعاني التي نحن بصددها، يكفي أن تعلم أن أهل المعرفة قالوا: إن النار نفسها رحمة للعباد، لأن بعض النفوس الخبيثة والقلوب القاسية لا تفلح كلّ شدائد البرزخ والقيامة في تطهيرها، فتحتاج إلى علاج أخير وهي النار، كما في المثل: «آخر الدواء الكيّ»، لتتأهل بعدها للدخول إلى الجنة، فنار جهنم رحمة أيضاً.

٢ ـ إن قضاء الله جارٍ في عباده سواء رضي الإنسان به أم لم يرض، فلماذا لا يجعل هذا القضاء فرصة للطاعة والقربة إلى الله تعالى ما دام أن سخطه واعتراضهُ على البلاء لا يدفع عنه القضاء؟ لذا جاء في بعض الأحاديث «إن

(١) الإمام يشرحه ويقول: «الذّكر ليس أن تلصق لسانك في حنكك وتقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله وإن كان هذا من الذكر»، ولكن الأهم من هذا أنك تستحضر المعاني. ففي القتال مثلاً: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم... ﴾ ﴿ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ [سورة الأحزاب،الآية: ٤١]. فما معنى ﴿ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴾ هنا؟ أقول: ليس معناه سبحان الله والحمد لله.. وإنما تحضر المعاني الإلهية التي ترتبط بالموقف الذي أنت فيه وأنا (والكلام لسماحة الشيخ) في بعض كتاباتي (وهو كتاب شكوى القرآن) استحضرت ١٩ معنىً لذكر الله، فالمجاهد في سبيل الله عندما يستحضرها يكون شيئاً آخر غير ما يكون في حال غيره فنحن نقول ذكر الله على كلّ حال فمثلاً حال الحرّ الذي نحن فيه الآن ماذا نذكر؟ فهنا أقول عدة أمور منها أعلاه.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢١٦.

صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت موزور» فماذا تختار بربك؟[١].

٣ ـ إن الإنسان المؤمن لا بدّ أن يتعرض للبلاء في دار الدنيا: ﴿الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[٢]، فعن الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «إن عظيم الأجر لمع عظيم البلاء، وما أحبّ الله قوماً إلّا ابتلاهم»، وعنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «إنما المؤمن بمنزلة كفّة الميزان كلما زيد في إيمانه زيد في بلائه»، وعن موسى بن جعفر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «أيُّ من صفت له دنياه فاتهمه على دينه»[٣]، وذكر عند الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ البلاء وما يخص الله به المؤمن، فقال: سئل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: من أشد الناس بلاءً في الدنيا؟ فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «النبيون ثم الأمثل فالأمثل، ويبتلي المؤمن بعد على قدر إيمانه وحسن أعماله، فمن صح إيمانه وحسن عمله اشتد بلاؤه، ومن سخف إيمانه وضعف عمله قل بلاؤه»[٤]، وفي ضوء هذه الأحاديث يستشعر الإنسان المؤمن السرور عند حلول البلاء به؛ لأنه يكشف عن إيمانه وتعاهد الله إياه بيد رحمته، وبالتأكيد فإن بلاءً يستطيع تحمله وقد تعوّد عليه ـ كالحرِّ ـ أسهل عليه من بلاءٍ لا يعرفه ولا يعلم بقدرته على الصبر عليه ما دام لا بدَّ من بلاء.

٤ ـ أن يتذكر ما وعد الله الصابرين على البلاء والمحتسبين له عند الله تعالى، فعن الإمام الصادق عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «من ابتلي من المؤمنين ببلاءٍ فصبر عليه، كان له

---

(١) الأحاديث في نفس المصدر المذكور.

(٢) سورة العنكبوت، الآيتان: ١-٢.

(٣) وكم سيشعر الإنسان بالراحة والاطمئنان وعدم الأسى على ما يفوته وعدم الفرح بما يأتيه فيبذل كل ما يريده الله منه من أموال وأنفس لأنه متيقن أن ما يريده الله سيأخذه سواءً شاء أم أبى، فليتنا نربي ونروّض أنفسنا على هذه القواعد الثابتة.

(٤) وبموجب هذا الحديث لا بدّ أن نكون قلقين حينما لا نمر ببلاء صغير كان أو عظيم لنتعرف على صحة إيماننا وكوننا في عين الله تعالى ورعايته واستمرار تربيته.

مثل أجر ألف شهيد»، وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «إذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره والبر مظلّ عليه، وتنحى الصبر ناحية، فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مساءلته، قال الصبر للصلاة والزكاة والبر: دونكم صاحبكم فإن عجزتم فأنا دونه»، وعنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان»[١]، وللصبر أقسام كما نعلم: الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصيته، والصبر على قضاء الله الذي نحن بصدده.

٥ ـ إننا جميعاً ندعو أن نكون ممن يحظى بنصرة الإمام المنتظر عَلَيْهِ السَّلَامُ وصحبته والجهاد بين يديه، فأيهما أسرع استجابة لدعوة الإمام ونصرته: المؤمن الذي خاض المحن والشدائد والصعوبات وواجهها بصبر وجلد، أم المترف المتنعم الذي يتبرم بأبسط بلاءٍ يمر به؟ فإن رغبتم في نصرة الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ فوطّنوا أنفسكم على كلّ الصعوبات، فإنها من مؤهلاتكم لهذا الفوز العظيم، والذي يثقل عليه هذا البلاء البسيط لا يحظى بذلك الشرف كما قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في مثلها: «إذا كنتم من الحرّ ومن البرد تفرون، فأنتم من السيف أفر».

٦ ـ إن أي شيء لا ترضاه يصدر من محبوب لك، فلكي لا يؤثّر فيك تأثيراً سيئاً تذكر ما يحبِّب[٢] ذلك الشخص إليك، والله تبارك وتعالى لا تُحصى نِعَمه عليك، فلماذا تنساها كلّها وتذكر فقط هذا البلاء الذي نزل بك؟ وبهذا الصدد ينقل أهل المعرفة رواية واعية ومما جاء فيها: إن إخوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كانوا خجلين منه بعدما عرفوه لما صدر منهم اتجاهه، وكانوا يجلسون معه صباحاً

(١) الأحاديث في الوسائل: كتاب الطهارة، أبواب الدفن، باب ٧٧.
(٢) الأحاديث في نفس المصدر باب ٧٦.

ومساءً إلى المائدة، ولشدة حيائهم منه طلبوا منه إعفاءهم عن الحضور معه، قال لهم: أنتم سبب عزتي ورفعتي؛ لأن المصريين كانوا يعتبرونني قبل مجيئكم غلاماً وصلت إلى السلطنة، وعندما جئتم عرفوا أني لست غلاماً، بل ابن نبي ومن أولاد إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[1]، هذا مع قبيح فعلهم معه، فكيف يكون موقفنا اتجاه المنعم المتفضل المنان؟

وقد عشنا في أيام صلاة الجمعة المباركة في مسجد الكوفة المعظم سنة ١٩٩٨ موجة شديدة من الحرّ وصلت إلى ٦٠ في الظل، وفي حرّ الظهيرة في شهر تموز كنا نجلس الساعتين والثلاث في الشمس المحرقة حتى كانت جباهنا تكتوي بحرارة موضع السجود مع ما يقتضيه الزي الديني من كثرة الملابس، وكنا جميعاً مسرورين مشغولين بلطف الله علينا وكرمه الذي أتحفنا بهذه النعمة العظيمة، ورغم أنه كان يُحجز لي مكان قرب إمام الصلاة وهو السيد (قدس سره) إلّا أنني كنت أتعمد الصلاة مع المؤمنين في باحة المسجد أحياناً، وفي الحقيقة فإن هذا معنى واسع تستطيع أن تطبقه في حياتك مع الآخرين أيضاً، فعندما يسيء لك شخص تذكر منه النقاط الإيجابية فيتبدل غضبك عليه إلى حبّ له، لذا ورد في الحديث: «اذكر اثنين وانسَ اثنين: اذكر إساءتك للآخرين وإحسان الآخرين إليك، وانسَ إحسانك للآخرين وإساءة الآخرين إليك».

**(الظاهرة الثانية)**: وهي ليست بعيدة عن الأولى، فإن الكثير من الناس يهربون من الحرّ ويذهبون إلى (الاصطياف) في بعض المناطق السياحية أو البلدان الغربية، وهو عملٌ محرم إذا اقترن بمحرمات، كما ينقل عن بعض أثرياء الخليج الذين يهدرون أموالاً طائلة على الخمور والفاسقات في بعض الجزر الغربية فيجرون إلى أنفسهم عقاباً أليماً خالداً من أجل لذة وقتية زائلة، وبعضهم

(١) أي تلتفت إلى النقاط الإيجابية حتى تذوب النقطة السلبية.

يذهب إلى أماكن مختلطة بشكل غير مشروع وفيها غناء وموسيقى إلى غيرها من المحرمات، وهو حال مؤلم أن يعود المسلمون إلى هذه الجاهلية الرعناء بعد أن هداهم الله للإيمان، ويقعون فريسة الأعداء، فيسلبونهم أموالهم وعزتهم وشرفهم، والأهم من ذلك دينهم وأخلاقهم، والأفظع من ذلك أن يذهبوا إلى هناك مع نسائهم.

## إذا لم يكن الاصطياف مقترناً بأي محرم، فما الضير فيه؟

ولو قلتَ: فإذا لم يكن الاصطياف مقترناً بأي محرم فما الضير فيه؟ قلتُ: لا إشكال فيه من ناحية شرعية، لكن فيه منقصة أخلاقية وإضاعة لفرص كبيرة من التكامل، تلك التي ذكرناها في النقطة السابقة ضمن أمور ستة، ويضاف لها أن هذه الأموال التي تصرف لأجل التمتع والتنزه وهي أموال طائلة يمكن أن تزوج بها مؤمناً فتحصنه من الحرام، أو تكسو نساءً لا يجدْنَ حجاباً يتسترن به، أو تدعم مشروعاً خيرياً فيه إعلاءٌ لكلمة الله تعالى، أو توفر عملاً لشاب مؤمن تغنيه عن طلب ما في أيدي الناس، أو تشتري دواءً لمريض يئن من الألم ولا يجد ما يخفّف به آلامه، أو تطعم أيتاماً يقضون الليل يتضورون جوعاً، فكيف يصفو لك عيش وتلتذ لك نفس وأنت ترى كلّ هذه الحاجات حولك، فتغلق عينك عن رؤيتها وتصم أُذنك عن سماعها، والأغرب من ذلك أن يكون من بين المصطافين بعض المحسوبين على الحوزة العلمية الشريفة ويقضون الصيف كلّه في السفرات السياحية، ويصرف أحدهم الملايين، فتذكروا جميعاً أن صرف المال في قضاء الحاجات السابقة أولى من صرفها في الحج المستحب الذي هو من أعظم الطاعات، نطقت بذلك الأحاديث، فكيف يسوغ صرفها في السفرات السياحية؟ نعم، قد يكون لهذه السفرات مبرراتها، ولكن ليقلل المدة بالمقدار الذي يندفع به هذا المبرر، ووفّروا هذه الأموال لإغاثة الملهوفين وإعانة المحتاجين وإدخال السرور على المؤمنين؛ فإن في ذلك نعيم الآخرة وجنانها، ولا تكونوا من أهل

الغفلة ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾[١].

**(الظاهرة الثالثة)**: يكثر ارتياد المسابح في الصيف، والسباحة رياضة عقلائية استحبها الشارع المقدس وفيها فوائد جمّة، لكن ينبغي التنبيه إلى عدة أمور:

١ ـ الملابس المتعارفة التي يرتديها السباحون مخالفة للشريعة، وهي عبارة عن قطعة صغيرة يغطي بها عورته، وغالباً تكون مجسمّة للعورة، فهذه الملابس غير شرعية، فإن عورة الرجل أمام الآخرين ما بين السرة والركبة، وإذا كان الأزيد من ذلك يوجب إثارة للشهوة والفتنة فيجب ستره، فالصحيح أن يكون لباس السبّاح مكوناً من سروال غير مجسم يصل قريب الركبة وقميص يغطي الصدر[٢].

٢ ـ تُمارس الكثير من المحرمات في المسابح، كأصوات الموسيقى والغناء، وحالات الشذوذ الجنسي كاللواط وغيره، أو الاختلاط بين الجنسين وتبادل الكلمات البذيئة، والمراهنات عند إجراء بعض المسابقات.

٣ ـ يجب على مالك المسبح توفير شروط الصحة والأمان، فعليه أن يعقم الماء مثلاً ويبدله وينظم درجة حرارته، ويتأكد من صحة وسلامة المشاركين، وأن يوفّر رجال الإنقاذ والنجاة لمساعدة الذين يتعرضون لحالات الغرق، وإذا قصر في ذلك فهو ضامن لأي ضرر يحصل على المشاركين.

٤ ـ يحرم على النساء[٣] المشاركة في المسابح العامة، حتى لو لم تكن مختلطة وكانت خاصة بالنساء؛ لجملة أمور لا حاجة إلى بيانها.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٦١.

(٢) القلب السليم: ٢/ ٣٦٧. هذا هو أدب الأنبياء فقد ذكر حسناتهم وغضّ النظر عن إساءتهم إليه.

(٣) هذا مع التزام باقي الموجودين في المسبح بذلك وإلّا فإنه سيقع حتماً في محاذير عديدة منها النظر إلى عورة الغير وانتشار الأمراض بسبب الماء الراكد.

**(الظاهرة الرابعة)**: بسبب الحرّ يميل الإنسان إلى تخفيف ملابسه، فتنشأ جملة من المخالفات الشرعية:

١ ـ يلبس الرجال أثواباً خفيفة حاكية لما تحتها، والملابس الداخلية قصيرة ومجسمة[١]، أو يفتح أزرار قميصه فيظهر صدره بشكل مثير للشهوة[٢].

وكذلك النساء يلبسن ملابس خفيفة حاكية سواء في الشوارع العامة أو داخل الأُسر والعوائل[٣]، رغم وجود رجال أجانب عليهن؛ كأخ الزوج وزوج الأخت وابن العم وابن الخال، والمطلوب الالتزام بالحجاب الكامل أمام الأجانب حتى داخل البيت، بل المطلوب الاحتشام وعدم لبس الملابس الخليعة أمام المحارم أيضاً[٤]، فقد سمعنا عن حالات كثيرة يوسوس فيها الشيطان بين الأب وابنته والأخ وأخته، فلا بدّ من منع فرص الشيطان وسدّ المنافذ أمامه.

٢ ـ بعض المحجبات لا تلبس الجوارب، أو تلبس تحت العباءة ثوباً لا يغطي

---

(١) فالنساء وللأسف الشديد يترددن على المسابح كذلك وفي هذا منتهى الخسة والدناءة، أمن أجل متعة تافهة زائلة ترمين بنفسك في وادي جهنم؟ لذا فلتعلم النساء اللاتي يترددن إلى هذه الأماكن أنهن يشاركن أعداء الإسلام في تدمير المجتمع وتدمير العفة والحياء وخصمهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة.

(٢) ففي الصيف هناك من يلبس القميص أو الدشداشة الخفيفة بحيث لا يلبس تحتها إلاّ الشورت والذي يكون عادة مُجسِّماً للعورة فيكون جسده بالكامل واضحاً للجنس الآخر فأي كارثة أشد من هذه أليست هذه بداية ما أراده أعداؤنا لنا فتأمل كلام الماسونية: «يجب أن نخلق الجيل الذي لا يخجل من كشف عورته»!!!.

(٣) وكذلك القمصان ذات الأكمام القصيرة والگلابيات التي يلبسها بعض الشباب والتي بحركة بسيطة يظهر صدره من خلال الأكمام.

(٤) فأخو الزوج يلبس الشورت (والفانيلة) أمام زوجة أخيه وأخته وزوجة الأخ تلبس الخفيف والضيق أمام أخي الزوج وكذلك الأخوات قد يلبسنَ الستريج أو التراكسود الضيق أو الملابس التي بدون ردن أو الخفيفة أو القصيرة أو الضيقة أمام الإخوة وكلّ هذه الأمور فيها إشكال وتؤدي إلى مفسدة كبيرة فأثمن شيء عند المرأة هو الحياء فإذا ذهب ذهبت أنوثتها وجمالها.

جسمها إلى قدميها، أو تكون ذراعاها مكشوفة أو عنقها وأعلى الصدر، وهذه كلّها مما يجب ستره ويحرم إظهاره.

٣ ـ يخرج بعض الشباب بالسراويل القصيرة إلى الشارع، وفي هذا منافاة للآداب العامة وهتك لحرمة الأخلاق الاجتماعية.

وغيرها من الحالات التي تعرف قياساً إلى ما ذكرناه فلا بدّ من الالتفات إلى الحديث الشريف: «حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة»، فالحرام حرام في الصيف أو الشتاء، في البيت أو الشارع؛ فالله الله بدينكم، لا يغلبنكم عليه هوى النفس واتباع الشيطان وبعض التقاليد المستوردة من الكفار.

**(الظاهرة الخامسة)**: تنتشر في الصيف محلات المرطبات التي تكون أحياناً مرتعاً للشيطان، إذ فيها اختلاط غير مشروع بين الجنسين وتبادل للضحكات والكلمات المريبة والحركات المثيرة، حيث تأكل المرأة المرطبات بكلّ ميوعة وفتنة وسط الرجال، وقد علمت أن كثيراً من الشباب والشابات لا يرتادون هذه المحلات حبّاً بالمرطبات؛ وإنما استجابة لشهوة النفس الأمارة بالسوء، فلتتذكر هذه المرأة وهذا الشاب ما قلناه عما أعد الله للعاصين من العذاب، وإذا أرادوا أن يأكلوا المرطبات فليأكلوها في بيوتهم بعيداً عن الأنظار.

**(الظاهرة السادسة)**: يقترن الصيف مع العطلة الصيفية لطلبة المدارس، والعطلة غالباً ما تعني التسكع وضياع الوقت وإمضائه بالتفاهات؛ لذلك ذكرنا توجيهاً في كلمتنا السابقة بمناسبة الامتحانات النهائية والعطلة الصيفية للطلبة بيّنا لهم فيها عدة أمور يمكن أن تجعل عطلتهم مثمرة ونافعة وهادفة، ومنها الالتحاق بالدورات السريعة للدراسة الحوزوية، وقد استجاب الكثير منهم لهذه الدعوة المخلصة جزاهم الله خير جزاء المحسنين، والذي أريد أن أضيفه هنا أنه

لا ينبغي للحوزة الشريفة أن تتأسى بالدراسات الأكاديمية، فتعطل في الصيف، لأن لها معاييرها الخاصة في الدراسة والتعطيل، فعندنا شهر رمضان والمناسبات الدينية عطلة وليس عندهم كذلك، فمن تضييع الوقت أن نعطل وفق كلا المعيارين، فهنا الجمع ليس أحوط كما يقول الفقهاء، بل على خلاف الاحتياط، ولنحتسب المعاناة التي نتعرض لها ونحن ندرس في الصيف في سبيل الله تعالى ليدفع بها عنا نار جهنم، وحتى لا تنطبق علينا الآية الشريفة: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴾[١]، والنفر لطلب العلم لا يقل أهمية عن النفر للجهاد كما نطقت الآية الأخرى[٢] بصراحة: ﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ ﴾[٣]، فليس هدفنا أهون من هؤلاء الكسبة والعمال الذين لم تمنعهم حمَّارة القيظ من العمل، وإني لأشعر بالخجل والتقصير وأنا أمر بهم في السوق وغيره وأشاهد حماسهم في العمل في شدة الحر، فلا يسبقونا إلى الخير. نعم؛ لا شكّ أن الجهد الفكري أعظم وأصعب من الجهد البدني ويحتاج إلى ظروف أفضل، مما يتطلب راحة أكبر، لكن لا على طول الصيف، بل نقتصر على فترة محدودة منه عند اشتداد الحرّ مثلاً[٤].

## الحالات السلبية التي تنتشر في المجتمع في فصل الصيف

(**الظاهرة السابعة**): تنتشر في المجتمع في فصل الصيف بعض الحالات السلبية، أشير إليها باختصار لضيق الوقت:

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٨١.

(٢) قال الرسول الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «من لا حياء له لا دين له».

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

(٤) ومن الجمع بين الآيتين ﴿ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ.. ﴾ و﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ... ﴾ نستنتج أن النفر لطلب العلم لا يقل أهمية عن النفر إلى الجهاد.

١- استعمال مضخات سحب الماء، وهو عمل لا بأس به بمقدار رفع الضرورة والاحتياج المعقول، أما الأزيد منه وهدر الماء بلا فائدة فهو إضرار بالمسلمين، وهو محرم[١].

٢- يستغل البعض حاجة الناس إلى الثلج فيبيعه بأسعار خيالية لا يقدر عليها أكثر الناس، وهذه الحالة ناشئة من قسوة في القلب لا يحبها الله ولا يرحم صاحبها، فكيف يرضى شخص بأن ينتفع على حساب آلاف من الناس، وفيهم محتاجون إلى الثلج لأمر أو لآخر؟[٢].

٣- تجلس النساء على أبواب الدور[٣] وفي الطرقات لتبادل الأحاديث، خصوصاً في فترة العصر إلى المغرب، وفي المناطق الشعبية، مما يوقعهن في محرمات عديدة نبهنا عليها في كتاب (فقه العائلة) فراجعوه.

٤- تقوم بعض النسوة برش الماء على باب الدار لوقت طويل، مما يعرضها لنظر الأجنبي، وتنكشف حتماً بعض أجزاء جسدها كالمعصم ومقدم شعر الرأس وبعض الساقين، فما الضرورة إلى ذلك؟[٤].

---

(١) كان سماحة الشيخ (دام ظله) يواصل تدريسه خلال الصيف ـ وهاتان المحاضرتان ألقيتا في شهر تموز ـ، ولما كان أكثر طلابه في الدروس العالية من أساتذة الدروس في المراحل المتوسطة والأولى، فكان عمله محركاً لأغلب حلقات الدرس في الحوزة العلمية التي لم تشهد تعطيلاً ملحوظاً إلّا عندما يعطي سماحته استراحة للطلبة أسبوعين أو ثلاثة عند اشتداد الحرّ في النصف الثاني من تموز وتصاحبها أحياناً بعض المناسبات الدينية.

(٢) وخصوصاً في المناطق الفقيرة التي لا يوجد عند الكل مضخات المياه فيحرمهم من الماء الضروري لأمور حياتهم فيكون سبباً في أذية جيرانه وحرمانهم من الماء وهذا من الأنانية المحرمة. وكلّ ما نريده منك هو أن تضع نفسك مكانهم فماذا سيكون شعورك تجاه من ظلمك؟

(٣) مما يؤدي إلى عدم شرب الماء البارد لكثير من العوائل الفقيرة خلال فصل الصيف، فالله الله بإخوانكم وكم سيبارك الله بالرزق القليل مع مراعاة الناس وحب الخير لهم ولا عليك بغيرك الذي لا يرجو إلّا الدنيا الحقيرة فإنه لا يحظى منها غير ما يرزقه الله.

(٤) أي دين هذا الذي يبيح للمرأة الجلوس في الشارع وقد جعل الإسلام أفضل صلاتها ما كان في =

٥- استشراف بعض أهل النظرات الخائنة إلى أعراض الناس، خصوصاً في الصباح الباكر، حيث إن العوائل لا زالت نائمة على أسطح المنازل، وفي هذا خيانة عظمى للّه تعالى حيث قال: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[١]، وفي الحديث: «إن العين التي تمتلئ من النظر إلى الحرام يملأها الله ناراً يوم القيامة»[٢].

٦- تنتشر هواية تربية الطيور واللعب بها وتحليقها في الجو، وفي هذه الهواية محرمات عديدة نبهنا إليها في استفتاءٍ مستقل[٣].

٧- بسبب الضيق النفسي والتبرم من الحرّ تحصل حالات الغضب السريع، سواءً داخل البيت أو في السوق أو بين سائق السيارة والركاب[٤]، مما يؤدي إلى

---

= بيتها بل في مخدعها؟ إن هذا العمل مخالف لآدابنا وأخلاقنا التي علمها لنا أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. ولتعلم المرأة الجالسة في الشارع أن الناس لا تحملها محمل الخير، وأن هناك عدداً من المحاذير في هذا الجلوس منها عدم الاحتشام، والتهاون بالحجاب، وإحراج المارّة وإدخال الأذى عليهم، والخوض في الغيبة واللغو والتجسس وغيرها.
أما الرجال فجلوسهم في الشارع أيضاً منهي عنه لما فيه من ضرر عام على المجتمع وإني لأعجب كيف يجد هؤلاء أوقات فراغ وقد ترك لنا أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ موروثاً كبيراً من الأعمال التي تستوعب كلّ الوقت فلماذا تستبدلون ما هو خير بما هو شرّ لكم؟.

(١) سورة غافر، الآية: ١٩.

(٢) وأقل ما تفعله المرأة هو إخراج ذراعها المكشوف عادة من فتحة الباب وهذا حرام فضلًا عن غيره من الأمور التي يندى لها الجبين..

(٣) إن المبيت فوق سطح الدار إذا كانت جدران السطح غير ساترة يؤدي إلى التسلط على بيوت الجيران وتسلط الجيران على بيتك وقد ورد نهي أكيد على ذلك وفي بعض الروايات أن الذي يفعل ذلك يخرج من ربقة الإسلام، فاتقوا الله واحذروه.

(٤) الظواهر التي تحدث في السيارات:
١- الجلوس في الجهة التي لا تكون مواجهة للشمس: وكذلك الجلوس في مناطق انتظار السيارات وترك النساء والأطفال في الشمس وهذا مخالف لقول الرسول الأعظم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». فكم هو جميل لو كان الأمر بالعكس أي أن الجهة المواجهة للشمس مشغولة لفتح المجال لإخواننا للجلوس في الجهة الأخرى وخصوصاً عندما يكون =

المخاصمات والاشتباكات بالأيدي، وهذا عمل محرّم في الشريعة، والغضب خصلة مذمومة وهي شعبة من النار، وإن إبليس ليتسلط على الإنسان في حالة الغضب، فلماذا تعطوه هذه الفرصة؟.

كثير من الناس مبتلى بأمراض الحساسية في الأنف والصدر، وتهيّج في فصل الصيف؛ لذا يجب على الناس تجنّب أي شيء يؤذي المبتلين بالحساسية خصوصاً التدخين.

أسأل الله تعالى أن يجعل حظنا من الحرِّ حرَّ الصيف فقط، ويقينا جهنم

---

= هناك نساء أو رجال كبار في السن وكم سيعود ذلك بالعزة والفخر للدين والمذهب فادعوا شبابنا إلى تطبيق هذه الأمور لتكون محبة الغير ونبذ الأنانية ملكات عندهم وليصبروا على حرّ الدنيا ليفوزوا بظل الآخرة.

٢- التدخين: مما يؤدي إلى إضرار غيرهم وخصوصاً أن هذه المواسم تكثر فيها أمراض حساسية الأنف والجيوب الأنفية ورسولنا الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام»، فأحدنا عندما يتكلم في الأخلاق لا أحد يسبقه ولكن عندما يصل الأمر إلى التطبيق وإلى التدخين يترك كلّ ذلك وراء ظهره فلماذا هذا التناقض ولماذا هذا الضعف أمام النفس؟.

٣- سرعة الغضب: من قبل السائق تجاه الركاب أو باقي السائقين من جهة ومن قبل الركاب تجاه السائق من جهة أخرى بسبب التأخير الذي يحدث وكلّ هذا ناشئ من قلة الصبر وعدم تحمل الحر فكيف بهم بحرّ الآخرة وجليل وقوع المكاره فيها ألا يعلمون أن الغضب من الكبائر وأن إهانة الآخرين وإحراجهم من الكبائر، أفبهذا الضعف وعدم الصبر سوف نتحمل الأعباء مع الإمام (عجل الله فرجه) أم بهذه الأخلاق سوف ننصر الإمام (عج).؟

وأخيراً وبعد كشف هذه السلبيات التي لا تُبقي عذراً مع أحد أدعو الإخوة المؤمنين أن يتكاتفوا ويكونوا يداً واحدة ضدّ هذه الظواهر التي لأعدائنا اليد الطولى في إفشائها في مجتمعنا الحبيب ولا يضعفوا أمام هذه المغريات الرخيصة وغيرها من الأمور التي أمضت بقلب الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه) فلا نتصور أننا بهذه الأعمال المشينة نصرنا الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ على أعدائه فالإمام يقول: «كونوا لنا دعاة صامتين» فهل نحن دعاة للإمام بأفعالنا هذه؟ وما أعمق قول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «من لا حياء له لا دين له»، وبادروا معاشر الشباب إلى ترك هذه الأمور التي لا يرجوها الإمام من شيعته المنتظرين له وانظروا بدقة إلى عاقبة أفعالكم ومردودها على الدين والإسلام فهل أنتم منتهون؟.. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

وسمومها وزفيرها، ويجعل أوقاتنا كلّها خالصة له حتى يبلغ بنا غاية رضاه؛ إنه ولي النعم.

وأشكر بعض الإخوة الذين تعاونوا معي في إلفات النظر إلى عدد من الحالات السلبية المذكورة تطبيقاً للآية الشريفة: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾[2]، والحمد لله رب العالمين، وسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطيبين الطاهرين.

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.
(٢) سورة العصر، الآية: ٣.

# الفهرس


الفصل الأول: شهر محرم الحرام ..... ٧
المشارطة والمحاسبة في أول السنة وآخرها وإحياء الشعائر الحسينية ..... ٩
آليات للوصول الى الاستقامة ..... ٩
فوائد مراقبة النفس ..... ١٠
محطات للتزود المعنوي ..... ١٠
مشاعر المؤمن في رأس السنة ..... ١١
لطف الله تعالى بنا بأيام الحسين عليه السلام ..... ١٢
شروط القبول في العمل ..... ١٣
استنكار المنكر ..... ١٤
هل من ناصر؟ ..... ١٥
رسالة الأمة من خلال إحيائها لشعائر عاشوراء ..... ١٦
الفصل الثاني: شهر صفر ..... ١٩
تهنئة زوار الحسين عليه السلام بالألطاف الإلهية ..... ٢١
١٧ صفر: أعطوا أكبر زخم ممكن للشعائر الحسينية شكلاً ومضموناً ..... ٢٤
دور الإمام الرضا عليه السلام في إحياء الشعائر الحسينية ..... ٢٤
دور العلماء في تأصيل تعاليم أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ..... ٢٥
أعطوا أكبر زخم للشعائر شكلاً ومضموناً ..... ٢٦
الالتفات إلى المضامين الرسالية في الشعائر ..... ٢٧
كونوا بمستوى المسؤولية ..... ٢٨

إلى المشككين بجدوى الزيارات المليونية ..... ٢٩
٢٨ صفر: الدعوة إلى توسيع الاحتفالات
بذكرى وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ..... ٣٤
الفصل الثالث: شهر رجب ..... ٣٧
مباركة المرجعية بحلول شهر رجب ..... ٣٩
أول رجب بداية السنة المعنوية ..... ٤٠
بمناسبة حلول أيام الله تبارك وتعالى في شهر رجب ..... ٤٥
٢٧ رجب الألطاف الإلهية في البعثة النبوية الشريفة ..... ٥٢
من الأسماء الحسنى (اللطيف) ومنشؤه أكثر من وجه ..... ٥٢
رجب وشعبان إعداد وتأهيل لشهر رمضان ..... ٥٨
المماثلة بين أعمال الأشهر الثلاثة ..... ٥٨
علامات الإعداد والتأهيل ..... ٥٩
أثر الصدقة والاستغفار في تنقية القلب ..... ٦٠
المعصومون يهيئون شيعتهم في هذين الشهرين ..... ٦٢
فضل شهر رجب ..... ٦٣
فضل شهر شعبان ..... ٦٤
اهتمام السلف الصالح بهذين الشهرين ..... ٦٥
أهم أعمال رجب وفضلها ..... ٦٦
ضرورة عدم تحميل النفس فوق طاقتها ..... ٦٧
رجب وشعبان ورمضان تعجّل حصول نور الفرقان ..... ٩٨
الفصل الرابع: شهر شعبان ..... ٧٣
مائدة شعبان ..... ٧٥
١٥ شعبان: في ذكرى ولادة الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) ..... ٨١

الفصل الخامس: شهر رمضان ..... ٨٥
مشاعرنا في استقبال شهر رمضان ..... ٨٧
تهنئة بالدخول في ضيافة الله تبارك وتعالى ..... ٩٠
دور طلبة الحوزة العلمية في تعطيل شهر رمضان ..... ٩١
معاني التعطيل ..... ٩١
كيف يريح الطالب عقله ؟ ..... ٩٢
ما هي المسؤوليات التي يمارسها طالب العلم في التعطيل ..... ٩٣
شهر رمضان خير فرصة لتطهير القلب ..... ٩٥
الجهة الثانية في استقبال شهر رمضان لماذا جعل الله تعالى الأعمال في هذه الأيام مضاعفة؟ ..... ٩٧
دعاء الإمام السجاد عليه السلام في وداع شهر رمضان ..... ٩٧
ليلة القدر خير من ألف شهر ..... ١٠٠
كيف تكون ليلة القدر خيراً من ألف شهر؟ ..... ١٠٠
من معاني ليلة القدر ..... ١٠٠
إحياء ليالي القدر ..... ١٠١
حول أعمال ليلة القدر ..... ١٠٣
بماذا نستعد لليلة القدر؟ ..... ١٠٣
علاقة الزهراء عليها السلام بليلة القدر ..... ١٠٥
تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة ..... ١٠٥
ليلة القدر مرتبطة بصاحب ليلة القدر ..... ١٠٦
تنبيه عن أعمال ليلة القدر ..... ١٠٧
تذكرة في العشر الأواخر من شهر رمضان ..... ١٠٨
أهمية العشر الأواخر ..... ١٠٨

معاني الاعتكاف ..... ١٠٩
تنبيهات حول أعمال العشر الأواخر ..... ١٠٩
مشاعر المؤمن في العشر الواخر ..... ١١٠
أسباب حالة الفتور في العشر الأواخر ..... ١١٠
علاج حالة الفتور والتكاسل ..... ١١١
بركة الإقامة عند أمير المؤمنين عليه السلام في العشر الأواخر من شهر رمضان ١١٣
أهمية مصاحبة الصالحين ..... ١١٣
بركات المجاورة لأمير المؤمنين عليه السلام ..... ١١٤
طاعة الله تعالى بعد شهر رمضان ..... ١١٤
إحياء سنة الاعتكاف في العشر الأواخر من شهر رمضان ..... ١١٧
كلمة المعتكفين ..... ١١٨
الفصل السادس: من معاني العيد ..... ١٢١
كيف نفهم العيد بالشكل الصحيح؟ ..... ١٢٣
شهر رمضان سبب للخيرات والبركات ..... ١٢٣
قلة المعصية في شهر رمضان ..... ١٢٤
فقرات دعاء الإمام السجّاد عليه السلام ..... ١٢٥
الفهم الصحيح للعيد ..... ١٢٦
العود إلى الله في العيد ..... ١٣١
كيف نخاطب الله تعالى؟ ..... ١٣١
أصل كلمة العيد ..... ١٣٢
الفرح في القرآن الكريم ..... ١٣٣
كيف نحول الإيمان من النظرية الى التطبيق؟ ..... ١٣٤
لنرجع الى الله تعالى أيام العيد ..... ١٣٦

محفزات للتطبيق ..... ١٣٦
دعاء الندبة والعيد ..... ١٤١
لماذا نقرأ دعاء الندبة في العيد؟ ..... ١٤١
العيد الحقيقي ..... ١٤٢
لا تنسيكم الأفراح ذكر مصائب أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ..... ١٤٣
العيد والالتفات الى القيادة الحقيقية ..... ١٤٣
العيد والرغبة في الآخرة ..... ١٤٥
ذكر صاحب الأمر عَلَيْهِ السَّلَامُ ..... ١٤٦
مشاعر يوم العيد بين الخوف والرجاء ..... ١٤٧
مشاعر المؤمن في يوم العيد ..... ١٤٧
هدف الإنسان هو التقوى ..... ١٤٨
من آثار التقوى ..... ١٤٩
الصوم الحقيقي ..... ١٥١
قيمة العمل ..... ١٥١
مقارنة يوم العيد بيوم النشور ..... ١٥٢
تجديد الحزن لآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين ..... ١٥٣
العيد يرسّخ ركني الإسلام كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ..... ١٥٤
ركنا الإسلام ..... ١٥٤
معنى كلمة التوحيد ..... ١٥٤
العيد فرصة لتعميق التوحيد ..... ١٥٥
العيد يذكرنا بالتقوى ..... ١٥٦
ذكر الله تعالى في العيد ..... ١٥٧
توحيد الكلمة ..... ١٥٧

الفصل السابع: شهر ذي الحجة ١٦٣
استقبال شهر ذي الحجة الحرام ١٦٥
الأعمال المتعلقة بكلّ شهر قمري ١٦٨
بمناسبة حلول شهر ذي الحجة الحرام ١٦٩
عشرة ذي الحجة شهر رمضان الأصغر ١٧٢
مواعظ من مناسك الحج ١٧٥
الاستعداد للوقوف بعرفة ١٧٩
رمي الجمرات: شعار لرفض كلّ الآلهة من دون الله تعالى ١٨٣
أسبوع أمير المؤمنين عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومعركة التأويل ١٨٩
الفصل السادس: مواعظ وتوجيهات في السنة الميلادية ١٩٧
مواعظ في رأس السنة الميلادية ١٩٩
الأمور التي يجب الالتفات لها ١٩٩
العمر رأس مال الإنسان ٢٠٢
موعظة قرآنية ٢٠٢
المطلوب محاسبة النفس كلّ ليلة ٢٠٣
الموعظة ليست للمسلمين فقط ٢٠٤
الاحتفال برأس السنة لمن استثمر وقته خلالها ٢٠٧
لنستحضر الموعظة في كلّ الأوقات ٢٠٧
الفرح المذموم ٢٠٨
إنما أنت عدد أيام ٢٠٨
اهتمام الشارع المقدس بالوقت ٢٠٩
الوصية بالاهتمام بالوقت ٢١٠
إنما أنت ابن ساعتك ٢١٠

مضيعات العمر ..... ٢١١
مزيدات العمر ..... ٢١١
العمر الطويل ..... ٢١٢
مطولات العمر المادية ..... ٢١٣
مطولات العمر المعنوية ..... ٢١٣
الطريق الأمثل لاستثمار الوقت ..... ٢١٤
الاستفادة من التجارب ..... ٢١٥
مواعظ وإرشادات في فصل الصيف ..... ٢١٧
المقدمة ..... ٢١٧
القسم الأول: أخذ العبرة من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ..... ٢١٨
موقف أمير المؤمنين عليه السلام مع أخيه عقيل ..... ٢١٨
الاتعاظ والاعتبار بما يمر بنا ..... ٢١٩
المفارقة الكبيرة التي يسجلها القرآن ودعاء كميل ..... ٢١٩
الأخبار في وصف نار جهنم ..... ٢٢٠
المشاهد المهولة لنار جهنم ..... ٢٢٢
مشهد من مشاهد ليلة المعراج ..... ٢٢٣
وصف لأحوال أهل النار ..... ٢٢٤
القسم الثاني: الظواهر الاجتماعية المنحرفة التي تحصل في فصل الصيف ..... ٢٢٨
المؤمن من اتصف بالرضا ..... ٢٢٨
الاعتراض مرتبة من مراتب الشرك ..... ٢٢٩
كيف نستشعر في قلوبنا الرضا والتسليم بقضاء الله تعالى؟ ..... ٢٣٠
إذا لم يكن الاصطياف مقترناً بأي محرم، فما الضير فيه؟ ..... ٢٣٥
الحالات السلبية التي تنتشر في المجتمع في فصل الصيف ..... ٢٣٩